من أكثر الكتب مبيعًا في العالم

نعمة الفشل

كيف يتعلم أفضل الآباء التجاهل
حتى يتسنى لأطفالهم النجاح



جيسيكا لاهي

"كيف يمكن للمعلمين استعادة دورهم الحيوي، وترك المساحة اللازمة للأطفال لتجربة الفشل؟ يمكنهم البدء بجعل الآباء يقرأون هذا الكتاب".

- جولي ليثكوت-هيمس؛ نيويورك تايمز بوك ريفيو

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore
... ليست مجرد مكتبة

الغلاف الأمامي

من أكثر الكتب مبيعًا في العالم

نعمة الفشل



حقوق الطبع والنشر





للتعرف على فروعنا

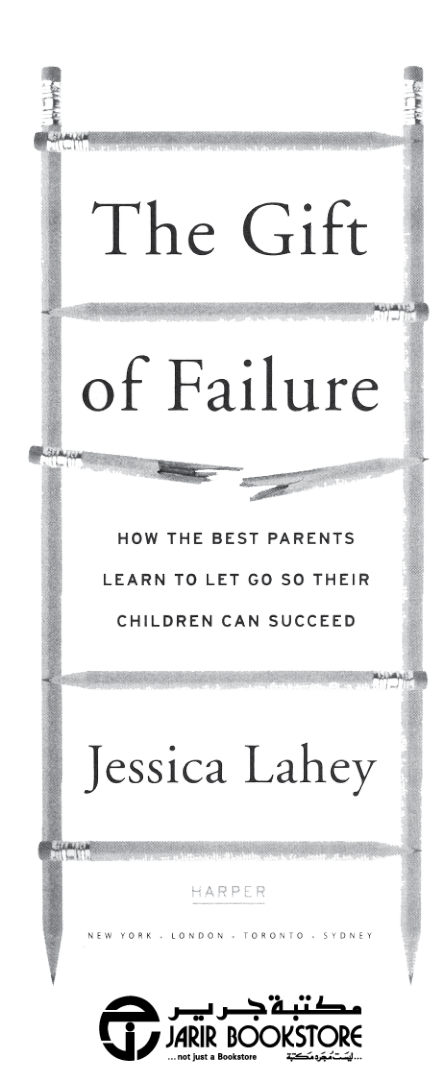
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٨


The Gift
of Failure
HOW THE BEST PARENTS
LEARN TO LET GO SO THEIR
CHILDREN CAN SUCCEED
Jessica Lahey
HARPER
NEW YORK • LONDON • TORONTO • SYDNEY
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

الإشادة بالكتاب

موصى به من قِبل مجلة **ووركينج ماذر**موصى به من قِبل فريق مجلة **فورتشن**موصى به من قِبل مجلة **إديوكيشن ويك** عام ٢٠١٦

"تقول لاهي: "إن الحقيقة الرائعة والمرة بشأن المرحلة الإعدادية هي أن السؤال عن الفشل في تلك المرحلة لا يكون عما إذا كان سوف يحدث أم لا، بل متى سوف يحدث". أو هذا ما اعتدنا أن تكون عليه. أو كانت كذلك. وبما أن الآباء الآن يقومون بحماية أبنائهم في كل خطوة يخطونها في حياتهم؛ فقد صار لدينا طلاب جامعيون "محرومون من الفشل" (كما يطلق عليهم مديرا جامعتي ستانفورد وهارفارد)، وشباب في العشرينات من عمرهم مدللون، ومتوترون، ولا يمكنهم التعامل مع العالم من حولهم، والذي أحيانًا ما يكون باردًا، أو قاسيًا، أو فاترًا؛ فكيف يمكن إذن للمعلمين استعادة دورهم الحيوي، وترك المساحة اللازمة للأطفال لتجربة الفشل؟ يمكنهم البدء بجعل الآباء يقرأون كتاب لاهي".

_ نيويورك تايمز بوك ريفيو

"يُعتبر هذا الكتاب الرائع لجيسيكا لاهي مثاليًّا للآباء على كل المستويات".

_ باتريك لاركين، مجلة إديوكيشن ويك

"تقدم لاهي النصح بشأن كيفية السماح لأولادنا بأن يرتكبوا الأخطاء، ثم تحويل فشلهم إلى نجاحات مستقبلية؛ وهو ما قد يجعلك أنت أيضًا تتعامل براحة أكثر مع العقبات التي تقابلها في حياتك".

_ مجلة ووركينج ماذر

"تكتب لاهي بأسلوب واضح، وبحس فكاهي ضروري، مستخدمةً حكايات مدعمة بالأبحاث؛ لتوضح لنا كيف أن محاولتنا "حماية" أولادنا بجعل الحياة أكثر يسرًا بالنسبة إليهم تأتي بنتيجة عكسية تمامًا. العبرة هي: إذا كنت ترغب في تنشئة شباب بالغ يتسم بالمرونة والثقة بالنفس، فلا تهرع إلى المدرسة لتوصيل فروضهم المدرسية المنسية في البيت، ولا تبقَ متحفزًا طوال الوقت

لتصحيح أخطائهم، ولا تخبرهم بأنهم يضعون الأطباق في غسالة الأطباق بشكل خاطئ. دعهم فقط يقوموا بالأمر بطريقتهم".

_ جينيفر رينجولد، مجلة فورتشن

"كتاب جديد كتبته معلمة لديها رسالة بسيطة للآباء ولكنها إلزامية، وهي: كفوا أيديكم".

_ أسوشيتد برس

"تريد جيسيكا لاهي، مؤلفة **هذا الكتاب** الجديد، من الجميع أن يتراجعوا ويسمحوا لأولادهم بأن يخطئوا؛ لأنها تعتقد أنه دون الفشل، والأخطاء، والعيوب سيكبر الأبناء ليصبحوا أشخاصًا بالغين غير قادرين على التعامل مع المحن. وقد ينتهي بهم المطاف قابعين في أماكنهم خشية الفشل، وسيسعون جاهدين للمرور بالقليل من التجارب في حياتهم".

_ إيفان جروسمان، مينز جورنال

"لقد مكنني هذا الكتاب من التراجع، ومنحني الدفعة التي كنت أحتاج إليها لإرسال ابني الأكبر إلى غياهب المدرسة الإعدادية دون قلق، أو انزعاج، أو خوف".

_ أدريان ويتشارد - إيدس، مجلة واشنطن بوست

"إن كتاب لاهي هو بالتأكيد هدية للآباء، وناقوس خطر لتذكيرنا بأن وظيفتنا ليست جعل أبنائنا سعداء أو ناجحين اليوم، بل هي المساعدة على تعزيز شباب المستقبل؛ ليقوموا بذلك بأنفسهم".

_ ليزا هيفرنان، ذا ميد

"إنه كتاب مهم ومتوازن، يهدف إلى تغيير العقلية ويقدم خطوات ثابتة تجاه تشجيع تطوير إيجابي - وحقيقي - للصورة الذاتية".

_ مجلة كيركوس ريفيوز

"قد يبدو أسلوب التربية الذي يعمل على "تجنب الفشل"، في ظاهره، مرادفًا للتربية الجيدة؛ حيث يظل الأبناء في أمان، ويلتحقون بكليات جيدة، ويبدون أكثر سعادة بصورة مؤقتة, ومع ذلك؛ فإن

"لاهي" لا تزعم في كتابها الأول Debut أن الآباء يخدمون أبناءهم بطريقة أفضل عن طريق السماح لهم بالاعتماد على قدراتهم، واختبارهم الفشل بين الحين والآخر ... كما تستخدم لاهي الكثير من العبارات الحكيمة والمفيدة، التي يمكن – ويجب على كل الآباء – قولها".

_ مجلة بابليشرز ويكلي

"من الصعب أن نصف ما يقال عن هذا الكتاب بالمبالغة؛ حيث إنه مكتوب بأسلوب جميل، ومبني على بحث عميق، ولكن الأهم من ذلك كله أنه الكتاب الذي نحتاج جميعًا إلى أن نقرأه لو كنا نريد غرس الثقة والبهجة في الجيل المقبل".

_ سوزان كين، مؤلفة كتاب *Quiet: The Power of Introverts in a World That Can't Stop Talking*

"يوضح لنا هذا الكتاب الرائع، والمحفز للتفكير، أنه علينا السماح لأبنائنا بالفشل لمساعدتهم على النجاح؛ لذلك فإن قراءته ضرورية للآباء، والمعلمين، والمدربين، والمختصين النفسيين، وأي شخص يود إرشاد الأطفال تجاه حياة الاستقلالية، والإبداع، والشجاعة".

_ جريتشن روبين، مؤلفة كتاب مشروع السعادة*_

"أخيرًا، أصبح لدينا ترياق لهذه الهستيريا! حيث تقوم جيسيكا لاهي –من خلال تقديمها مزيجًا متقنًا من الحكايات والأبحاث– بتوصيل درس يحتاج إليه الآباء والأمهات حاجة ماسة، ويتمنون تعلمه سرًّا، وهو: أن الفشل أمر ضروري لنجاح الأطفال. وفي رأيي فإن أي أب يتوق إلى اتباع نهج أكثر استنارة وتعقلًا في تربية الأطفال– عليه قراءة هذا الكتاب؛ فالأم العطوف والمعلمة المتفانية، جيسيكا لاهي، تعلم تمامًا وبشكل قاطع عما تتحدث".

_ جينيفر سينيور، مؤلفة كتاب *All Joy and No Fun*

"لقد كشفت لنا جيسيكا لاهي ما ارتكبت من أخطاء مع أبنائها وطلابها، وكيف أصلحت أساليبها بشكل ممنهج، بدلًا من محاضرتنا بشأن الأخطاء التي نرتكبها؛ لذا فهو كتاب عملي، ومحفز للآباء الذين يرغبون في تربية أطفال مرنين، ولكن لا يعرفون كيف يبدأون".

_ **أماندا ريبلي، مؤلفة كتاب** *The Smartest Kids in the World: And How They Got That Way*

"تقدم إلينا لاهي واحدة من أهم رسائل التربية في عصرنا، وهي: لن يفلح أبناؤنا في المدرسة أو الحياة ما لم ندعهم يتعلمون كيفية مواجهة التحديات. ويحكي كتابها المفيد للغاية قصتها، ويجمِّع عددًا من الأبحاث، ويقدم مئات المقترحات القابلة للتنفيذ".

_ **إلين جالينسكي، مؤلفة كتاب** *Mind in the Making: The Seven Essential Life Skills Every Child Needs*

"كيف يمكننا تربية أبنائنا ومساعدتهم على أن يصبحوا بالغين سعداء، وواسعي الحيلة؟ توضح لنا لاهي بشكل عملي كيف يمكنك معرفة ما صار بوسع ابنك عمله، وكيف تقدم إليه الدعم بينما تشجع اعتماده على ذاته؛ فهو كتاب حكيم، وممتع، حافل بالأبحاث العلمية ومُطعم بالمنطق السليم".

_ **دانييل تي. ويلينجهام، مؤلف كتاب** *Why Don't Students Like School: A Cognitive Scientist Answers Questions About How the Mind Works and What It Means for the Classroom*

"ببساطة، أعتقد أن هذا الكتاب واحد من أهم الكتب التي تم تأليفها بشأن تربية الأطفال منذ فترة طويلة وأكثرها فائدة، وتحفيزًا للتفكير، كما أعتبره واحدًا من أهم الكتب التعليمية؛ لأن جزءًا كبيرًا منه يتعلق بتعامل الأسرة مع كيفية تعلم ابنها".

_ **إيريك ماسنجر، مجلة نيويورك فاميلي**

---

* متوافر لدى مكتبة جرير

إهداء

إهداء إلى بنجامين وفينجان

الأمير هال، الفصل الأول، المشهد الثاني،مسرحية هنري الرابع، الجزء الأول

إني أفهمكم جميعًا، ولكنني حاليًّا سأتغافل

وسأساير سلوككم الغوغائي عديم الفائدة،

ولكنني بذلك سأكون مثل الشمس

التي تسمح للسحاب الداكن

بإخفاء جمالها عن الوجود،

حتى إذا ما أرادت استعادة نورها وبث ضيائها مرة أخرى،

وارتأت حاجة الناس إليها وإعجابهم بها،

فإنها تخترق الضباب الذي خُيل إلى الناس أنه خنق ضياءها،

ولو استحال العالم كله إلى أوقات لهو،

لكان اللهو مملًّا مثل العمل؛

ولكن لو كان هذا اللهو نادر الحدوث، لاشتدت رغبتنا إليه،

وليس هناك أغلى من تلك الحوادث نادرة الحدوث،

لذا عندما أتخلى عن هذا الادعاء الشائن

وأفي بالوعد الذي لم أقطعه قط،

سأشعر حينها بأنني رجل أفضل كثيرًا،

وبهذا سأثبت خطأ توقعات الجميع بشأني،

وسيشع معدني البراق كاللؤلؤة في ظلمة البحر القاتمة،

ويطغى بضيائه على خطيئتي وماضيَّ،

وهكذا تبدو صنائعي أكثر جمالًا وجاذبية للعيون

من تلك التي لا خطيئة فيها تجليها،

ولأقترفن الخطيئة وأجعلها مهارة،

ثم أخلص نفسي في الوقت الذي لا يُتوقع مني أن أفعل ذلك.

مقدمة:كيف تعلمت تقبُّل الأمور على حالها

أصبحت أمًّا ومعلمة للمرحلة الإعدادية في العام نفسه؛ حيث شكل هذا الدور المزدوج الأسلوب الذي ربيت به ابنيَّ، ودرَّست به لطلابي؛ فعلى مدار عقدي الأول من تربية ولدين، والتدريس لمئات الأطفال، تسلل إليَّ شعور بعدم الارتياح، وشككت في أن هناك خللًا ما في أسلوب تربيتي، لكن حين التحق ابني الأكبر بالمدرسة الإعدادية اصطدم عالماي، واتضح لي أساس المشكلة، وهو: أن الأسلوب التربوي المتبع اليوم الذي يعتمد على فرط حماية الأبناء وتجنيبهم الفشل قد قوَّض الكفاءة، والاستقلالية، والقدرات الأكاديمية لجيل كامل. ومن موقعي هذا في مقدمة الفصل المدرسي، دائمًا ما اعتبرت نفسي جزءًا من الحل، وبطلةً لبسالة طلابي الفكرية والعاطفية، لكن عندما بدأت مشاعر الخوف والقلق نفسها التي ظهرت لدى طلابي تظهر لدى ابني، اضطررت إلى الاعتراف بأنني كنت أيضًا جزءًا من المشكلة.

لقد علمنا أبناءنا الخوف من الفشل؛ وبذلك فقد قطعنا أوضح طرق نجاحهم وأضمنها؛ وهو بالتأكيد ما لم نقصد فعله، لكننا فعلنا لأسباب مقنعة ونيات طيبة، إلا أن هذا ما صنعناه، فمن منطلق محبتنا ورغبتنا في حماية اعتزاز أطفالنا بذواتهم، أزلنا كل العثرات والعقبات التي تعترض طريقهم؛ ممهدين أمامهم الطريق الذي نأمل أن يقودهم إلى النجاح والسعادة. وللأسف، عندما فعلنا، فقد حرمنا أبناءنا من أهم دروس الطفولة؛ فالعقبات، والأخطاء، والحسابات الخاطئة، والتجارب الفاشلة التي أزلناها من طريق أبنائنا هي الخبرات التي تعلمهم كيف يكونون مواطنين واسعي الحيلة، ومثابرين، ومبتكرين، ومرنين في هذا العالم.

وبينما كنت أقف في فصلي المدرسي في اليوم الذي اتضحت فيه الحقيقة لي؛ حيث كنت أنظر إلى الطلاب أمامي، وأرى دوري التربوي بشكل واضح للمرة الأولى، عزمت على فعل ما يجب عليَّ لإرشاد ابنيَّ وطلابي على حد سواء صوب الطريق إلى الكفاءة والاستقلالية. وبالطبع ليس الطريق انسيابيًّا، ولا الرحلة سهلة، ولكن هذا هو المقصد نوعًا ما؛ حيث يجب علينا نحن الآباء أن ننسحب، تاركين تلك العقبات المخيفة في الطريق؛ سامحين لأبنائنا بمواجهتها وجهًا لوجه، ومع دعمنا

ومحبتنا و**الكثير** من ضبط النفس، يتمكن أطفالنا من تعلم كيفية تدبر الحلول، وتمهيد طرقهم المؤدية إلى النجاح، التي هي حقًّا من صنعهم.

أخذ الشعور بعدم الراحة الذي كنت أشعر به تجاه أسلوبي التربوي يتزايد فترةً، لكنني لم أستطع وضع يدي على المشكلة؛ فتصفحت كل المدونات التي تتحدث عن التربية، سواء المثيرة للهمة أو المثبطة للعزيمة، وقرأت كتب الخبراء عن كيفية تنشئة أطفال سعداء وأصحاء. وعلى الرغم من ذلك، وبينما كنت أشاهد ولديَّ يقتربان من مرحلة المراهقة، كنت أشعر بأن هناك شيئًا خاطئًا. وقد كانا في حال جيدة ومستقرين، لكنني لم أستطع التخلص من إحساسي بأنهما سيكونان غير مهيأين عندما يحين وقت اعتمادهما على نفسيهما وشق طريقهما في الحياة؛ حيث سيظلان واثقين بنفسيهما وناجحين ما داما موجودين داخل ملاذهما الآمن الذي صنعته لهما، ولكن حينما يتم إجبارهما على المغامرة خارجه، فهل سيعرفان كيف يتصرفان؟ فلقد بحثت وخططت وشكلت طفولتهما بنجاح كبير، لدرجة أنني فشلت في تعليمهما كيفية التكيف مع العالم وفقًا **لشروطه**.

ولم أقصد قط أن أعلم ابنيَّ أن يكونا عاجزين أو خائفين من الفشل، ولم أتوقع لهما بالطبع أن يعيشا حياة مليئة بالقلق، بل على العكس تمامًا، ظننت أن ابنيَّ سيكبران ليكونا شجاعين، في هذه البرية، الخالية من المثالية التي واجهتها عندما كنت طفلة، وأردت لهما أن يقتحما الغابات، ويستكشفاها، حاملين معهما سكين جيب وقطعتين من الكعك في جيبيهما، وأن يبنيا بيتًا صغيرًا على الأشجار ليكون لهما بمنزلة الحصن، ويطلقا منه الأسهم المصنوعة يدويًّا على أعدائهما الخياليين، ثم يسبحا في البحيرة. كما أردت لهما أن يحظيا بالوقت والشجاعة لتجربة الأشياء الجديدة، واستكشاف حدودهما، والسعي إلى ما وراء مواطن راحتهما.

ولكن تحولت هذه الحياة المثالية لمرحلة الطفولة بطريقة ما، ولسبب ما، إلى شيء مختلف كثيرًا، وأصبحت سباقًا متوحشًا، عالي الخطورة نحو القمة؛ فلقد أصبحت الأمسيات الهادئة اليوم أشبه بحلم طريف من الماضي؛ بسبب تضاعف الضغط من أجل تحقيق النجاح في سن مبكرة على الآباء والأبناء على حد سواء؛ فهو لا يتبدد أبدًا، ولم يعد هناك مجال في جداول أطفالنا لقضاء أوقات ترفيه في الغابات، ناهيك عن فرص حل المشكلات للخروج من الطين والوحل اللذين يتعثرون فيهما هناك. وقد أصبح في المفهوم الجديد للحياة العادية لكل لحظة أهميتها، وكلما كان أبناؤنا ناجحين

كطلاب، ورياضيين، وموسيقيين، حكمنا على أنفسنا بالنجاح أكثر باعتبارنا آباء؛ فالسباق إلى القمة يبدأ عندما يخطو أبناؤنا خطواتهم الأولى، ولا ينتهي إلى أن يتم تأمين دخل مكون من ستة أرقام، وترقية اجتماعية اقتصادية. وبربك، أي أم مهملة يمكن أن تسمح لأبنائها باللعب وحدهم في الغابة في أثناء وقت إنجاز الفروض المنزلية، وجيوبهم مكتظة بالجلوتين والسكر، مسلحين حتى أعناقهم بسكاكين الجيب والأسهم؟

استوعبت أخيرًا، بينما كنت واقفةً في فصلي في المدرسة الإعدادية، مشدوهة بإدراكي ذنبي في إفراطي في التربية، كم ابتعدنا نحن الآباء عن أسلوب التربية القويم، وضللنا الطريق.

نأتي إلى هذا العالم بطفل جميل وغالٍ، وبعد انقضاء لحظات السعادة الأولى، ندرك أن هدفنا الجديد في الحياة هو حماية هذا الكائن الهش من الأذى. ولو صدَّقنا وسائل الإعلام التي تبث الأخبار المفزعة للمتابعين، فسنشعر بأن الأذى يحيط بنا من كل اتجاه، مثل: خاطفي أطفال متنكرين في زي ممرضات قسم التوليد، والجراثيم المقاومة للمضادات الحيوية، والمواد الكيميائية السامة، والقراد الحامل للأمراض، والأطفال المتنمرين، والمعلمين المجحفين، والمجرمين مطلقي النار في المدارس ... فلا عجب في أن نُصاب بالجنون حين يتعلق الأمر بأبنائنا.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الخوف لا يجعلنا نفرط في حماية وتربية أبنائنا فحسب؛ بل إنه يُشعرنا بالرعب، وبضيق الأفق، ويجعلنا سريعي التصديق لهؤلاء الذين يسعون إلى تأجيج مخاوفنا الأبوية؛ ولهذا تكون تهدئة أنفسنا بحماية أبنائنا من كل المخاطر أكثر يسرًا من التريث لتحديد المخاطر الضرورية لتطورهم وصحتهم النفسية، فنحن نحمي أطفالنا من كل التهديدات، سواء أكانت حقيقية أم خيالية، وعندما نأخذ أطفالنا إلى أسرتهم ليلًا، وهم أصحاء ليست بهم أية خدوش أو كدمات، أو جروح عاطفية، نشعر بأن لدينا، يومًا آخر، دليلًا ملموسًا على نجاحنا في تربية أطفالنا.

نفرح بسلامة أبنائنا، ونؤكد لأنفسنا أن هناك متسعًا من الوقت لتعليمهم كيفية التعامل مع المخاطر والفشل؛ وهو ما يجعلك تقول لنفسك ربما سأدعهم يذهبون إلى المدرسة غدًا سيرًا على الأقدام، ولكن اليوم، يجب أن يصلوا إلى المدرسة بسلام، أو ربما يؤدون واجباتهم المدرسية غدًا بمفردهم، ولكن اليوم، هم ناجحون في مادة الرياضيات. وربما يستمر ذلك "الغد" إلى أن يحين وقت رحيلهم من المنزل، وحينها يكونون قد تعلموا أننا سنكون موجودين دائمًا لحمايتهم من أنفسهم.

أنا مذنبة بقدر أي أب؛ فلقد أفرطت في اعتماد ابنيَّ عليَّ، سهوًا مني، كي أتخذ من نجاحاتهما دليلًا على حسن تربيتي لهما وسلامتها. ففي كل مرة أحضر فيها الغداء لابني، أو آتي له بواجباته المنزلية التي نسيها إلى المدرسة، أُكافأ بدليل ملموس على ضميري الحي كأم؛ فأنا أحب، ومن ثم أدعم، وأدعم؛ ومن ثم أنا أحب. وعلى الرغم من علمي في قرارة نفسي أن على ابنيَّ إنجاز مثل هذا النوع من المهام بنفسيهما، فإن إعطائي لهما أمارات صغيرة من محبتي العميقة وغير المشروطة يشعرني بالسعادة. وأطمئن نفسي بأن فترة طفولتهما طويلة وممتدة سنواتٍ، وانتهاءها أمر غير وارد؛ فأمامهما حياتهما كاملةً لتحضير الغداء، وتذكر حقيبتيهما المدرسيتين، أما أنا فلديَّ وقت وجيز لإنجاز تلك الأشياء من أجلهما.

وهناك مصطلح في أوساط الطب النفسي يصف هذا السلوك، وهو التشابك العائلي (أي أن يجعل الآباء الأبناء محور اهتمامهم)، وهذا ليس صحيًّا للأبناء ولا الآباء؛ فهو حالة من الارتباط الوثيق اللا تكيفي الذي يجعل الآباء تعساء ومستائين، ويجعل الأبناء "عاجزين عن الاستقلال بحياتهم"؛ حيث يعودون إلى العيش مع آبائهم مرة أخرى، ويعتمدون عليهم كل الاعتماد بعد التخرج في الجامعة؛ فقد أوضحت دراسة أُجريت عام ٢٠١٢ أنه لا يزال ٣٦٪ من البالغين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٨ و٣١ عامًا يعيشون في منازل آبائهم، ومع أن تدني إحصاءات التوظيف والزواج يُعد سببًا في زيادة تلك النسبة، فهذا لا ينفي كونها جزءًا من توجه أخذ في الزيادة على مدى عقود١. ومن أجل تنشئة أبناء سعداء وأصحاء بإمكانهم بدء مرحلة بلوغهم بمنأى عنا، علينا إقصاء أنفسنا عن حياة أبنائنا وتركهم يفخرون بإنجازاتهم مثلما يتألمون لفشلهم.

ينبغي لنا أيضًا التوقف عن التربية التنافسية؛ لأننا نجحنا في إدخال أنفسنا في نوبة هستيرية من القلق وجنون الارتياب؛ فمنشوراتنا عبر فيسبوك، والنقاشات الجانبية لمباريات كرة القدم مليئة بالحكايات العدوانية السلبية عن الدرجات الشرفية الأكاديمية والأمجاد الرياضية، وعندما يكبر الأبناء في العمر، نقص عليهم حكايات ترددنا على الجامعات المختلفة في جميع أنحاء البلاد لاختيار الأفضل، وتحضيراتنا لاختبارات قبول الجامعات، والتحاقنا بالدورات التدريبية للمستوى الأفضل؛ لأنه وفقًا للأخبار، فإن الدرجة الجامعية الحالية تعادل في أهميتها شهادات إتمام دراستنا الثانوية ... ولكي يحصل أبناؤنا على تلك الدرجة الجامعية، يتعين عليهم تخطي كل العقبات التي لم نتعرض لها قط؛ وذلك لأن الجامعات أصبحت أكثر كلفةً وانتقاءً لطلابها ... كما لم يعد هناك ما يُسمى بالمدرسة

الاحتياطية التي يتم التسجيل بها؛ لكي تضمن التحاقك بكلية إذا تم رفضك من جميع الجامعات التي تقدمت إلى الالتحاق بها ... وبما أن الاقتصاد في الحضيض، فبمجرد تخرج أولادك في أية جامعة تم قبولهم بها، قد يضطرون إلى العمل بالحد الأدنى للأجور؛ ليستطيعوا تحمل نفقات الاشتراك في السكن مع ستة عشر فردًا من أصدقائهم.

علينا التوقف وأخذ نفس عميق؛ فلقد أظهرت الأبحاث أن هذا السلوك، الذي يمكن تسميته بـ"ظاهرة الآباء المصابين بالضغط العصبي"، مُعدٍ للغاية؛ فحتى إن كنت قد حصنت نفسي ضده مقدمًا، فقد وقعت ضحية له؛ وبناءً عليه لست الأم التي تمنيت أن أكون عليها؛ حيث إنني أقلق حيال إنجاز الفروض المنزلية، ومهووسة بمعدلات الدرجات، بينما يلوح شبح الالتحاق بالجامعة بظلاله في الأفق؛ فيبدو الأمر كأنني تخلصت من كبت الصفات القويمة في داخلي، واستسلمت إلى الفكر السائد، وهو: إنني إذا لم أدفع طفليَّ إلى القيام بالمزيد و**التطور**، فإنهما سيفشلان؛ ومن ثم منطقيًّا، سأفشل في دوري كأم.

بحثت عن الآخرين في أحلك لحظاتي للومهم على محنتي، ووجدت العديد من كِباش الفداء، ومنها أن ما أمر به هو ردة فعل لأسلوب التربية في فترة الخمسينيات والستينيات القائم على عدم الإفراط في رعاية الأطفال، وامتدادًا لأسلوب التربية المستخدم مع أبنائنا في فترة الطفولة المبكرة القائم على الارتباط الشديد، ومشاعر الذنب بسبب فشل محاولاتنا في تحقيق التوازن المستحيل بين العمل والعائلة. فلا يبدو أن هناك حلًّا وسطًا، أو ملاذًا آمنًا، بين الحصول على كل شيء أو عدم الحصول على أي شيء.

تختلف أساليب التربية على مر العصور؛ لذلك فإن حقيقة إفراط الآباء في رعاية الأبناء في عصرنا هذا ليست خطأ أحد، بل هي جزء من الفعل ورد الفعل الذي يشكل تاريخ سلالتنا. ففي أوائل القرن العشرين، كان الآباء يُنصحون بألا يمسوا أبناءهم أبدًا خشية أن يفسدوهم بالدلال، ولكن بحلول التسعينيات تغير هذا المفهوم؛ حيث بدأ الخبراء إدراك دور التربية بالارتباط؛ فصاروا ينصحون الآباء بالنوم، والأكل، والاستحمام، وقضاء الحاجة، والتنفس من دون ترك أطفالنا على غرار الكنغر الذي لا يفارق صغيره. وبالطبع، تغير أسلوب التربية بشكل عقلاني، فكان طبيعيًّا ومتوازنًا في الفترة ما بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٠، وأنا ممتنة إلى الأبد لكوني نشأت في تلك الفترة المعتدلة،

لكن هذا التوازن انتهى سريعًا جدًّا؛ فتغير أسلوب التربية، وبدأ هذا العصر الذي وجدنا أنفسنا فيه الآن.

إذا نشأت في سبعينيات القرن الماضي، فإنك على الأرجح كنت طفلًا يبقى في المنزل من دون رعاية في أثناء عمل كلا أبويه خارج المنزل٢. وبينما يربط بعض منا هذا المصطلح بالطفولة الوردية الرومانسية، فإن البعض الآخر يشيرون إلى غياب الإشراف الأبوي بأنه أقرب إلى التخلي والهجر؛ وتباعًا، بدأوا تقديم التعويضات إلى أبنائهم؛ حيث تتمثل هذه الجهود الرامية إلى تعويضهم عن الغياب الملحوظ لإرشادنا في: وجودنا الدائم معهم، ومساعدتنا الدائمة لهم، وتذكيرنا إياهم دومًا بالأشياء التي عليهم فعلها، وحمايتنا الدائمة لهم، كذلك يتخلى بعض الآباء - وفي الأغلب الأمهات - عن وظائفهم من أجل المنزل كجزء من هذه الجهود التعويضية؛ عازمين بإدراك كامل على التفرغ التام لتقديم الرعاية لأبنائهم. وفي كثير من الأحيان، تندفع الأمهات لاتباع أسلوب التربية الذي يحتاج إلى التفرغ التام، مزودات بمهارات اكتسبنها من التعليم العالي، ومن عالم العمل، ويأخذن الأمر بحزم وجدية، لكن ما مدى صعوبة التربية؟ إن توصيل الأبناء إلى أفضل الجامعات، أشبه بأن تصبح شريكًا في شركة قانونية في وول ستريت، كأن الأمر مجرد مسألة تنظيمية، وقيادية، وإدارية دقيقة للموارد الأكاديمية واللامنهجية.

وفي الوقت نفسه، كان الآباء الذين يستمرون في وظائفهم يشعرون بالتقصير لتقديمهم أعمالهم على أطفالهم، وبأنهم ملزمون بإظهار تمكنهم من فعل كل شيء للعالم. ومرة أخرى، يكون النجاح مجرد مسألة تنظيم وحيلة؛ فكان الآباء يصنعون جدولًا لكل شيء، فتارة يعدُّون الكعك لأطفالهم، وتارة أخرى يحضرون اجتماع مجلس الإدارة، وتارة يحضرون اجتماع أولياء الأمور في المدرسة، وتارة أخرى يتواصلون مع العملاء في السيارة عبر تطبيق سكايب في طريق العودة إلى المنزل. بالإضافة إلى ذلك، كان الرهن العقاري ومدفوعات رعاية الطفل يتطلبان دخلين للوفاء بهما، وبما أن الاقتصاد منهار، فإن تنازل أحد الآباء عن الراتب والاستحقاقات الثابتة إلى الأبد من أجل التفرغ لرعاية الأبناء بدا أمرًا سخيفًا.

حققنا أقصى استفادة بالمهارات التي عملنا بجد لاكتسابها؛ حيث طوعنا مهارات مجال العمل لجعلها تخدم رعاية أبنائنا؛ فتم تعديل الجداول الزمنية للاجتماعات ومخططات إدارة المشروعات؛

لتصبح أنشطة مدرسية مكتوبة على ورق ملون مرقم، وتقويمات لتوصيل أولياء الأمور إلى أبنائهم وأبناء الآخرين بالسيارة إلى المدرسة، ونقوم بهذه المخططات كل دقيقة. وتم تخصيص المهارات الإدارية التي كانت تستخدم سابقًا في إرشاد فرق الموظفين تجاه تحقيق المبيعات ربع السنوية لتخطيط حملات تُجرى على مدار الفصل الدراسي لمساعدة الأبناء على تحسين درجاتهم المدرسية، وهو ما أعرفه جيدًا؛ لأنني قد استخدمت كل حيلة تعلمتها في جامعتي وفي دراستي القانون، فعندما عدت إلى العمل بعد إنجاب ابني الأكبر "بن"، استخدمت جداول البيانات، وبرمجيات قاعدة البيانات لتأريخ كلماته الأولى، ومدخلات ومخرجات جهازه الهضمي، ومراحل تعلمه للقراءة. كانت تلك هي المعدات الموضوعة تحت تصرفي؛ وبما أنني عملت طويلًا وجاهدةً من أجل الحصول عليها، لم يكن تركها تذهب هباءً تصرفًا صحيحًا. وقد شعرت بارتياح تجاه هذه التدابير عندما بحثت عن أدلة تصدق على تربيتي ابنيَّ، ووجدت كلامًا فارغًا، وكان حليفي الوحيد في هذا المسعى طبيب الأطفال الخاص بابني؛ الذي أمدني **على الأقل** بمخططات النمو التي خططت تقدم رضيعي، بالمقارنة مع سائر الأطفال الآخرين؛ فإذا وصل وزنه وطوله إلى خمسين في المائة من الوزن الذي تتضمنه مخططات النمو، فهذا رائع؛ ويعني أنني قد أحرزت تقدمًا جيدًا، وأديت دوري كأم على أكمل وجه. وإذا كان مؤشر كتلة الجسم لديه أقل قليلًا من معدله، أكون قد أحسنت صنعًا، وأحرز بعض النقاط الإضافية؛ لأنني استطعت على الأقل تجنيبه وباء البدانة في مرحلة الطفولة. وفي نهاية الزيارة، على الرغم من ذلك، احتجت إلى الطبيب الجيد ليمنحني حكمًا، ويجيب عن مناشدتي غير المعلنة: هل نلت شرف الأمومة؟ أو هل نجحت في تربية ابني أم فشلت؟ وماذا عن باقي الآباء الموجودين في غرفة الانتظار في الخارج؟ هل تفوقت عليهم؟ بحقك، ساعدني أيها الطبيب: علامَ حصلت في اختبار الأمومة هذا؟

بطبيعة الحال، لا تنطبق الإستراتيجيات التي تجعلنا ناجحين في عالم الأعمال على مجال التربية؛ فقد كشفت الأبحاث العلمية العديدة، التي أُجريت على تطور الطفل وعلم النفس السلوكي، أنه على الرغم من أن تلك الأساليب ربما تؤتي ثمارها في تحفيز عمال خط التجميع، فهي أدوات غير فعَّالة في تحفيز الأطفال على الانخراط في إيجاد الحلول المبتكرة للمشكلات، وتقوِّض بالفعل التحفيز طويل الأجل والاستثمار في التعلم. ولعل ما هو أكثر ضررًا أن استخدام الجوائز والحوافز يقدم النتائج والدرجات على الاكتشاف والتجربة؛ ما يقوِّض قدرة المعلم على تعزيز التعلم الذاتي والفعلي.

وعلى الرغم من وفرة الأدلة التي تؤكد حماقة تلك الأساليب، فإننا مستمرون في تضمينها في أسلوب تربيتنا. ونتيجة الافتقار إلى الحصول على تقييمات الأداء بصورة منتظمة من سلطة أعلى؛ يستمد الكثيرون منا التغذية الراجعة التي نحتاج إليها كي نشعر بأننا نقوم بدورنا بشكل جيد من أبنائنا. فمثلًا، لو كان أبناؤنا ضمن الطلاب المكتوبة أسماؤهم في لوحة الشرف، وكانوا قادة فريق كرة القدم، بينما لا يزالون طلابًا جددًا، فلا بد أننا آباء عظماء. وعلى النقيض من ذلك، عندما يرسب الطفل في اختبار، أو يُعاقب لعدم تسليمه بحثًا في مادة العلوم، **فإننا** بذلك اقترفنا خطأ؛ ففي النهاية، يتم الحكم على الآباء وفق إنجازات أبنائهم لا وفق سعادتهم؛ لذلك عندما يفشل أبناؤنا، ننسب هذا الفشل إلى أنفسنا.

ولا يُعد هذا الأمر كارثيًّا بالنسبة إلى تقدير الآباء لأنفسهم فحسب؛ بل إنه يفتقر إلى بُعد النظر والخيال معًا؛ فالفشل - بدايةً من الأخطاء البسيطة إلى الأخطاء الضخمة - أمر ضروري وجزء بالغ الأهمية في تطور أبنائنا. وعادة ما يوصف الفشل بأنه أمر سلبي: كالرسوب في اختبار الرياضيات، أو الفصل المؤقت من المدرسة. وعلى الرغم من ذلك، فإن جميع أنواع الإحباطات، والرفض، والتصحيحات، والانتقادات هي إخفاقات بسيطة؛ فكل تلك الفرص هي هدايا قيمة متنكرة يساء تعريفها بأنها مأساة. وللأسف، حين نتجنب تلك الفرص أو نضيعها؛ في سبيل المحافظة على راحة الأبناء وسعادتهم قصيرة الأجل، فإننا نحرمهم من التجارب التي يحتاجون إلى خوضها؛ لكي يصبحوا بالغين مؤهلين وقادرين.

ويكون الفشل مخيفًا بما يكفي حين نواجهه نحن مباشرة، ولكن حين يكون أبناؤنا قريبين جدًّا منه، فإننا نتغلب عليه بدافع حاجتنا الأساسية والطاغية إلى حماية أبنائنا؛ وهو ما يبدو منطقيًّا جدًّا من منظور الارتقاء، فحماية أبنائنا من الأذى رغبة مترسخة بالفطرة في قلوبنا وأحماضنا النووية؛ لذا عندما نُكلَّف برعاية أبنائنا إلى أن يصلوا إلى سن البلوغ، نكون مستعدين لمحاربة كل ما يهدد نجاحهم بكل ما أوتينا من قوة وذكاء. وللأسف عندما نكون متحمسين بفعل الأدرينالين والكورتيزول، لا يميز مخنا بين الأخطار الحقيقية المميتة التي تهدد الحياة، والأخطار البسيطة التي يمكن تدبرها؛ كخطر لاعب منافس في فريق كرة القدم يقطع الملعب بسرعة فائقة ليخطف الكرة من ابننا؛ فالوثب أمام هجوم حيوان مفترس في غابات السافانا والصياح بحكم المباراة لقرار خاطئ اتخذه، هما مجرد "شكلين مختلفين للمثير البيولوجي نفسه"٣؛ لذا عندما ترغب في أن تدفع الفتاة

الصغيرة التي قذفت بالرمال في وجه ابنك، أو أن تلكم المعلم الذي هدد ابنك بالرسوب في مشروعه في مادة العلوم، تذكر إذ بينما تعُد أنت هذه التصرفات غير عقلانية، فإنها استجابات مقبولة اجتماعيًّا للضغوطات الصغيرة، فهي نابعة من الطبيعة البيولوجية التي نتشاركها جميعًا؛ فكلنا يود أن يصل أبناؤه بأمان إلى مرحلة البلوغ، وغالبًا ما نشعر بأن الأمر كله يعتمد علينا.

ويشكل الفشل تهديدًا أشد خطورة من النمور ذات الأسنان السيفية، والمنحدرات غير الممهدة؛ فهو الخطر الوحيد الذي لا يتحمل أبناؤنا مواجهته في أوقات الضغط الدراسي، والاستبعاد من الجامعات. وعلى الرغم من ذلك، فإن التاريخ حافل بقصص أشخاص استثنائيين مخترعين ومبتكرين تعلموا كيف يطوعون هدايا الفشل لمصلحتهم، فلم يفروا منه، بل ظلوا برفقته مدة طويلة بما يكفي ليصبحوا مرتاحين وسط الحُطام المبعثر لآمالهم المهدَّمة وخططهم الخاطئة، وتعلموا كيفية إنقاذ ما يجدي نفعًا مع التخلي عن تلك الخطط؛ ليجمعوا شتات أنفسهم فقط، ويبنوها من جديد، فكما لخصت "آنجيلا داكوورث"؛ الحاصلة حديثًا على زمالة برنامج ماك آرثر، والمعلمة السابقة للمرحلة الإعدادية: إن القدرة على الاهتمام بمهمة ما، والالتزام بالأهداف طويلة الأجل هي أعظم مؤشر للنجاح، فهي أعظم من الإنجازات الدراسية، ومن الانخراط في الأنشطة اللامنهجية، ومن نتائج الاختبارات، ومن معدل الذكاء. وتطلق "آنجيلا" على هذه القدرة العزيمة، وقد اكتشفت قوتها أول مرة في الصف، بينما كانت تُدَرِّس الرياضيات للصف السابع؛ فتركت التدريس لمواصلة البحث المتعلق بحدسها. ونتاجًا لما توصلت إليه استطاعت تغيير نظرة المعلمين إلى إمكانات الطالب؛ فالطلاب ذوو العزيمة يحققون النجاح، ويقوي الفشل من عزيمتهم أكثر من أي اختبار آخر.

وفي كل مرة ننقذ أطفالنا فيها، أو نشملهم بالرعاية المفرطة، أو نحميهم من تحدٍّ ما، نبعث برسالة واضحة مفادها: إننا نؤمن بأنهم غير مؤهلين وعاجزون وغير جديرين بثقتنا، والأدهى من ذلك أننا نعلمهم الاعتماد علينا؛ ومن ثم نحرمهم من تعليمهم الكفاءة التي خُلقنا على هذه الأرض لنورثهم إياها.

لكن إليك الحقيقة التي أظهرتها الأبحاث مرارًا وتكرارًا: يكون الأطفال الذين لا يسمح لهم آباؤهم بالفشل **أقل** انخراطًا، و**أقل** حماسًا بشأن دراستهم، و**أقل** تحفيزًا، وأخيرًا **أقل** نجاحًا بالنسبة إلى الأطفال الذين يدعم آباؤهم اعتمادهم على أنفسهم.

وتشير عقود من الدراسات ومئات من أوراق الأدلة العلمية جميعًا إلى استنتاج واحد يبدو جنونيًّا، ولكنه يجدي نفعًا بكل تأكيد، وهو: إذا خفف الآباء ضغطهم وقلقهم بشأن الدرجات والإنجازات، وركزوا اهتمامهم على الصورة الكاملة -حب التعلم وتحقيق الاستقلال - فإن الدرجات تتحسن وترتفع نتائج الاختبارات؛ فالأطفال الذين يكون آباؤهم مسيطرين ومتحكمين في توجيههم، يكونون غالبًا أقل قدرة على خوض التحديات الفكرية والجسدية عن أقرانهم الذين يستفيدون من آبائهم الذين لا يتدخلون في حياتهم بشكل سافر، ويسمحون لهم بالمحاولة والفشل والمحاولة من جديد؛ بالإضافة إلى أن الفشل الذي يختبره أبناؤنا عندما لا نتدخل ونسمح لهم بارتكاب الأخطاء ليس جزءًا ضروريًّا فقط من أجل التعلم، بل إنه التجربة التي تعلمهم كيف يكونون مرنين وقادرين ومبدعين في حل المشكلات.

وقد تعرضت الولايات المتحدة للانتقادات؛ بسبب تنشئتها جيلًا من المفكرين غير المرنين، وهم طلاب بإمكانهم حفظ مناهجهم عن ظهر قلب، وإفراغها في ورقة الاختبار، لكنهم عاجزون عن استغلال تلك المعلومات لإجابة الأسئلة بطرق جديدة ومبتكرة، وهذا يرجع في جزء منه إلى اعتماد نظام التعليم على الاختبار الموحد عالي الخطورة كمقياس لكفاءة هذا النظام؛ وببساطة لأن آباء هذا العصر لا يسمحون لأبنائهم بخوض تجربة الفشل المزعجة والفوضوية مدةً طويلةً بما يكفي للتصالح مع أوجه القصور للخطة أ ووضع خطط أخرى ب، ج، د، هـ؛ حيث يبلي الكثير من الأطفال بلاءً حسنًا في الاختبار، مستخدمين الخطة أ، ولكن الطفل الذي سيقوم بابتكار حقيقي، ويغير عالمنا هو من حاول وفشل، وأعاد استجماع نفسه لكي يحاول مجددًا، متسلحًا بخمس وعشرين خطة أخرى، ولا يكون هذا الطفل مبدعًا ومبتكرًا في تفكيره فقط، بل إنه أيضًا لا يخشى تجربة إستراتيجيات جديدة، وستكون لديه الشجاعة والتصميم للعمل على آلاف الحسابات الخاطئة في سعيه للوصول إلى حل مُجدٍ، كما سيكون قادرًا على استجماع نفسه في مواجهة الفشل المتكرر، ومثل "توماس إديسون" سوف يتعلم الدروس الكامنة في اكتشاف آلاف الطرق التي **لم** يعمل بسببها مصباح الإضاءة قبل اختراع المصباح الذي يعمل.

وكانت لحظة التبصر تختمر داخلي منذ فترة طويلة؛ حيث إنني لم أكن مرتاحة لرعاية أبنائي المفرطة منذ فترة، ولكن عليَّ شكر طلابي (مجددًا) لجعلي أرى ما كنت عاجزة عن رؤيته؛ ففي كل

عام يقوم طلاب الصف الثامن بكتابة مقالات بشأن التجربة التي أسهمت في تشكيل تعليمهم، وبعد مجهود كبير، سلمتني إحدى أكثر الطالبات اكتئابًا وقلقًا هذه الفقرة التالية:

يخشى بعضنا المرتفعات، ويخشى بعضنا الآخر الماء؛ أما أنا فأخشى الفشل؛ وهو ما يُسمى، للعلم، بالأتيكوفوبيا، أو رهاب الفشل؛ فأنا أرتعب من الفشل لدرجة أنني أفقد تركيزي على ما هو مهم فعلًا؛ ألا وهو التعلم. فبالتركيز على النتائج، أفقد قيمة الفرض المدرسي الفعلي، وأحرم نفسي من التعلم.

وتابعت سرد كل أشكال تقييد هذا الخوف لها في الدراسة وممارسة الرياضة، ولكنني وقفت جامدةً أمام العبارات الأولى تحديدًا؛ فلقد اجتمع في اعترافها هذا خبرتها باعتبارها طالبة، وخبرتي المهنية مع أبويها، وتربيتي ابنيَّ، ومخاوف ابني. فهذه الطالبة أبواها رائعان ولطيفان ومهتمان، ولم يقصدا قط زرع هذا النوع من الخوف في ابنتهما. وبصراحة، ستكون التداعيات مشكلتهما التي عليهما التصدي لها، بالإضافة إلى حقيقة أن الاختيارات الخاصة التي يتخذها الآباء تقوِّض التطور الاجتماعي والدراسي والعاطفي لأطفالهم، كما تتعارض في نهاية المطاف مع قدرة المعلم على تعليم أبنائهم.

وعلى الرغم من التفاؤل والطاقة غير المحدودين لآلاف المعلمين الجدد الذين يلتحقون بمجال التعليم كل عام، يفيد الاتحاد الوطني للتعليم بأن ثُلث هؤلاء المعلمين سيستقيلون بعد مرور ثلاثة أعوام، وأن ٤٦٪ منهم سيستقيلون خلال خمسة أعوام، ووفقًا لـ"رون كلارك"، الحائز على جائزة ديزني لأحسن معلم أمريكي، فإن معظم المعلمين الفارين يستشهدون بـ"المشكلات مع أولياء الأمور" كواحد من أسبابهم الرئيسية لترك هذه المهنة. وفي مقابلة تليفزيونية أجرتها معه قناة سي إن إن عام ٢٠١١، تحدث "كلارك" عن حوار دار بينه وبين مديرة تم اختيارها مديرة العام في ولايتها، ولكنها اختارت أن تترك مجال التعليم، فقال: "صرخت قائلًا: "لا يمكنك تركنا"، فأجابت بكل صراحة: "اسمع، لو عُرض عليَّ تولي إدارة نظام دراسي خاص بالأيتام، فسأقبل به، ولكنني لا أستطيع التعامل مع الآباء بعد الآن؛ فهم يقتلوننا""". وهذه المديرة مثلي؛ فأنا أحب التدريس حبًّا جمًّا، ولكن "المشكلات مع الآباء" تجعل الأوهام تراودني بشأن تركي المهنة إلى الأبد، وانتقالي للعيش في ألاسكا؛ حيث أربي الكلاب التي تجر زلاجات التزحلق؛ ذلك لأن "المشكلات مع أولياء الأمور" هي مصدر كوابيسي.

أصبحت الآن أدرك الأسباب الرئيسية لمخاوف الآباء وقلقهم، وصرت أفعل ما بوسعي لأقنعهم بأن هفوة صغيرة في مسيرة أبنائهم ليست بالأمر الجلل بالنسبة إلى الصورة الكاملة، وأنها بإمكانها أن تكون فرصة عظيمة لتعليم أبنائهم القدرة على الصمود، ثم أتراجع، وأدع هؤلاء الآباء القلقين يهدأون، وأساعدهم ليروا أن لديهم أطفالًا رائعين، ولطفاء، وأسخياء، وفضوليين، وأطمئنهم إلى **أنهم سيكونون بخير**، وأنهم بالتأكيد سيقومون بأداء أمور رائعة ومثيرة للاهتمام في حياتهم، ولن يتذكر أحد أيًّا من الخطايا أو الإخفاقات التي أدت إلى اجتماعنا هذا. بعض الآباء يصدقونني، ولكن عددًا أكبر كثيرًا منهم لا يصدقني؛ فيغادرون مكتبي مقتنعين بأن تقدير جيد منخفض الذي حصل عليه أبناؤهم عن هذا الفصل الدراسي يعلن نهاية أحلامهم في تعليم متميز، وأمن اقتصادي، وحياة سعيدة.

كثيرًا ما كان من الصعب أن تكون معلمًا، وهو ما يساوي في درجة صعوبته أن تكون والدًا؛ حيث ينبغي أن يكون هناك العديد من الأسس المشتركة من أجل التعاطف المتبادل؛ ففي النهاية، جميعنا يعمل من أجل تحقيق هدف مشترك، وهو: تعليم أبنائنا. وللأسف، غالبًا ما يدخل الآباء الذين يجعلون أولويتهم حماية أبنائهم من الفشل في صراع مع المعلمين الذين يجعلون أولويتهم تحدي طلابهم؛ وبناءً عليه، وصلت علاقة المعلمين بالآباء إلى نقطة انهيار، فأصبح التدريس عملية شد وجذب بين قوتين متعارضتين؛ حيث يريد الآباء من المعلمين تعليم أبنائهم بصرامة متزايدة، مع رفضهم تلك الدروس الصارمة؛ لأنها "قاسية جدًّا" أو "محبطة جدًّا" ليتحملها أطفالهم بحسب تعبيرهم، فالآباء يشعرون بأن من حقهم حماية اعتزاز أبنائهم بأنفسهم، ولكن الغضب الأبوي غالبًا هو أسوأ ما يتحمله المعلمون.

لقد وجدت صعوبة في إيجاد أفضل وسيلة لدعم الآباء في جهودهم المبذولة لحب أبنائهم وتربيتهم، بينما كنت أعلمهم كيفية التراجع قليلًا والسماح لأبنائهم بالمساحة الآمنة التي يحتاجون إليها؛ لكي يقوموا بتجربة الفشل، خاصة عندما يلتحق هؤلاء الأطفال بالمرحلة الإعدادية؛ فهي وقت ذروة الفشل ولو بين الأطفال الناجحين في هذه المرحلة، فإن مجموعة الضغوط التي تتمثل في مرحلة البلوغ، والتطلعات الدراسية المتصاعدة، وزيادة حجم العمل، هي إعداد للفشل. ولعل طريقة تعاون الآباء والمعلمين والطلاب للتغلب على توقعات الفشل التي لا مفر منها تتنبأ كثيرًا بأداء الأبناء في المراحل الثانوية، والجامعية، وما بعد ذلك.

لكن كيف السبيل إلى المضي قدمًا؟ كي يحقق الأبناء الاستفادة القصوى من تعليمهم، ينبغي للآباء التخلي عن سيطرتهم والتركيز على ثلاثة أهداف، هي: اغتنام فرص الفشل، وإيجاد سبل للتعلم من ذلك الفشل، وإقامة علاقات إيجابية بين المنزل والمدرسة. وسأقوم في الفصول التالية بشرح كل من هذه الأهداف بشكل متعمق، كما سأدلك على إستراتيجيات تساعدك على تحقيقها.

وقد عزمت في اليوم الذي اعترفت فيه أخيرًا برعايتي المفرطة لابنيَّ على أن أبدأ تصحيح الأوضاع في منزلي ومع طفليَّ. وقد كان عليَّ فعل شيء ما على الفور، شيء رمزي، وعرفت من أين أبدأ؛ فلم يكن ابني الأصغر، الذي كان حينها في الصف الثالث الابتدائي، يعرف كيفية ربط حذائه؛ فألقيت باللوم في هذا الأمر على اختراع شرائط فيلكرو اللاصقة ولتفضيل ابني انتعال الأحذية التي بلا أربطة، لكنني لو كنت صادقة مع نفسي بشكل كامل، لعرفت أنني أخفقت في هذا الشأن. وقد انزعج ابني عندما طرحت المسألة، حتى بعد أن سمع نبرة صوتي الحماسية جدًّا عند سؤالي له: "ألن يكون هذا موضوعًا مسليًا يمكننا القيام به معًا؟"؛ حيث أصابته تعليماتي بالإحباط، وأصبت أنا بالإحباط من عجزه، وتحولت المحاولة برمتها إلى غضب ودموع؛ دموع بسبب **أربطة الحذاء**. وعندما بدأت أمعن النظر في أساس مشكلته مع أربطة حذائه، وجدت أن الأمر كله يتلخص في شعوره بالإحباط والعجز، الذي كان خطئي وليس خطأه، فأنا من علَّمته ذلك.

وفي كل مرة ربطت فيها حذاء ابني، بدلًا من تعليمه كيفية ربطه بنفسه، عززت لديه فكرة أن المهمة كانت شاقة عليه، إلى أن بدأ كل منا في نهاية المطاف في التساؤل إن كان سينجح في الأمر. وذات يوم قبل الذهاب إلى المدرسة، اضطُر ابني إلى انتعال حذائه الاحتياطي ذي الرباط عندما نسي حذاءه الفيلكرو في منزل صديقه، فقال إنه يفضل انتعال حذاء المطر الخاص به على محاولة ربط حذائه. ولم يكترث قط لحقيقة أن ارتداءه هذا الحذاء سيحرمه من حضور صف الألعاب البدنية والبقاء بمفرده خارجه.

هذا ما تسببت فيه: اقتناع ابني تمامًا بعجزه لدرجة أنه كان على استعداد للتخلي عن ساعة من وقت اللعب مع أصدقائه.

لذلك قمت في ذلك المساء بأخذ حذائه الرياضي الاحتياطي، واستعددتُ لمعالجة هذا الموقف؛ فأخبرته في أثناء تناولنا وجبة خفيفة بأنني اقترفت خطأً، وأعتقد أنني اكتشفت كيف أكون أمًّا أفضل.

وقد تعاطفت مع قلقه، وأخبرته بأنه ربما تبدو المهمة شاقة بالنسبة إليه في البداية، لكنني أعلم أنه يستطيع التغلب عليها بالقليل من المجهود والمثابرة. وكنت واثقة تمامًا بأننا سنبقى هكذا إلى أن يتقن ربط تلك الأربطة اللعينة. وفي أقل من ساعة، تبدد شعوره بالإحراج لكونه الطالب الوحيد في الصف الثالث الابتدائي الذي لا يستطيع ربط حذائه؛ فنجح في المهمة، ولم أره واثقًا بنفسه لهذه الدرجة من قبل. شعرت حينها بأنني أم خارقة، وكل ما تطلبه الأمر كان القليل من الوقت، وإيمان أحدنا بالآخر، والصبر للعمل على فك تشابك العقد والحلقات.

ليس الأمر دائمًا بهذه السهولة؛ فكلما كبر أبناؤنا، ازدادت المخاطر، وعظمت العواقب. وتتحول العقد المتكتلة وأربطة الحذاء المربوطة بشكل عشوائي في لمح البصر إلى مقالات جامعية خاطئة، ومقابلات توظيف فاشلة، لكن هنالك الكثير من الوقت المتاح لغرس الثقة والقدرة على الصمود في أبنائنا. ويبدأ العمل في اللحظة الأولى التي يعجز فيها أطفالنا عن الإمساك بلعبة، أو يتعثرون في أثناء مشيهم في أرجاء الغرفة، ويستمر إلى أن يشقوا طريقهم. وكلما أسرع الآباء في تعلم تقدير الجوانب الإيجابية للصعاب والسماح لأبنائهم بالاستفادة من الجانب المشرق من الفشل في مرحلة الطفولة، أسرعنا جميعًا إلى اغتنام فرص المشاركة في لحظات الفخر؛ كتلك اللحظة التي رأيت فيها الفخر يعتلي وجه ابني حين ربط بإحكام تلك الأربطة.

إن الأمر منوط بنا؛ فالآباء لديهم السلطة لمنح هذه الحرية لأبنائهم ليقوموا بتجربة الفشل، والمعلمون لديهم القدرة على تحويل ذلك الفشل إلى تعلم؛ فماذا لو تكاتفنا معًا؟ فلو فعلنا، فستكون لدينا القدرة على تنشئة جيل من البالغين الأكفاء الواثقين بأنفسهم.

لنبدأ إذن.

الجزء ١: الفشل: أداة التربية الأكثر فاعلية

١: كيف أصبح الفشل كلمة بغيضة: نبذة سريعة عن تاريخ التربية الأمريكية

حين كنت طفلة، كنت مهووسة بسلسلة كتب **بيت صغير في البراري**؛ فقد أردت العيش في منزل قائم بين المروج على ضفاف نهر بلوم كريك، أو في كوخ صغير في الغابات الكبيرة تحت التوجيهات الصارمة للأم والأب "إنجلز"، النابعة من حبهما، أردت أن أكون مثل "لورا"، التي جابت العالم الخطر والمشوق من حولها بشجاعة، واقترفت الكثير من الأخطاء عندما كانت تشق طريقها في البراري، وعندما عادت إلى المنزل لتواجه العواقب، لم تجد أبويها قلقين وخائفين، بل كانا مهتمين بمغامراتها، ومتطلعين إلى تعليمها في المستقبل البعيد.

سعيت إلى أن أكون متسامحة مع شقيقتي، تمامًا مثل تسامح "لورا" مع "كاري"؛ فعندما لم أحصل على الهدية الباهظة، التي رغبت فيها ضمن هدايا موسم الأعياد، ذكرت نفسي بالعام الذي حصلت فيه "لورا" على كوب صغير من الصفيح، وقطعة من الحلوى، وكعكة صغيرة، ومبلغ من المال، وحاولت أن أكون ممتنة. واستمرت معي طريقة تفكيري هذه، المتمثلة في تساؤلي دومًا: "ما الذي يمكن أن تفعله لورا في هذا الموقف؟", حتى مرحلة البلوغ، وتقت إلى قراءة سلسلة كتب **بيت صغير في البراري** لابنيَّ، لأعلمهما بشأن عالم "لورا" الأخلاقي واضح المعالم، والبالونات المصنوعة من جلود الحيوانات؛ فقرأنا وعشنا لحظاتهما المفضلة، بينما كنا نسكب قطرات الشراب المحلَّى على الثلج لعمل حلوى، ونلون الزبد مستخدمين عصير الجزر المبشور، ونرسم الأشكال على زجاج النافذة في الصقيع، مستخدمين كُشْتِبَان الخياطة، كما شجعتهما على التجول في غاباتنا التي لم تكن كبيرة، على الرغم من قلقي بشأن الدببة، والصيادين، وحفر الصيد العميقة؛ فقد بذلت قصارى جهدي كي أكون تلك الأم المطمئنة، والقوية، والمحبة بالنسبة إلى طفليَّ.

كان كل من الأم والأب في تلك القصة يضعان حدودًا وأهدافًا واضحة لأبنائهما؛ فما قالا إنه صحيح فهو صحيح، وما قالا إنه خطأ فهو خطأ، والتعلم ينشأ عن الفشل، وعندما كانا يضطران إلى تطبيق الانضباط، تكون العواقب سريعة وعادلة؛ ومن ثم عندما أصبحت أمًّا، تحول تفكيري من "ما

الذي يمكن أن تفعله "لورا" في هذا الموقف؟" إلى "ما الذي يمكن أن تفعله الأم في هذا الموقف؟"، وسعيت لأربي طفليَّ وفق ذلك التصور المثالي؛ فأحاول تذكر أن أخطاءهما وفشلهما جزء ضروري وحتمي لنضجهما.

وتوضح حقيقة عودتي إلى أواخر القرن التاسع عشر من أجل الحصول على نصيحة، الكثير عن مدى التعقيد والإرباك الذي أصبحت عليهما التربية؛ فلقد فهم الأم والأب في القصة أن وظيفة الآباء هي تربية أبناء بالغين يتمتعون بالأخلاقيات، والكفاءة، والاعتماد على النفس؛ لذا أحسدهما على وضوحهما؛ لأنني في بعض الأحيان أكون غير متأكدة من ماهية وظيفتي؛ فقد تكون وظيفتي في أحد الأيام أن أكون صديقةً لابني؛ فيشعر بالراحة بما يكفي، ويضع ثقته بي، ويأتمنني على أسراره، بينما تكون وظيفتي في اليوم التالي هي أن أتخذ موقفًا حازمًا باعتباري شخصًا ذا سلطة، وأعلمه كتابة رسائل الشكر، سواء رغب في ذلك أم أبى.

وإذا كنت مشوشة بشأن دوري، فينبغي لابني أن يكون كذلك أيضًا. ولا عجب في أنني أتوق إلى بساطة التربية وسط الغابات الكبيرة، ومع ذلك، فإنني أخشى أن يكون كل من الأم والأب "إنجلز" مرتبكين وقلقين بسبب تحول التطلعات، وغياب الأرض الصلبة في بيئة التربية المعاصرة. فمن أجل معرفة وجهاتنا على هذه الأرض الوعرة، وإدراكنا كيفية وصولنا إلى هذه الحالة من الارتباك؛ علينا العثور على إشارة في ضجيج تاريخ تربيتنا المشترك.

التربية في عصر أقل تعقيدًا

كان أسلوب التربية في مستعمرات نيو إنجلاند أبسط من حيث تسلسله الهرمي للاحتياجات، وكان معروفًا بالخطر والخسارة؛ حيث كان الآباء يتوقعون خسارة طفل من كل عشرة أطفال، حتى في المجتمعات الأكثر صحةً وثراءً. ففي مدينة بوسطن على سبيل المثال؛ حيث سهَّل فقر الحضر وقرب التجمعات السكنية انتشار الأمراض، وارتفعت نسبة وفيات الأطفال من ضعفين إلى ثلاثة أضعاف؛ فعند وقوع الكارثة، مثلما حدث خلال انتشار وباء الجدري عام ١٦٧٧، لقي خُمس عدد السكان حتفهم جراء ذلك، وكان أغلبهم من الأطفال١. وانشغل الآباء، "الذين كان مشهد جرة مكسورة يثير دهشتهم" أكثر من رؤية طفل ميت٢، بالاحتياجات الأساسية –أي الصراع اليومي من أجل المسكن، والمأكل، والماء الصالح للشرب– أكثر من انشغالهم بالتعليم، والحياة الاجتماعية،

والصحة النفسية لأبنائهم؛ فقد هيمن المنطق على طريقة تنشئة الأطفال الأمريكية المبكرة أكثر مما فعلت المشاعر، وكان "جون لوك" هو صوت الفلسفة التربوية في المستعمرات الأمريكية الثلاث عشرة المستقلة، فما دامت الفلسفة التربوية وُجِدَت، وُجد "جون لوك". وبينما نشرح في الوقت الحالي شرحًا مطولًا لأبنائنا سبب عدم لطف عض جارتنا، مستخدمين في هذا الشرح المطول السكاكر وسيلةً من وسائل الإقناع، فضَّل "لوك" حلًّا أكثر بساطةً، حلًّا شدَّد على المنطق أكثر من العاطفة؛ لأن "الأحاديث المطولة والتفكير الفلسفي من أفضل الوسائل، لكنهما لا يصلحان للاستخدام في تربية الأطفال"٣؛ فقد كان من المفترض أن تتم رؤية الأطفال لا سماعهم، وأن يتصرفوا دائمًا وفق السلوكيات المقبولة من منظور عائلتهم، وطبعًا، لم يكن مسموحًا لهم بإحداث جلبة وضجيج. ماذا عن نوبات غضب الأطفال الكبيرة في عام ١٦٩٠؟ يقدم "لوك" نصائحه في هذا الصدد، قائلًا: "غالبًا ما يكون البكاء سعيًا إلى السيطرة وإعلانًا صريحًا لوقاحتهم أو عنادهم: فعندما لا يملكون القوة للحصول على ما يرغبون فيه، يحصلون عليه عن طريق **إثارتهم الجلبة والنحيب**"٤. (وكما يشدد "لوك" على هذا الكلام، فبصعوبة أستطيع سماع الاستخفاف في هذه العبارات الانفعالية المروعة)، ينصح "لوك" الآباء عند مواجهة الأطفال بعض الصعوبات، وبعض النتائج المترتبة على أخطائهم، قائلًا: "لا ينبغي حينئذٍ التعبير لهم عن التذمر والحسرة بأي شكل من الأشكال؛ حيث إن ذلك لا يصقل تفكيرهم، بل يجعلهم يستسلمون لأقل الأضرار التي تحدث لهم، ونتيجة ذلك يلجأون إلى المكان الذي يشعرون فيه بالوحدة، وتتعاظم فيه آلامهم وجروحهم بدرجة كبيرة أكثر من أي مكان آخر". وبمعنى آخر، حال تعرض أطفالك لذلك، عليك أن تقومهم وتطمئنهم، ولكن لا تشفق عليهم أو تثر جلبة واسعة عن تلك الصعوبات والإخفاقات التي تعرضوا لها؛ وذلك لأننا "سنواجه في هذه الحياة الكثير من المضايقات والعراقيل، فلا ينبغي لنا أن نكون حساسين للغاية تجاه كل ضرر صغير نتعرض له". وقد دعم "لوك" كثيرًا تشجيع الأطفال على النهوض والمحاولة مرة أخرى بعد الفشل، حيث يقول: "قد يعاني الأطفال بعض الأضرار الطفيفة نتيجة سقوطهم واصطدامهم بالأشياء، وفي هذه الحالة لا ينبغي لنا الإشفاق عليهم بسبب سقوطهم، بل يجب أن نشجعهم على استكمال ما كانوا يفعلونه قبل سقوطهم؛ لأن ذلك الأمر بالإضافة إلى أنه سيجعلهم يتوقفون عن **البكاء** فهو أفضل طريقة لعلاج استهتارهم، كما أنه يحول دون سقوطهم مرة أخرى، وذلك أفضل من توبيخهم أو الإشفاق عليهم، ولكن دع الأضرار التي يتلقونها تكن كما ستكون، فهذا من شأنه أن يجعلهم يتوقفون عن **بكائهم**، ويمنحهم المزيد من الهدوء والراحة في الوقت الراهن،

ويقويهم إذا تعرضوا لذلك في المستقبل"٥. (ومرةً أخرى، أؤكد أن "لوك" هو من يتبنى هذه الأفكار والتوجيهات). أنا متأكدة أن الآباء في المستعمرات يحبون أبناءهم، ويواسونهم حين "يسقطون أو يصطدمون بشيء ما"، ولكن تلك العقبات التي تواجههم هي جزء من الحياة اليومية التي يسهم فيها الشخص بهدوء وإذعان؛ من أجل تأمين بقاء العائلة في بيئة قاسية ومحفوفة بالمخاطر. وينضج الأطفال وهم محاطون بتقلبات الحياة، ويجب على الآباء التركيز على التعامل معها أكثر من تركيزهم المستمر على تحقيق سعادة أبنائهم.

شجع الآباء في ذلك الوقت استقلالية أبنائهم أكثر مما نفعل نحن اليوم. وبحسب عبارة الكاتب والثوري الأمريكي توماس بين، الذي قال: "لا شيء يؤذي مشاعر الآباء والأبناء للغاية أكثر من العيش معًا بشكل متقارب للغاية، أو الانفصال في المعيشة فترةً طويلةً"٦؛ فالأبناء يتزوجون في سن صغيرة، وينجبون بعد ذلك بفترة وجيزة، وينشغلون بمشاغل الحياة؛ حيث يكون عليهم أن يحافظوا على تجارتهم، ومزارعهم، وعائلاتهم قبل أن يتموا ما نسميه منتصف فترة المراهقة؛ لذلك يقع الآباء تحت ضغط نقل خبراتهم الطويلة إلى أبنائهم فيما يتعلق بالبقاء والاستقلالية وهم في عمر صغير للغاية. وقد شهدت الثورة الأمريكية ميلاد أمة جديدة، وفلسفة حديثة، فيما يتعلق بطبيعة الأطفال ومكانتهم في عائلاتهم، وفي المجتمع كذلك. وكما ثارت أمتنا، وتمردت ضد حكم الملك الإنجليزي الذي كان يطلب منها الإذعان التام والطاعة العمياء، قام الكُتاب والمفكرون بحركة ثورية مماثلة فيما يتعلق بتربية الأطفال الأمريكيين، فكما يشير "ستيفين مينتز" في كتابه *Huck's Raft: A History of American Childhood* إلى أن هذه الخطوة لتحقيق الاستقلالية يمكن توضيحها من خلال التحول المتزامن في تسمية الأطفال وفق ما هو متعارف عليه، فحتى قيام الثورة الأمريكية، كان الأطفال يُسمَّون بأسماء آبائهم أو أقربائهم المقربين من أجل إعلاء أهمية النسب وإعلاء قيمة العائلة على الفرد٧. وبحلول منتصف القرن الثامن عشر، وعلى الرغم من أن الآباء بدأوا إطلاق أسماء فريدة ومتميزة على أبنائهم، فإنه أحيانًا ما كانت تُقرن بالاسم الأوسط كإظهار إضافي للاستقلالية. واندثرت بعض العادات الأخرى التي أولت اهتمامًا للتسلسل الهرمي السياسي، والاجتماعي، والأسري، على سبيل المثال انحناء الأبناء لآبائهم، وبدأت الروح الثورية في التسلل إلى عقول وعادات المواطنين الذين رفضوا أن يكونوا عبيدًا لأي أحد، وفقًا للتسلسل الهرمي السياسي أو غير ذلك. وبدأ المواطنون الأمريكيون يتطلعون إلى مستقبل بلدهم الجديد، أرادوا بناء

أمة متعلمة تعتمد على أطفالها الذين لا يرضخون للطغيان، بل يقدرون قيمة حقوق الفرد من أجل تحقيق الحرية.

وعلى الرغم من المثالية المفرحة والواعدة لهذه الاستقلالية الأمريكية التي تحققت بصعوبة، ما زال الأطفال يعيشون حياة تتسم باليأس؛ حيث فقد ما يقرب من نصف الأطفال آباءهم قبل بلوغهم سن الزواج؛ لذلك حمل أغلب الأطفال على عاتقهم الصغير عبء اجتياز فترة طفولتهم بأمان، مع الاضطلاع بدور الأب في الوقت نفسه. أما الأطفال الذين يعيشون في الريف ممن لم يتجاوزوا الخامسة بعد، فقد اضطروا إلى العمل في المزارع، وكان منتظرًا منهم أن يشاركوا بما يكسبونه من مال من أجل تأمين مستقبل عائلاتهم. أما في المدن، فقد قام الأطفال بأداء المهام المنزلية، وتعلموا الحرف، وساعدوا في القيام ببعض الأعمال اليدوية المتفرقة التي تحضرها عائلاتهم إلى المنزل لجني المزيد من الأموال، كأعمال الغسيل والحياكة.

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، في أثناء انتقال العائلات الأمريكية ورءوس أموالها من الريف إلى المدينة، تم توظيف طفل من كل ستة أطفال تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة؛ حيث وظفت المطاحن والمصانع الأطفال؛ نظرًا إلى صغر حجمهم، وهو الأمر المفيد في مثل هذه الأعمال؛ حيث يمكنهم النفاذ بأجسادهم الضئيلة أسفل الآلات الصناعية من أجل تحديد المشكلات والأعطال، فقد كانوا عمالة رخيصة، ويمكن تسريحهم بسهولة.

وقد شهد مطلع القرن العشرين وعيًا جديدًا بالمخاطر والأهوال التي يتعرض لها الأطفال في العمل؛ كما أدت ممارسات تشغيل الأطفال غير الآمنة إلى سن قوانين تنص على منع الأطفال ممن لم يبلغوا سنًّا معينةً من العمل خارج المنزل. وبعد أن تم حظر عمل الأطفال، أصبح من اللازم التحاق الأطفال بالمدارس؛ فأصبح الأطفال الذين اعتادوا العمل من أجل تأمين الاحتياجات المادية لعائلاتهم، مشغولين بالتعليم، وقد أتت تلك الإصلاحات بثمارها، ولكن على الجانب الآخر تحول الطفل من منظور العائلة والمجتمع اللذين يقيسان قيمته بما يقدمه إليهما من نفع، من طفل "نافع إلى عديم النفع"٨، ومن طفل يدر المال على أسرته ومجتمعه، إلى طفل يكلفهما الأموال. وكلما وُلد الأطفال وترعرعوا في جو من الترف والرفاهية، وقع على عاتق الآباء وضع أهداف جديدة للتربية

من أجل تربية هؤلاء الأطفال وتعليمهم، وإن لم يعودوا يدرون الأموال على أسرهم، بل أصبحوا مكلفين لها.

التنشئة التي ينصح بها خبراء التربية

عند إصدار مجلة **بيرانتس** في الأسواق عام ١٩٢٦، ترسخ النقاش فيما يتعلق بفلسفة التربية في الثقافة الأمريكية، وكان الآباء متحمسين للغاية من أجل الحصول على المشورة والمعلومات فيما يتعلق بتربية أبنائهم في عصر تزايد فيه التشويش والإرباك. وهكذا بدأت حقبة خبراء التربية، والاهتزاز المؤقت لثقة المجتمع بكفاءة الآباء الأمريكيين؛ حيث دخلت عملية تربية الأطفال في نسيج الحياة اليومية، وأصبحت وظيفة بدوام كامل، تتطلب نصائح وتدريبات الخبراء. فلم يعد المجتمع يرى الأطفال باعتبارهم أشخاصًا بالغين بأجساد صغيرة، قادرين على العمل، وحل المشكلات بذكاء، ولكن أصبح يراهم كأنهم عالة، لا حول لهم ولا قوة، يحتاجون إلى قدر كبير من الرعاية المحددة والمدروسة جيدًا. فكلما تقلص عدد الأطفال في العائلة الواحدة بمرور الأعوام، ركز الآباء بشكل أكبر على الحاجات النفسية والعاطفية للطفل؛ فأصبح لدى هؤلاء الأطفال وقت للتعبير عن مشكلاتهم النفسية، فظهرت نظريات حديثة لعلم النفس التنموي لمعالجة تلك المشكلات؛ فالسلوكيات التي انتقدها "جون لوك" تم اعتبارها فيما بعد حالات نفسية يجب علاجها، وليست سلوكيات مزعجة يجب تصحيحها، فولَّت أيام الطفل الصلب القادر على الصمود أمام المشكلات؛ حيث بدأ رسميًّا عصر الأطفال المضطربين انفعاليًّا، المعتمدين على آبائهم، والآباء القلقين بشأن أطفالهم.

استمع الآباء إلى رسالة الخبراء الواضحة والصريحة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهي: أن الأمهات لا يستطعن تربية الطفل دون استشارة الطبيب؛ فاعتادت النساء استشارة النساء الأخريات بشأن التربية، وجمع النصائح المتوارثة عبر الأجيال واتخاذها حِكَمًا، ولكن عند ظهور مهنة طبيب الأطفال، اهتزت الثقة بتلك الحكم المتوارثة عبر الأجيال، إن لم تكن تحولت إلى ازدراء علني؛ فنصح هؤلاء الخبراء النساء بـ"صم آذانهن" عن نصائح جداتهن... اتقاءً لتأثيرها الضار، إذ إن هؤلاء الجدات كن يعتقدن بحكم خبراتهن السابقة أنهن يعرفن كل شيء عن الأطفال"٩. وقبل القرن العشرين، اعتنى الوالدان (الأم في الغالب) باحتياجات الأطفال من الرعاية الصحية في المنزل؛ فاحتفظت الأمهات في المنزل بالكتب الطبية، على سبيل المثال كتاب *Domestic Medicine*، للطبيب "ويليام بشان"، وعملن كطبيبات، ومختصات نفسيات، وطبيبات

أسنان، ومعلمات من أجل أبنائهن. وازداد عدد الكتب التي تتناول تربية الأطفال ورعايتهم ازديادًا كبيرًا في نهاية القرن، والأهم من ذلك، أن أسلوبها قد تغير. وأصبحت التربية مجالًا للدراسة، وكان لدى الخبراء الذين وضعوا هذا النهج من أجل هذا المجال ثقة قليلة بأن الأمهات يستطعن تطبيق هذا النهج ببراعة بمفردهن.

شهدت عشرينات القرن الماضي ظهور جهات رسمية لرعاية الأطفال؛ حيث تزايد استخدام دور الحضانة كوسيلة لتعليم جميع الأمهات الجاهلات أحدث التطورات العلمية المتعلقة بالتربية، وتم التشجيع بقوة على الاعتماد على كل ما يتناول موضوع تربية الأطفال من كتب، وكتيبات، ومنشورات، ومهنيين عاملين في هذا المجال، وانتشرت تلك المنشورات انتشارًا واسعًا على الساحة؛ وكانت مليئة بالنصائح التي تم إخبار الآباء بأنهم سيحتاجون إليها لحماية أبنائهم من الجراثيم التي تهدد حياتهم (وانتشر هذا الموضوع أيضًا بفضل اكتشاف نظرية جرثومية المرض في أواخر القرن التاسع عشر)، وللاهتمام بحاجات أبنائهم العاطفية التي أصبحت مُلحة حديثًا، والمتغيرة دائمًا، ومشكلاتهم التي كانت محل سخرية الآباء قبل خمسين عامًا؛ فالحالة الذهنية والنفسية للأطفال كانت مفهومًا جديدًا، وانطوى "إدخال علم النفس في التربية"١٠ على أن التربية ليست غريزةً، بل مهارةً يجب دراستها وتعلمها. وتؤدي النتائج المترتبة على تربية الطفل تربية غير لائقة – بما في ذلك من إحداث أضرار نفسية بالغة، واضطراب عاطفي – إلى عواقب وخيمة منها متلازمات نفسية، مثل التنافس الأخوي، والرهاب، واضطرابات النوم، وتمرد المراهقة. ونشر "فرويد" نظرية النمو الجنسي النفسي، وحذر الآباء من خطورة مرض العصاب، وهو اضطراب عقلي وظيفي، ينتج عن التدريب غير السليم على استخدام المرحاض، ملقيًا بذلك العبء الناجم عن المرض النفسي للبالغين على الأمومة غير السليمة. ونبه الطبيب النفسي "جون بولبي" الآباء بشأن الضرر الجسيم الذي من الممكن أن ينتج عن الارتباط غير المكتمل مع أبنائنا؛ فإذا لم نقم بضمهم بما يكفي، فسيصبحون أحداثًا غير ملتزمين، وغير متكيفين مع المجتمع. وأصبح الأبناء محور حياة آبائهم بشكل متزايد، وبحلول الخمسينات ركزت الولايات المتحدة على رعاية، وتغذية، وترفيه صغارها.

واستمر الإيمان والثقة الكاملة بالخبراء إلى أن ظهر طبيب لطيف وودود، وأعاد إلى الآباء ثقتهم بأنفسهم مرة أخرى.

أنت تعرف أكثر مما تظن أنك تعرفه

نُشر كتاب *Common Sense Book of Baby and Child Care* للطبيب "بنجامين سبوك" عام ١٩٤٦، وبيعت ثلاثة أرباع مليون نسخة في العام الأول من نشره، وأحدث تغييرًا في أسلوب التربية الذي تبناه الخبراء عند إسداء النصح إلى الآباء. بدأ الطبيب "سبوك" كتابه بتأكيد صادم، ولكنه على الرغم من ذلك مطمئن بطريقة ما، حيث يقول: "ثق بنفسك"، "أنت تعرف أكثر مما تظن أنك تعرفه"، فمن خلال تلك الكلمات الداعمة التي يذكرها في استهلاله، أعاد الطبيب "سبوك" السلطة إلى الآباء مرةً أخرى. وأعرب عن أمله في وضع حد لاعتماد أمتنا المفرط على الخبراء، ودعا إلى الاعتماد على الفطرة السليمة؛ فقد كانت النساء لا يزلن يلجأن إلى الأطباء والمختصين النفسيين من أجل الحصول على المشورة، ولكن الطبيب "سبوك" شجع الآباء على الاعتماد على الفطرة السليمة، وأحقيتهم في تولي زمام أمور التربية، من خلال أسلوبه اللطيف وكتيب الإرشادات الشامل الخاص به. وفي حين رأى العديد أن ثقة "سبوك" بالآباء هي عودة إلى الثقة بالحكم الشخصي على الأمور دون تلقي توجيه من الآخرين، لكن بعض الأشخاص – وهم الخبراء الذين فقدوا سلطتهم، والآباء الذين خافوا من الغياب المفاجئ للتوجيه – وجدوا أن هذا الأمر يثير القلق؛ حيث بقيت بقايا النظريات القديمة بشأن ضعف الأطفال، وتأثير التربية السيئة المستمر مدى الحياة؛ لذا عندما تم اقترانها بالتحرر الجديد من الإرشادات الجامدة للخبراء، صُدم العديد من الآباء صدمة شديدة من مدى قدرتهم على إفساد تربية أطفالهم على نحو مأساوي، ولا يمكن تداركه. ومع اقتراب نهاية فترة الخمسينات، منح توجه جيل الأطفال نحو التمرد ومخالفة الأعراف السائدة بالمجتمع هؤلاء الخبراء الكثير من الأدلة ضد قضية التربية الجيدة التي يدعو إليها الطبيب "سبوك".

وازداد النشاطان الاجتماعي والسياسي في ستينات القرن العشرين، وبدأ الأطفال في هذه الفترة الإيمان بقوة الجيل الأصغر لتغيير العالم. لقد كان "جون إف. كينيدي" أصغر رئيس أمريكي تم انتخابه، وقد خلف أكبر الرؤساء الأمريكيين سنًّا، وقد اكتسبت حركة الحقوق المدنية زخمًا وقوةً بفضل جيل من النشطاء الشباب، حيث كان صوتهم مرتفعًا، وكانوا يتمتعون بالقوة، وكان هناك الكثير من الشباب في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى؛ فقد أدت فترة طفرة المواليد التي تلت الحرب العالمية الثانية إلى خفض متوسط عمر السكان الأمريكيين إلى أقل من عشرين عامًا. ففقدت مرحلة البلوغ، وما يصحبها من مسئولية جاذبيتها، وفقدت "القوة" دلالتها الإيجابية؛ حيث تم حث ذلك الجيل الأصغر على معارضة السلطة بقوة، بدلًا من إظهار الطاعة العمياء. وأصبحت سن

المراهقة وقتًا للتمرد، وخوض التجارب، والبحث عن الهوية، وطالت فترة المراهقة أكثر وأكثر حتى وصلت إلى ما يطلق عليه مرحلة البلوغ نتيجة فترة الدراسة الطويلة، وتأخر الزواج، وندرة الوظائف في ظل الركود الاقتصادي؛ لذلك سعى الأمريكيون إلى تمديد فترة مرحلة الطفولة اللانهائية، ومن ثم شعر البالغون – الذين نشأوا في عهد أكثر استبدادية، وكانوا يعملون وفق الافتراضية التي عفى عليها الزمن، وهي أن البلوغ يكون في سن الثامنة عشرة – بعجزهم الشديد عن مواجهة هذا التمرد. وقد أقر العديد من الآباء بهزيمتهم، وقد هاجمت وسائل الإعلام هؤلاء الآباء؛ لتساهلهم المفرط في تربية أطفالهم. وتذكر أن علماء النفس المختصين بسلوكيات الأطفال لا يزالون يتبنون نظرية أن الآباء هم على الأرجح المسئولون عن أخطاء أبنائهم، ولا سيما إذا كانوا قد أفسدوا مرحلة الطفولة الخاصة بأبنائهم؛ لذا كان منطقيًّا أن تلوم وسائل الإعلام الآباء على تمرد الأطفال الأمريكيين غير المسبوق. وصُنِّف الآباء المتساهلون بأنهم آباء مقصرون، كما ورد في الدراسة التي أجراها "جولز هنري" لعام ١٩٦٣ بعنوان *Culture Against Man*، حيث ألقى "هنري" باللوم، لوقاحة المراهقين الأمريكيين وعدم اكتراثهم، على "اهتمام العائلة المفرط بأبنائها بعد الحرب، تلك الحرب التي أنتجت أطفالًا وجدوا صعوبة في كسر ارتباطهم القوي بالعائلة خلال فترة مراهقتهم"١١.

وفي الوقت نفسه، تفككت العائلة، على الأقل فيما يتعلق بفقدان الحنين إلى الوطن؛ الأمر الذي حدث بسرعة كبيرة في فترة الخمسينات من القرن العشرين. وفي بداية الستينات من القرن نفسه، تزوج نصف النساء قبل تجاوزهن فترة المراهقة، وأنجبن طفلًا أو اثنين في السنوات الأولى لزيجتهن، وبقين في المنزل لتربية أطفالهن، لكن مع تطور العصر، التحقت النساء الشابات بالجامعة، وحصلن على الوظائف، وأجلن زواجهن لحين إثبات أنفسهن في المجتمع وفي العالم على حد سواء؛ ما أدى إلى انتشار العادات السيئة في المجتمع، فتضاعفت معدلات الطلاق بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠، وازدادت العلاقات غير الشرعية ستة أضعاف١٢.

أخيرًا استقر الآباء الناضجون والأكثر استقلالية عن عائلاتهم، والأكثر وثقة بأنفسهم؛ وأصبحوا مستعدين للإنجاب وعندما أنجبوا، ربوا أبناءهم وفق أسلوب ارتباط الابن بأبويه، وهو الامتداد الطبيعي لمفهوم "ثق بنفسك" الخاص بـ"سبوك". وكان أسلوب التربية القائم على الارتباط بين الابن ووالديه يهدف إلى تعزيز الرابط بين الآباء والأبناء من خلال التواصل والرعاية الوثيقين والدائمين؛

لأن الروابط القوية التي تنشأ في مرحلة الطفولة المبكرة تستمر مدى الحياة، وقد عزز كلٌّ من "جون بولبي"، و"هاري هارلو"، و"تي. بيري برازيلتون" توجه العامة نحو أهمية أسلوب التربية القائم على الارتباط، وعندما شهد الشعب الأمريكي تلك البرامج التي كانت تتناول الأطفال المُهمَلين تمامًا في دور الأيتام الرومانية، تحولت نظرية أسلوب التربية القائم على الارتباط إلى تحذير الآباء بشدة كالآتي: ارتبط بأبنائك جيدًا وبشكل مستمر، أو خاطر ولا تطبق أسلوب التربية القائم على الارتباط، وسيصبح أبناؤك مثل أولئك الأطفال الرومانيين، لكن هذه الرسالة لم تتوافق مع الواقع الذي واجهه بعض الآباء في فترة السبعينات والثمانينات؛ حيث دخلت النساء بقوة إلى مجال العمل في أعقاب الحركة النسائية، واستغللن أقصى قدراتهن، وحققن نجاحًا – كما تم الاعتراف بهن – كمفكرات، ومبتكرات، وقادة. والأهم من ذلك، أن النساء قد اضطررن إلى العمل؛ نظرًا إلى ارتفاع الأسعار، والكساد بعد التوسع الاقتصادي في فترة الستينات؛ وتشتت النساء بين احتياجات المنزل والعمل، والأطفال، وتحقيق الأمن المالي، والتربية القائمة على الارتباط، والاحتياجات النفسية للتحرر من قيود الأمومة والحصول على حقوقهن بوصفهن أفرادًا في المجتمع.

ومن ثم كانت الأمهات أرضًا خصبة لغرس حركة تقدير الذات في فترة السبعينات، وقد بدأ "ناثانيال براندن" الترويج لتلك الحركة بحماس بالغ في كتابه *The Psychology of Self–Esteem*، الصادر عام ١٩٦٩. وكانت رسالته، وهي – أن حب الذات أمر ضروري للصحة النفسية، وأن تقييم الشخص ذاته "هو السبيل الوحيد الأكثر أهمية لسلوكه"– تناشد الآباء الذين يسعون إلى التخفيف من شعورهم بالذنب، وملء الفجوة الناتجة عن بحثهم عن تقدير الذات، وانفصالهم عن أبنائهم لتحقيق النجاح في حياتهم المهنية. طغت الفردية والشعور بالقيمة الذاتية الناتج عنها، على قيمة المجتمع أو العائلة، وانطلقت حركة تقدير الذات الأمريكية، ولكن للأسف، لم يتحقق ما تمناه "ناثانيال براندن" من هذه الحركة؛ فقد تصور "براندن" عالمًا يقدر فيه الأطفال قيمة أنفسهم لدرجة تجعلهم لا يكترثون بآراء الآخرين، ويكون تقدير الذات كأنه درع واقية لهم، ونعيش جميعًا في حالة سعيدة من اكتشاف الذات، والرضا عن الذات، وحب الذات.

جيل من النرجسيين

ولم تكن تلك هي الطريقة التي سار بها الأمر؛ حيث ألقى كل من "جين توينج" و"دبليو. كيث كامبل" في كتابهما *The Narcissism Epidemic* باللوم بشكل مباشر في حدوث النرجسية على

حركة تقدير الذات؛ فوفقًا لرأي "توينج" و"كامبل"، ربما تكون حركة تقدير الذات قد عززت هذا الأمر لدى الأمريكيين، ولكن لم ينتج عن ذلك مواطنون سعداء، وأصحاء، بل نتج عنه جيل من النرجسيين العاشقين لذواتهم، الذين يركزون على المظاهر السطحية، والمكاسب الشخصية. والأسوأ من ذلك، أن حركة تقدير الذات وتركيزها على سعادة الفرد كانت المسمار الأخير في نعش ثقة المجتمع بالعمل الجماعي والحكومة.

ووعدتنا حركة تقدير الذات بأننا سنشعر بشعور جيد تجاه أنفسنا في كل ما نفعله، وبأن الأطفال سيحبون آباءهم على الدوام، وبأننا سنشعر بالفخر دائمًا لأسلوبنا في تربية أطفالنا، ولكن الحياة من الأساس لا تسير على هذا المنوال، فما بالك بأسلوب التربية الفعال؛ فالأطفال شديدو التعلق بآبائهم طوال الوقت لا يتقبلون تقويم آبائهم لهم عندما يسيئون التصرف، أو عندما يواجهونهم بأخطائهم، أو يطلبون منهم مراعاة حاجات الآخرين، فمعاقبة أبنائنا، أو تقويمهم، **لا تبدو** أمرًا جيدًا؛ فلا أحد يود أن يتسبب في بكاء أو جرح مشاعر أبنائه، بل ما **يبدو** رائعًا هو أن نقدم لأبنائنا الكعك المحلَّى في سرية قبل تناول العشاء، وأن تربطنا في تعاملنا معهم طريقة مشتركة وسرية. وما **يبدو** رائعًا كذلك هو أن نسارع إلى المدرسة لنسلمهم الفروض المنزلية التي نسوها في المنزل؛ حتى لا نجعلهم يشعرون بالإحباط لانتظارهم العقوبة لذلك من معلمهم، وهو ينظر إليهم نظرات غاضبة. بيت القصيد هو أن ما **يبدو** جيدًا بالنسبة إلينا لا يكون دائمًا جيدًا بالنسبة إلى أبنائنا؛ فنحن لسنا معتادي تأجيل ما يبدو صحيحًا ونافعًا بالنسبة إلينا على المدى القصير، لكي نفعل ما هو صحيح ونافع بالنسبة إلى أبنائنا على المدى الطويل.

وأصبح تحقيق السعادة قصيرة الأجل، وأسلوب التربية المتساهل أكثر إغراءً لنا؛ خاصة مع إلقائنا باللوم على ارتفاع معدلات الطلاق، والمزيد من الساعات التي نقضيها في العمل، والوقت القليل الذي نمضيه مع أطفالنا في الأنشطة الترفيهية، فنقايض الأوقات المميزة التي لم نستطع تمضيتها مع عائلاتنا بتقديم الحلوى إليهم وتدليلهم. وعندما تتاح لنا بعض الأوقات لنمضيها معهم، فإننا نود أن نقضيها في سلام نسبي، لا في مشاجرات بشأن التعليمات التي يجب على أطفالنا اتباعها، والنتائج المترتبة عليها؛ فتعليم الطفل كيفية تنظيف المرحاض يستغرق وقتًا أطول من الوقت الذي سنستغرقه، لو نظفناه بأنفسنا، كما هي الحال بالنسبة إلى كل درس قيم نرغب في أن نعلمهم إياه، ولكننا لم يعد لدينا مثل هذه الأوقات لفعل هذا الأمر بعد الآن، إنني لا أنتقدكم؛ إنني لست بمنأى عن

تلك الأساليب والظروف؛ فابناي لا يجيدان الطهو؛ لأنني ببساطة أرغب وأحتاج إلى ذلك الوقت الذي أمضيه في مطبخي لنفسي، ولا أرغب في وجود أحد لأعلمه؛ لأنه ملاذي الذي ألجأ إليه بعد يوم مرهق في التدريس أو في القيام بعمل أشياء لأبنائي، فسأعلمهم كيفية الطهو يومًا ما، ولكن ليس اليوم.

ونحن في هذه الألفية الجديدة، ما زال بعض الآباء يشعرون بأنهم محاصرون من كل الجهات؛ حيث يتوقع منا أن نشعر بالرضا عن أنفسنا، وعن تربيتنا لأبنائنا؛ ونحن نقوم بتربيتهم بصورة طبيعية وبشكل بديهي، في أثناء قراءتنا الكتب والمجلات التي تتناول أساليب التربية فيما يتعلق بكيفية تربية أبناء أذكياء ومبدعين ومتفهمين ويعزفون البيانو بمفردهم، وينامون تسع ساعات في الليلة الواحدة، ويلعبون كرة القدم كأنهم مبتدئون. يتوقع منا أن نقوم بدور أولئك الخبراء السلطويين الذين تركناهم في الخمسينات، ومارسنا مهامنا كمحترفين في المنزل والعمل. وبينما ندقق في النصائح الكثيرة بشأن التربية، علينا تحقيق التوازن بين العمل والمنزل، والوثوق بقدراتنا، والوثوق بالخبراء كذلك. لقد أصبحت التربية في وقتنا الحالي لا تتسم بالراحة والهدوء، ولكنها مشحونة بالإثارة والأمور المعقدة.

فوفقًا لمنشور نشره موقع مجلة **بارينتينج** على الإنترنت بشأن أكثر التساؤلات الملحة فيما يتعلق بأسلوب التربية في وقتنا الحالي، فإننا نحن الآباء مهتمون بأدق تفاصيل التربية، نقول لأنفسنا على سبيل المثال: "هل سأفسد طفلتي لو حملتها في كل مرة بكت فيها؟" و"طفلي لا يتطور بالسرعة نفسها لتطور بقية الأطفال. هل يجب عليَّ أن أقلق حيال هذا الأمر؟". وبينما تحوَّل تركيزنا من مسائل الحياة والموت إلى التفاصيل الصغيرة المتعلقة بالتطور العقلي، والبدني، والنفسي لأطفالنا، فإن العنصر الأخير في القائمة يكشف السبب الرئيسي وراء خوف الآباء واهتمامهم بتلك التفاصيل الخاصة بالتربية؛ فكل ما نود معرفته – عندما نلح في الحصول على إجابات لتلك التساؤلات التي لا فائدة منها، والتي تدقق في أتفه التفاصيل – هو "كيف لي أن أعرف هل أنا أب جيد أم لا؟"١٣.

نجد الإجابة عن مثل هذه التساؤلات في الأوقات التي نشعر فيها بأن أسلوب تربيتنا جيد؛ فأنا بالطبع أشعر بالراحة حين أرى ابنيَّ في أمان، ويشعران بالدفء، وقد تناولا الطعام، ولكن ما يشعرني بأنني أمٌّ ممتازة، هو عندما أثبت لطفليَّ مدى حبي لهما عندما أنقذهما من الإحباطات التي

قد يتعرضان لها؛ كأن أتذكر أن أقتني كتابًا من المكتبة أعرف أن ابني يحبه، أو حينما أصل في اللحظة الأخيرة إلى مباراة كرة القدم يشارك فيها، جالبةً معي واقي الأسنان الذي نسيه في المنزل لكي يتمكن من اللعب، حينها أحدث نفسي قائلة: "أجل، **أنتِ** أم جيدة اليوم".

لقد قضيت معظم وقتي في مرحلة البلوغ لتربية أبنائي، إلى أن اكتشفت مؤخرًا، أنني أمضيت حياتي في حمايتهم من الوقوع في الفشل، بدافع حبي إياهم، ولكن لم يعد ذلك يجدي نفعًا بالنسبة إلينا بعد الآن، وقطعًا لا يجدي نفعًا بالنسبة إلى طلابي وعائلاتهم. وخشيت أن أتخلى عن الأمور التي تبدو جيدة، وخشيت أن أنحي احتياجاتي جانبًا، وأعرض أبنائي إلى نواحي الحياة التي قد تؤذيهم قليلًا، وخشيت ألا أسمع بعد الآن صوتي الداخلي الذي يقول لي: "أجل، **أنتِ** أم جيدة اليوم".

واعتبارًا بأن حركة تقدير الذات تعد فشلًا، وأن فعل ما **يبدو** جيدًا قد أخرج جيلًا من الأطفال النرجسيين المدللين غير المستعدين للمخاطرة أو التصدي للعواقب، فما الحل إذن؟ ما أسلوب التربية الذي يمكن أن يساعد أطفالنا في اكتساب المهارات، والقيم، والفضائل التي يُبنى عليها إحساسهم الإيجابي بذاتهم؟

هدف التربية هو الاعتماد على الذات، وتحقيق الاستقلال والشعور بالذات الذي يتولد من الكفاءة الحقيقية، لا من الشعور الزائف بالثقة؛ فالتربية من أجل زيادة القدرة على التحمل في مواجهة الأخطاء والفشل، والتربية من أجل تحقيق ما هو صواب وجيد في نهاية الأمر، لا ما يبدو صوابًا وجيدًا في تلك اللحظة؛ فالتربية تستهدف الغد، وليس اليوم فحسب.

٢: سبب كون أسلوب عدم الاستقلال في تربية الأبناء غير مجدٍ: قوة التحفيز الداخلي

عرفت تلك الأم التي كانت تجلس أمامي منذ سنوات، ومررنا بالكثير من التجارب معًا؛ حيث قمت بالتدريس لأبنائها الثلاثة، وأحب فكرة أننا أصبحنا صديقتين خلال ذلك الوقت؛ فهي أم تهتم للغاية بأبنائها وتحبهم من كل قلبها. وكنت دومًا صادقةً معها فيما يتعلق بمواطن قوتهم وضعفهم، وأظن أنها تثق بي لصدقي معها، ولكن عندما باغتتني بالسؤال الذي كان يؤرقها منذ فترة، فإن كل ما استطعت فعله هو أنني أومأت برأسي وماطلت بعض الوقت.

قالت لي: "أنا لا أقلق بشأن الدرجات التي حصلت عليها ماريانا؛ فدرجاتها جيدة، ولكنها تبدو كأنها لم تعد تحب التعلم بعد الآن".

هي محقةٌ تمامًا، فقد لاحظت الأمر نفسه بشأن ابنتها على مدار السنتين أو السنوات الثلاث الماضية، فكنت أعرف الإجابة عن تساؤلها هذا، وكدت أقولها لها، ولكنني كنت مشتتةً بين مسئوليتي، التي تتمثل في مساعدة "ماريانا"، ومعرفتي أن ما سأقوله هو الحقيقة التي لم أكن متأكدة هل تود هذه الأم سماعها أم لا.

فالحقيقة – بالنسبة إلى هذه الأم والآباء الآخرين – هي أن "ماريانا قد ضحت بفضولها الطبيعي وحبها للتعلم من أجل تحقيق الإنجازات، وهذا خطؤنا؛ فأبواها ومعلموها ومجتمعها ككل متورطون في هذه الجريمة ضد التعليم، فمنذ اليوم الأول لها في الدراسة، قدناها إلى التخلص من حبها للتعلم، ودربناها على قياس تقدمها في التعلم وتحقيق الإنجازات بالعديد من الوسائل، منها الحصول على القدر الأكبر من النقاط، وتحقيق النتائج الجيدة، والمكافآت. لقد علَّمناها أن إمكاناتها مرتبطة بذكائها، وأن ذكاءها أهم كثيرًا من شخصيتها، وعلَّمناها أن تعود إلى المنزل فخرًا بعد حصولها على درجات ممتازة، وكئوس بطولات، ورسائل قبول من الجامعات التي قدمت طلبًا للالتحاق بها، وعلمناها من دون قصد أننا لا نهتم حقًّا بكيفية حصولها عليها، وكذلك أن تحافظ على تفوقها في المناهج الدراسية

والمناهج غير الدراسية بأي ثمن، وأنه من الأفضل لها أن تتوقف عندما تصبح الأمور أكثر صعوبةً بالنسبة إليها بدلًا من المخاطرة بإفساد ما حققته من سجل إنجازات مثالي. والأهم من كل ذلك، فإننا علَّمناها أن تخاف من الفشل، فدمر ذلك الخوف حبها للتعلم.

أنظر إلى هذه الأم التي يعلو القلق وجهها، وهي تمسك بالقلم، وتنتظر إجابتي الحكيمة عن سؤالها بفارغ الصبر وتستعد لتدوينها، فأناضل لأجد طريقة لطيفة أشرح لها أن الانزعاج اليومي بشأن الحصول على أعلى قدر من النقاط والدرجات يجعل "ماريانا" تستمر في اعتمادها على والدتها في دفعها للدراسة والتحصيل، ويعلمها أن المكافآت الخارجية أهم كثيرًا من الجهود التي تستثمرها هي في دراستها؛ فهي تهتم كثيرًا بإرضاء أبويها لدرجة أن حبها للتعلم تلاشى لرغبتها المستمرة في إرضائهما.

فقلق هذه الأم نابع من حبها لابنتها، وهو أمر واضح؛ فهي تود أن تقدم العالم كله إلى أبنائها، وتلك الأمور التي تفعلها لتشجيعهم على تحقيق هذا النوع من الإنجازات التى ستساعدهم على تأمين سعادتهم وشرفهم، كما تعتقد هي، ربما تقوض نجاحهم المستقبلي.

"ماريانا" ذكية إلى حد كبير، وتذكرها أمها بذلك الأمر بصفة يومية، لكنها لا تتلقى الثناء على اجتهادها ومجهودها الذي تبذله لحل المسائل الرياضية الصعبة، أو القيام ببحث علمي معقد جدًّا؛ فمثلًا إذا كانت الإجابة في نهاية الصفحة خاطئة، أو إذا وصلت إلى طريق مسدود في بحثها، تكون بذلك قد فشلت، بغض النظر عما تعلمته من نضالها للوصول إلى ما وصلت إليه. وعلى عكس ما تعتقده، فهي في تلك المواقف شديدة الصعوبة **تتعلم بالفعل**؛ تتعلم أن تكون مبتكرة في حل مشكلاتها، وتتعلم المثابرة، وضبط النفس، والدأب، ولكن نظرًا إلى خوفها الشديد من الفشل، بدأت عدم الإقدام على الكثير من المخاطرات في الدراسة؛ لأنها تعلم أنها إذا حاولت فعل شيء صعب أو جديد وفشلت، فسيكون هذا الفشل دليلًا على أنها ليست بالذكاء الذي يشهد لها الجميع به؛ فكانت تؤثر السلامة. أهذا هو ما نريده؟ أطفالًا يحصلون على درجات ممتازة، ولكنهم يكرهون التعلم؟ أطفالًا يحرزون إنجازات دراسية ولكنهم يخشون المغامرة واكتشاف ما هو جديد؟

كانت والدة "ماريانا" متفوقة جدًّا في الدراسة والعمل، وتعرف قيمة هذا العمل الشاق في حياتها؛ فقد سمحت لها والدتها بتجربة الفشل واللهو والتعلم من أجل التعلم، ولكن الآن في أثناء تربيتها هي

لابنتها، فقدت الشعور بقيمة النضال؛ فهي غاية في القلق بشأن إنجازات "ماريانا" المستقبلية، لدرجة أنها لا تتركها تعمل بمفردها على حل ما تواجهه من عقبات في طريقها، فهي تريد أن تمنح "ماريانا" كل شيء، لكنها نسيت أن أفضل التجارب التي مرت بها في مرحلة طفولتها واكتسبت منها الخبرات في حياتها قد نجمت عن روح المغامرة والإثارة التي شعرت بها عند مواجهتها التحديات والصعوبات، بدايةً من المحاولات الكثيرة التي قامت بها، وفشلها، ثم محاولتها مجددًا لإنجاز شيء بمفردها، فقط من أجل المغامرة والسرور اللذين يكمنان في تعلم شيء جديد.

أعرف هذه الأم لأنها ببساطة مثلي، وأعلم أن إخبارها بالحقيقة أمر صعب؛ لأنني أخشى من أنها ستغضب، وستتخذ موقفًا دفاعيًّا، ولأن هذا يعني أنه عليَّ الإقرار بكل الأخطاء التي قامت بها؛ لأنني أنا أيضًا قمت بها في أثناء تربيتي ابنيَّ. ربما حان الوقت لمشاركتها بعض الحقائق، بما أنني اكتشفت مواطن الخطأ لديَّ، ومعًا يمكننا مساعدة أطفالنا على إعادة اكتشاف شجاعتهم الفكرية، وحماسهم للتعلم، والمرونة التي يحتاجون إليها لكي يصبحوا بالغين مستقلين وأكفاء. وإذا حالفنا القليل من الحظ، فسيسترجعون مرحلة طفولتهم وسيشكروننا؛ ليس فقط من أجل حبنا إياهم الذي لا يتزعزع، ولكن أيضًا لاستعدادنا لإعطاء الأولوية لتطورهم على المدى الطويل، واحتياجاتهم النفسية، قبل تحقيق سعادتهم قصيرة الأجل. لتكن حياتهم صعبة بعض الشيء الآن ليعرفوا كيف يواجهون العقبات في المستقبل.

أخذت نفسًا عميقًا، وتمنيت أن تسير الأمور على ما يرام، وأخبرتها بالحقيقة.

التحفيز الداخلي: أعظم إنجاز في التربية

إليكم ما أخبرتها به: كلما قللنا الضغط على أطفالنا من أجل تحقيق النجاح الدراسي، زاد إقبالهم على التعلم، وكلما قللنا استخدام المكافآت الخارجية للتأثير في أبنائنا، زاد انخراطهم في دراستهم من أجل التعلم وحبهم إياه.

يبدأ جميع الأطفال حياتهم مدفوعين برغبتهم في الاستكشاف، والابتكار، والتطوير. ويخطو الأطفال خطواتهم الأولى مدفوعين برغبتهم في اكتشاف بيئتهم ومعرفتها، فإذا كانت هناك وسيلة لاتباع أفضل أسلوب في التربية، فهي الحفاظ على الدافع الداخلي الذي يقود أبناءنا إلى التعلم، وللأسف يعتمد الآباء والمعلمون على نوع نظام المكافآت نفسه المتبع في تدريب القردة وحيوانات

الفقمة؛ فهذا الأسلوب يجدي نفعًا في السيرك فقط، ولكن الموز وأسماك الرنجة – أو ما يشبهها لدينا مثل أجهزة الآي باد والبيتزا – لا يجديان نفعًا مع البشر. قد تؤتي المكافآت بثمارها على المدى القصير، ولكن عندما يتعلق الأمر ببث روح التحفيز والحماس للتعلم على المدى الطويل، تكون المكافآت محفزًا مريعًا.

وقد اندهشت كثيرًا عندما قرأت بحثًا عن المكافآت، أولًا في كتاب "دانيال بينك" بعنوان **الحافز**_*، ولاحقًا في البحث الأصلي للطبيبين النفسيين "هاري هارلو" و"إدوارد ديسي"؛ فكل ما أقوم به تقريبًا في صفي وفي منزلي يدور حول المكافآت الخارجية، ولكن البحث الذي أجراه "هارلو" عما يحفِّز القردة جعلني أتشكك فيما أقوم به.

ففي عام ١٩٤٩، شعر "هارلو" بالفضول بشأن ما يحفز الرئيسيات، وهي (أرقى أنواع الثدييات) و(بالتبعية، البشر)؛ لذا أعطى ثمانية قردة – كل قرد في قفصهِ – قفلًا مثبتًا على قطعة من الخشب، وانتظر ليرى ماذا ستفعل القردة بها. ولم يطل انتظاره؛ لقد أحبت القردة اللعب بالأقفال، ولعبت بها مرارًا وتكرارًا إلى أن فتحتها؛ ففتحت القردة الأقفال لمجرد أنها شعرت بالمتعة في هذا النشاط، أو كما قال هارلو: "إن إنجاز المهمة منحها مكافأة داخلية"، فكان ذلك كل ما تحتاج إليه القردة كي تتحفز.

وشعر "هارلو" فور إدراكه قوة التحفيز الداخلي بالفضول بشأن ما إذا كانت "المكافأة الخارجية"، ومنها مثلًا الزبيب، ستحسن أداءها.

فقام "هارلو" في المرحلة الثانية من تجربته بإعطاء نصف عدد القردة زبيبًا مكافأةً على فتحها الأقفال. لقد أبلت القردة بلاءً حسنًا في فتح الأقفال من قبل، لذا من الطبيعي أنها إذا ما مُنحت مكافأة، فستفتح الأقفال بشكل أسرع، أليس كذلك؟ لا، فالأمر ليس كذلك على الإطلاق، فالقردة التي حصلت على الزبيب فتحت الأقفال بشكل أبطأ، وبمعدل أقل من المرة التي لم تعرض عليها فيها مكافأة. لقد تعارض شيء ما يتعلق بالمكافأة الخارجية مع تحفيزها الداخلي، وأقصاها عن اللعبة (أو عن فتح القفل في هذه الحالة).

والقياس على ذلك بالنسبة إلى البشر بسيط، وهو: حينما يكون الطفل شغوفًا بأداء مهمة ما، فعلى الأرجح سيكون مثابرًا، حتى عندما يتعثر، أو عندما تزداد المهمة صعوبةً وتحديًا، أو عندما يفشل

في القيام بها من المرة الأولى. عُد بذاكرتك إلى الاستكشافات التي قام بها طفلك الصغير، وهو يحبو على أرضية غرفة المعيشة، ويمسك بذيل القطة، ويزيل الكتب عن الرف السفلي من المكتبة. فقد قام ابناي بتصرفات كدت أن أجن لها؛ فكانا يسقطان الملاعق من منفذ التهوية في جهاز التدفئة في غرفة المعيشة، وحاولا مرارًا وتكرارًا تسلق الدرج بمفرديهما؛ فذلك الحافز نفسه الذي يتيح للأطفال حفظ أسماء المشاهير من رجال الدين، أو حفظ الاسم العلمي، وجنس كل ديناصور عاش خلال العصر الطباشيري؛ ما يحفز قدرتهم على التعلم في المراحل المبكرة من الدراسة. يجب أن يكون هدفنا عندما يكبر الأطفال أن نحافظ على هذا الفضول الطبيعي، والتعطش إلى الاستكشاف مهما كلف الأمر. ولسوء الحظ فإن الوسائل التي نستخدمها لتحفيز أبنائنا، مثل المكافآت، تتعارض مباشرة مع ما يجعل الأطفال ملتزمين ومهتمين. فببساطة، إذا كنت ترغب في أن يتوقف طفلك عن عمل واجبه المدرسي، فكافئه لدرجاته الجيدة.

وذات مرة، قبل عدة أعوام، كانت لديَّ طالبة يشتكي والدها من أنها "سيئة في الإملاء"؛ فمهما بذلت من مجهود، كانت تفشل في حفظ القائمة الأسبوعية المكونة من عشر كلمات وإملائها، وكانت درجاتها تقترب من جيد مرتفع، ولكن درجاتها في الإملاء كانت تقلل من تقديرها؛ ليصل إلى تقدير جيد. وحصلت في عام تخرجها على تقدير جيد، فغضب أبواها، ولكنهما لم يغضبا منها، بل غضبا مني، فطلبا عقد اجتماع بين ولي الأمر والمعلم، وطلبا كذلك أن يحضر هذا الاجتماع بعض كبار الإداريين في المدرسة. وأوضحا في هذا الاجتماع أن ابنتهما ليست "طالبة تستحق الحصول على تقدير جيد فقط"؛ وفسرت الأم بأنه على الرغم من كل الدعم الذي كانت تتلقاه ابنتهما، فإنها سيئة في الإملاء بطبيعتها، ولا ينبغي أن تعاقب لذلك. استغرق الاجتماع ما يقرب من ساعة ونصف الساعة، وفي أغلب ذلك الوقت وبخني الأبوان لكوني معلمة غير كفء، وحذراني من أن أفعالي قللت من تقدير ابنتهما لذاتها، لدرجة أنها كانت تبكي في الليلة السابقة لاختبار الإملاء.

استخدمت أفضل المهارات لديَّ بصفتي معلمة وأمًّا: استمعت، وحافظت على هدوئي، وتعاطفت معهما لشعورهما بالإحباط، كما قدمت إليهما نصيحة مبشرة؛ حيث قلت لهما إنهما إذا ما ارتضيا بهذا التقدير الذي حصلت عليه ابنتهما، وشجعاها لما تبذله من مجهودات وليس لدرجاتها، فربما يجدان تقدير جيد الذي يعتبرانه الآن "كارثة" أحد أفضل الأشياء التي حدثت لها على الإطلاق، لكن ذلك لم يهدئ من ثورتهما تمامًا؛ فرحلا عن ذلك الاجتماع غاضبين للغاية؛ لأنني لن أغير درجتها،

وشعرت بالإحباط والقلق من حقيقة أنني سأقوم بالتدريس لابنتهما مجددًا في العام التالي. وتمنيت أن يستوعبا النصيحة التي قدمتها إليهما، ويأتي يومٌ ما نسخر فيه جميعًا من تقدير جيد الذي حصلت عليه.

وفي الخريف التالي، عادت ابنتهما إلى المدرسة بحماس والتزام متجددين تجاه دراستها، فأيًّا كان ما حدث في منزلهم على مدار الصيف، فإن **شيئًا ما** قد أجدى نفعًا؛ حيث درست جيدًا من أجل اختبارات الإملاء، وانطلقت بقوة، فحصلت على الدرجة النهائية في أول اختبار لها، وتوالت درجاتها المثالية في الاختبارات. وبعد مرور شهر تقريبًا من بداية العام الدراسي، قمت بتصحيح اختبار لها وهنأتها على نتيجتها الممتازة في أثناء مراقبتي في قاعة الدراسة، ثم أشرت إلى سلة المهملات ورفعت حاجبي بهدوء، وقلت لها: "أتودين استعادة هذا الاختبار، أم أقوم بالتخلص منه؟" فتوجهت إلى مكتبي لاستعادة الاختبار، وقالت لي: "يجب أن أحصل على هذا الاختبار، وإلا فلن أحصل على الدولارات العشرة التي وعدني بها والداي".

إذن، كانت تحصل على عشرة دولارات مقابل حصولها على درجة ممتازة، فتضايقت قليلًا، ولكن من ناحية أخرى تساءلت ما الضرر في ذلك؟ فأبواها لديهما ما يكفي من الأموال لمنحها مكافأة مقابل حصولها على الدرجة النهائية في الاختبار الأسبوعي، كما توافر لديها بعض المال في جيبها، وتحول ماضيها كطالبة "سيئة في الإملاء" إلى ذكرى مزعجة، كما أصبحت تشعر بالسعادة لذلك. وبدا أن الاتفاق قد أتى بثماره، واستفاد منه الجميع، لكن إلى فترة وجيزة، فأحيانًا كانت تقل درجاتها مرة أخرى بعد العطلات؛ فتساءلت عن السبب، وعرفت أن أبويها ما زالا يعطيانها الدولارات العشرة مقابل كل درجة ممتازة تحصل عليها، لقد بررت ذلك قائلة إن هذا العام كان حافلًا ومليئًا بالمواد الدراسية، ولكنها وعدت بأنها ستعود وتحصل على الدرجة النهائية مجددًا كما كانت تفعل من قبل، لكن نتائجها لم تتحسن قط، فأنهت العام دون أن ترتفع نتائجها لتحصل على الدرجة النهائية في الإملاء، ولكنها بالقطع قد تحسنت عما كانت عليه في العام الماضي.

إذن، ما الذي حدث؟ إذا كانت الدولارات العشرة قد حفزتها في الشهر الأول أو الثاني، فلماذا لم تعد تجدي نفعًا بقية الأشهر؟ هناك سببان وراء هذا الأمر: أولًا، المكافآت لا تجدي نفعًا مع الأشخاص؛ لأنهم يعتبرونها محاولات للسيطرة على سلوكياتهم؛ ما يقوض التحفيز الداخلي لديهم.

ثانيًا، على الأرجح البشر يلتزمون بالمهام التي يلزمون أنفسهم بها بمحض إرادتهم واختيارهم الشخصي، فإذا خيَّرنا الأشخاص بين الالتزام بمهمة "يجب فعلها"، أو عمل أي شيء آخر، فسيختار الأشخاص عمل أي شيء آخر ناتج عن اعتمادهم على ذواتهم وحقهم في تقرير مصيرهم.

أطلع الطبيب النفسي "إدوارد ديسي"، مؤلف كتاب *Why We Do What We Do: Understanding Self–Motivation* البشر على تجربة "هاري هارلو" بشأن التحفيز الداخلي التي أجراها على القردة، حيث سعى "ديسي" إلى معرفة سبب فضول الأطفال الصغار الواضح، ورغبتهم في استيعاب عالمهم، وسبب فقدان الأطفال الأكبر سنًّا ذلك الحافز الداخلي، فقال: "راودتني الفكرة العابرة غير المجدية وهي أنه ربما تكون كل المكافآت، والقواعد، والنظم الصارمة التي نستخدمها بشكل موسع لتحفيز طلاب المدارس كانت شريرة وغير مجدية في حد ذاتها، ولا تشجعهم على الحماس في أثناء الدراسة، بل تُحدث حالة من اللا مبالاة"١.

احتاج "ديسي" – من أجل عرض تلك المحفزات الشريرة وغير المجدية وإثبات نظريته – إلى مهمة مثيرة للاهتمام بطبيعتها، وبعض الطلاب ليكونوا موضوع الاختبار الخاص به. وقد صادف لعبة سوما لشركة باركر بروزرز، وهي "أروع أحجية للمكعبات في العالم"، وسرعان ما أدمن حلها، وشعوره بالإنجاز الذي شعر به حين قام بحل تلك الأحجية؛ فوفقًا لـ"ديسي"فإن تحدي أحجية مكعب سوما ومحاولة حلها كانت تسبب إدمانها، حيث وجد نفسه يداوم على التفكير فيها ومحاولة حلها في عقله، حتى بعد تركه المكعب من يده، ثم دعا الطلاب إلى معمله ليقوموا بحل تلك الأحاجي. تلقى بعض الطلاب دولارًا عن كل أحجية يقومون بحلها، وبعضهم لم يتلقَّ شيئًا، وكان عليهم الاعتماد على شعورهم بالرضا. بعد أن يحل الطلاب بعض الأحاجي، يترك "ديسي" الغرفة مدة ثماني دقائق لاستكمال مهمته الإدارية، ويترك الطلاب موضوع الاختبار بمفردهم في المعمل مع الأحاجي، ومجموعة كبيرة من المجلات. ويقوم مراقب بمراقبة الطلاب في سرية خلال الدقائق الثماني؛ ليرى كيف يستغل هؤلاء الطلاب وقتهم بعد فراغهم من حل الأحاجي؛ فالطلاب الذين حصلوا على دولار لاستكمال حل الأحاجي لم يكملوا على الأرجح اللعب بالمكعبات، بينما ظل الطلاب الذين لم يحصلوا على مكافأة يستكملون اللعب، لاستمتاعهم الشخصي بالنشاط فحسب. من وجهة نظر "ديسي"، المال لا يحث على التحفيز، بقدر ما يسيطر عليه، وتلك السيطرة تشوش على شعورنا بالتحفيز الداخلي.

وبعد قيامه بالمزيد من الدراسات في هذا الصدد، خلُص إلى أن أي شيء يعتبره البشر عاملًا مسيطرًا عليهم، يكون مضرًّا للتحفيز على المدى الطويل، ومن ثم يصبح مضرًّا للتعلم. أتريد أن تحوم حول أطفالك لتتأكد من قيامهم بأداء الفروض المنزلية بشكل صحيح مائة في المائة؟ هذا الأمر ضار٢.. أتشعر بضرورة فرض بعض الأهداف الخاصة بك على تعليمهم؟ هذا ضار.. أتتلهف لفرض موعد نهائي خاص لانتهاء ابنك من المسودة الأولية لمشروعه العلمي؟ هذا الأمر ضار.

ألا تصدقني؟ جرب هذا الاختبار البسيط؛ اذهب إلى غرفة طفل صغير، واطلب منه أن تلعب معه بالمكعبات، فإذا لعبت وفق قوانينه، فسيسير كل شيء على ما يرام، ولكن إذا بدأت فرض أهدافك على اللعب، أو حاولت أن تفرض اتجاهات جديدة مبنية على رغباتك واحتياجاتك أنت، فسينتهي المرح سريعًا. فإما أن يفقد طفلك اهتمامه باللعب وإما أن يغضب، ولكن في كلتا الحالتين، سيسأم من اللعبة وينهيها؛ فأسرع طريقة لقتل اهتمام طفلك بلعبة ما، أو موضوع ما، أو تجربة ما هي فرض رغبتك أنت على طريقة تعلمه وإتقانه إياها.

إذن، ماذا يفترض بالآباء فعله إذا لم يكن بإمكانهم تقديم رشوة إلى الأبناء، أو الإشراف عليهم، أو فرض أهداف أو مواعيد نهائية لهم؟ صدق أو لا تصدق، فالإجابة حتى إن لم تكن غير متوقعة هي التنحي جانبًا وعدم التدخل في شئونهم. واسمح للأطفال بالسيطرة والاعتماد على الذات الذي يتوقون إليه حتى إن كان ذلك يعني النضال من أجل النجاح في المهمة الموكلة إليهم، أو الموقف المطروح أمامهم. قام "ديسي"، في تجربة قائمة على النتائج الأولية التي توصل إليها في بحثه المتعلق بحل أحجية سوما، بعرض مجموعة من الأحاجي على نصف الطلاب الذين أجرى عليهم الاختبار، وكما هو متوقع، فإن هؤلاء الطلاب الذين مُنحوا الاختيار، قضوا المزيد من الوقت في اللعب بالأحاجي، وشعروا بالمزيد من المتعة أكثر من الطلاب الذين لم يمنحوا الاختيار٣. امنح طفلك العديد من الخيارات فور أن يصبح قادرًا على الاعتماد على نفسه بمفرده، وربما قبل أن يصبح مستقلًّا تمامًا بوقت قليل، فهذه إستراتيجية معروفة ورائعة للأطفال الصغار العالقين في مرحلة التطور التي يقومون فيها بالقليل من السيطرة على عالمهم، وعلى الرغم من ذلك تكون حاجتهم إلى الاعتماد على ذواتهم مرتفعة؛ فتقديم الخيارات المحدودة للأطفال الصغار على سبيل المثال – **هل تود انتعال الحذاء الرياضي الأزرق أم الأحمر**– يمنحهم انطباعًا بسيطرتهم على الأمور، دون السماح لهم بامتلاك المزيد من هذه السيطرة التي تنتج عنها الفوضى والاضطراب.

امنح الأطفال ممن هم في عمر المدرسة السيطرة والاعتماد على الذات بشأن أين، ومتى، وكيف يكملون أعمالهم المدرسية، واسمح لهم بالاختيار في النواحي الأخرى المهمة من حياتهم، مثل الأصدقاء، والأعمال المنزلية، والرياضة، وموضوعات أخرى سنتناولها في الفصول التالية. ضع توقعات غير قابلة للنقاش تنتظر منهم القيام بها، مثل: "ستستكمل الفروض المنزلية بدقة وفي الوقت المحدد"، أو "ستعود إلى المنزل في العاشرة، وأنتظر منك أن تكون هنا أو أن تتصل إذا حدث شيء ما". بعد توضيح هذه التوقعات، لا بد أن تسمح للأطفال الأكبر سنًّا بالاعتماد على ذواتهم لاكتشاف الطريقة المحددة والإستراتيجية التي سيتبعونها لتحقيق تلك التوقعات. ما دامت توقعاتك هي أن يتم إنجاز الفرض المدرسي بدقة، وفي الوقت المحدد، فإن المكان والزمان والكيفية التي ينجزون بها الفروض المنزلية لابد أن تكون متروكة لهم.

لا تقلق؛ فهذا لا يعني أن المعلمين والآباء ليس لهم رأي في تعليم أبنائهم، ولكن يعني ببساطة أن نترك إستراتيجيتنا الحالية ونكون مبدعين. لن أكذب؛ لقد كان تطبيق هذه المعرفة وممارستها على أرض الواقع في الصف الذي أقوم بالتدريس فيه تحديًا كبيرًا، فأنا **أحب** أن أقف في مقدمة صفي، وأملي على طلابي أوقات إنجاز فروضهم المنزلية وأماكنه وطرقه، وأدرس لهم دروسهم بدقة، وأقوم بتكليفهم بمهام لتلك الدروس، وأعطي درجات على تلك المهام، حينما يقوم الطلاب بتسليمها في الوقت المحدد للتسليم. وكنت أقوم بالتدريس على هذا النحو عشرة أعوام، ولكن بعد أن اطلعت على بحث "ديسي"، اقتنعت بأن أغير طريقة التدريس قليلًا، وأرى ما سيحدث. لحسن الحظ، تحول المعلمون في أنحاء البلاد كافة إلى التعلم القائم على المشروعات، حيث يشكل الطلاب عالمًا فعليًّا من التحديات والأسئلة، ثم يجدون حلًّا لها بأنفسهم. ويحدد الطلاب النطاق، والأهداف، والخطوات في هذا المشروع، ومن ثم يشعرون بإحساس المسئولية الحقيقية للتعلم؛ فمحاولتي الأولى في تولي زمام تعليم طلابي كانت مشجعة، واستخدمت العمل الذي قام به "ديسي" كمخطط لأسير وفقه في دروسي. كلما تراجعت وسمحت لطلابي بالتوصل إلى تفاصيل مشروعاتهم وتقييماتهم وطرق تعلمهم بأنفسهم، استثمروا كل طاقتهم أكثر في تلك المشروعات. كان عليَّ تغيير تفكيري في الصف، ولكن كلما رأيت طلابي ينخرطون بحماس في تعليمهم في المدرسة، أدركت أن عليَّ تجربة تلك الإستراتيجيات الجديدة في المنزل مع طفليَّ.

أخذت المبادئ التوجيهية التي استخلصتها من "ديسي"، وخصصت وقتًا للتحدث مع زوجي بمفردنا، وأطلعته على كل شيء، وهو: لو أن التحفيز الداخلي يحدث عندما يشعر الأطفال بأنهم معتمدون على ذواتهم، وأكفاء، ومرتبطون بالأشخاص والعالم من حولهم، فيجب علينا أن نربي ابنينا وفقًا لتلك الاحتياجات الثلاثة.

الاعتماد على الذات: حيث يكتشف الأطفال أن الاعتماد على الذات شعور رائع

يتشابه الاعتماد على الذات والاستقلال في أنهما يبعثان على الخوف، ولكن تختلف جذورهما اختلافًا أساسيًّا؛ فالاستقلال هو المقابل اللغوي لكلمة التبعية، أما الاعتماد على الذات فيعني أكثر من ذلك، فكلمة *Autonomy* مشتقة من اللغة اليونانية، حيث إن كلمة *Auto* تعني "الذات"، أما *nomos* فتعني "العرف" أو "القانون"؛ لذلك على الطفل استيعاب نظامٍ من القواعد للعيش بشكل مستقل، ومن أجل تعزيز تشكيل هذا الحكم الذاتي لدى الأطفال، يجب على الآباء مساعدة أبنائهم على التوصل إلى نظام من المبادئ التوجيهية؛ لكي يتمكنوا من حل المشكلات، والتفكير بشكل خلاق في أثناء تشبثهم بمبادئ السلوكيات المجربة والمثبتة فاعليتها، فعندما يكون الآباء مفرطي السيطرة على أبنائهم، لا يفكر الأطفال في أسباب تصرفهم في حياتهم وكيفيته، ويكون خيارهم هو أن يستجيبوا إلى القواعد الموضوعة من عدمه، أما إذا تركنا لهم حرية السيطرة على حياتهم بشكل أكبر بعيدًا عن تأثيرنا، فعلى الأرجح سيتخذون قرارات ثابتة وراسخة تحكمها القواعد، وهو ما يعد حقًّا مكتسبًا للطرفين؛ لأن الاستقلالية تفضي إلى الاستقلالية. وحينما يدرك الأطفال أنهم يتحكمون في حياتهم، سيرغبون في أن يكونوا أكثر سيطرةً على حياتهم، وسيصبحون أكثر مسئولية.

في حين أن البحث بشأن التحفيز الداخلي يظهر أن محاولة فرض السيطرة على أطفالنا تقوض حس الاعتماد على الذات لديهم، فإن هذا **لا**يعني ألا نلقي الأوامر على أبنائنا، بل على العكس تمامًا. إن الأطفال في مختلف الأعمار في حاجة إلى وضع حدود لهم وإرشادهم من قبل الآباء والمعلمين، فمن دون وضع تلك الحدود، تندلع الفوضى؛ فالصفوف الدراسية أو المنازل التي تعج بالفوضى لا تساعد على تعزيز عملية التعلم. لقد قضيت الكثير من الوقت في صفوف معلمين آخرين، واكتشفت أنه عندما تكون مهارات أولئك المعلمين ضعيفة في إدارة الصفوف، ومن ثم يفشلون في وضع توقعات للسلوك والمعايير الشخصية للطلاب، يكون طلابهم قلقين ومرتبكين وشاردي الذهن وغير

منتبهين. أما في الصفوف الدراسية التي يحترم فيها المعلمون العملية التعليمية، ويوضحون توقعاتهم لطلابهم، يستطيع الطلاب الاسترخاء والتركيز في عملية التعلم.

وهناك طريقة واحدة يحاول بها الآباء والمعلمون فرض سيطرتهم على الأطفال، وهي عن طريق تقديم العطايا إليهم مثل: المكافآت، والهدايا، والأموال، وكذلك الثناء عليهم نظير أدائهم، لكن المكافآت من أجل الأداء الدراسي تجدي نفعًا على المدى القصير فقط، كما سبق أن رأينا في مثال تلك الطالبة التي كانت تحصل على الأموال نظير نتائجها الممتازة في اختبارات الإملاء. فهل هدفك أن يحصل ابنك على تقدير ممتاز في الاختبار المقبل في مادة الجبر، أم أن يهتم بدراسة الرياضيات على المدى الطويل؟

أعرف أنه من الصعب تقبل هذه المعلومة؛ فالمكافأة نظير الأداء هي الطريقة الأمريكية، والرأسمالية في العمل، وكل شيء لا بد من أن يكون له مقابل، أليس كذلك؟ فكما تعلمنا قديمًا في مادة العلوم التي درسناها في المدرسة الثانوية، أنه عندما منح "بي. إف. سكينر" فئران معمله مكافآت مقابل ضغطهم على ذراع التحكم، نجح الأمر؛ فقامت الفئران بالضغط على ذراع التحكم تلك مرارًا وتكرارًا، وأثبت أن الحيوانات تستمر في أداء سلوك معين ما دامت هناك مكافأة مرتقبة نظير قيامها بذلك. وهناك مشكلة رئيسية في استخدام المكافآت لتحفيز السلوكيات، وهي أن الحيوانات تستمر في أداء سلوك معين **ما دامت هناك مكافأة مرتقبة**، ولكن كما يشير "ديسي"، متى كانت آخر مرة رأيت فيها فقمة تقوم بوضع كرة على أنفها بتوازن دون أن يكون هناك مدربٌ واقفٌ أمامها ممسكٌ بسمكة؟ فإذا لم تكن هناك سمكة، فلن تقوم الفقمة بعمل أي عرض؛ فالمكافآت تجدي نفعًا مع المهام المتكررة، أو غير المعقدة، أو المملة، ولكن حين يتعلق الأمر بالإبداع والتعلم الدقيق، فإنها تكون بمنزلة محفزات سيئة. وتقوم واحدة من أفضل الدراسات البحثية بشأن هذا الموضوع بتلخيص تأثير المال في التعلم من خلال صياغة عنوانها على النحو التالي: "يعزز المال عملية تدعيم الذاكرة، ولكن الأمر ينطوي على الموضوعات المملة فقط"[٤].

إن الأمر الوحيد الأكثر ضررًا الذي يمكن للآباء والمعلمين القيام به في أثناء تعليم أبنائهم هو ممارسة الضغط عليهم من خلال السيطرة والتحكم. إن السيطرة عدو الاستقلال، سواء كانت على شكل تهديدات، أم عطايا، أم صفقات، أم مراقبة، أم أهداف مفروضة، أم عمليات تقييم، أم مكافآت

وثناء كذلك، فنحن معشر الآباء جميعنا مذنبون، دعني أوضح لك: هناك جدول بالأعمال الروتينية معلق على ثلاجتي، وأعلى تلك الثلاجة توجد لعبة ابني المفضلة، وهي عبارة عن دمية محشوة، تدعى "ستينكي"، وإنني أحتفظ بهذه الدمية لديَّ كرهينة إلى أن ينظف ابني غرفته، ويكاد "فين" يستشيط غضبًا من ذلك الأمر. مررت بلحظة ضعف أججها لديَّ شعوري بالإحباط، واستدعيت خبرتي التربوية، واستعنت بها في هذا الأمر عندما اتخذت قرار أخذ الدمية "ستينكي" كرهينة لديَّ، وفور قيامي بهذا، كان عليَّ متابعة ما بدأته؛ فعملية التربية صعبة، حتى إن من يعلم منا الأمور التي تجدي نفعًا في المطلق، يقع ضحية العادات القديمة. ومع ذلك، فإن البحث الذي قام به "ديسي" وآخرون واضح، ومفاده أن: أية إستراتيجية تقوض الاعتماد على الذات لن تنجح على الأرجح إذا كان الهدف هو التعليم على المدى البعيد.

وهناك عيب آخر لتقديم المكافآت كحافز، هو أن هذه الإستراتيجية تعوق الإبداع والقيام بالمجازفات، فعندما تكون المكافأة على المحك، والتركيز منصبًّا على النتيجة النهائية، فما الهدف إذن من الإبداع؟ لو علم طلابي أنهم سيحصلون على جهاز آي بود نظير حصولهم على تقدير ممتاز، فإنهم سيسلكون الطريق الأكثر أمانًا للحصول على ذلك التقدير؛ لأنهم لا يودون المجازفة وخسارة مكافأة الآي بود. أما الطالب الذي يستمد تحفيزه من عملية حل المشكلات، والاستكشافات الفكرية، يتعلم من أجل التعلم، وإذا حصل على تقدير ممتاز، أو جهاز آي بود فسيكون ذلك رائعًا. ولهذا السبب تجدي المكافآت التي تمنح بين الفينة والأخرى نفعًا، بعكس المكافآت الروتينية، والمتوقعة التي لا تجدي نفعًا، فالإثارة والمفاجأة الناتجتان عن مكافأة على الأقل لم تكن تتوقعها، بإمكانهما أن تكونا تحفيزًا يعطي دفعة، ولكن أقولها مرة أخرى، ذلك يحدث فقط عندما لا تكون المكافأة جزءًا من ممارسة روتينية.

فإيقاف اعتماد الأطفال على نظام المكافأة نظير الأداء لا يحدث بين عشية وضحاها، خصوصًا إذا صارت إستراتيجية لكل شيء مقابل هي الإستراتيجية الافتراضية في عملية التربية. وتذكر دائمًا الفقمة المدربة على الأداء مقابل المكافأة، وتوقع أن السلوكيات التي كنت تنتزعها من ابنك بالمكافآت قد تتوقف حالما تختفي تلك المكافآت، وسيكون هذا الأمر على الأرجح محبطًا لك ولابنك على المدى القصير؛ لذا قد يكون من المفيد التحدث إلى أبنائك الأكبر سنًّا بشأن أسباب إنهائك النظام الذي كانوا يعتادونه، فأنت نموذج يحتذيه طفلك في سلوكه وموقفه تجاه الفشل. والأطفال في حاجة إلى

رؤية نماذج من البالغين يعترفون بأخطائهم، ويتعلمون كيف يكونون آباءً وأشخاصًا أفضل، ويتبنون إستراتيجيات جديدة حينما تفشل إستراتيجياتهم القديمة. تأكد أنهم يعرفون أنك تؤمن حقًّا بأن التعلم ينبع من الفشل، وشجعهم على رؤية الفشل من منظورك نفسه. وقد قامت "آن سوبيل"، محاضرة في فن التصوير السينمائي والإخراج في جامعة نورث ويسترن في قطر، بمقاومة رغبة طلابها في عدم المجازفة وتوخي الحذر عن طريق إدراج القيام بالمجازفات والفشل ضمن الدرجات التي تعطيها إياهم؛ فتقول: "أخبر طلابي بأنهم إذا حاولوا القيام بمشروع صعب يواجههم فيه الكثير من التحديات، فسوف آخذ ذلك بعين الاعتبار حين أضع لهم الدرجات، حتى إن لم ينجح الفيلم الذي قاموا على إعداده في توصيل وجهة نظرهم"[٥].

وأتبع في نهجي التربوي نموذجًا يقدم استجابة بناءة وقادرة على التكيف مع الفشل؛ فأنا أعترف بأخطائي، وأكون صادقة بشأن الأوقات التي تخذل فيها إستراتيجيات تدريسي طلابي، وأدت تلك الاعترافات إلى خلق أوقات كثيرة بها كثير من الإنتاجية والتعاون داخل صفي، فالأطفال يحتاجون إلى استيعاب أن تلك الأخطاء هي جزء من جهودي كي أصبح معلمة أفضل، وأن التعلم لا ينتهي أبدًا؛ فتقديم الأنماط والنماذج هو أقوى إستراتيجية تعليمية، وأقوى كثيرًا من المكافآت التي تتمثل في عرض الآي بود أو الدولارات العشرة.

ولأسباب ما كان اعترافي بأخطائي التي أقترفها في الصف أسهل عليَّ من اعترافي بأخطائي في منزلي؛ فعندما أدخل في نقاش حاد مع ابني المراهق، أو عندما أتولى زمام أمور بعض المهام المنزلية التي خرجت عن السيطرة ولم أستطع إنجازها كما ينبغي، أتشبث بعنادي، حتى إن كنت أعرف أنني قد أفسدت الأمر. وكان عليَّ تنحية كبريائي جانبًا والاعتراف بأخطائي، وأن أُظهر لطفليَّ أن لديَّ الشجاعة لتجربة الفشل، ومواجهته، واستيعاب الدروس المتعلمة منه جيدًا، والمضي قدمًا.

وعندما توقفت أنا وزوجي عن تقديم المكافآت إلى طفلينا، قررنا تجربة أمر كنت أستخدمه وقتًا طويلًا مع من أسدي إليهم النصائح في المدرسة، وهو: الأهداف، فالمدرسة الإعدادية السابقة التي كنت أعمل فيها معلمة كانت تستخدم نظامًا استشاريًّا؛ حيث يلتقي المعلمون أسبوعيًّا بالطلاب لمساعدتهم على تحديد أهدافهم بشأن كل شيء بداية من المدرسة والمشكلات الاجتماعية التي

تواجههم وصولًا إلى تحسين خطهم في الكتابة. أعتقد أن نظام الأهداف يجدي نفعًا مع الطلاب؛ لأنه يعد بمنزلة مكافآت تخضع لسيطرتهم بشكل كامل. وكنت أتحدث أحيانًا مع الطلبة الذين أسدي إليهم النصائح بشأن البدء من الصفر، وتحديد أهداف جديدة للفصل الدراسي، حينما أشعر بأنهم على استعداد للتجديد أو فتح صفحة جديدة. فعلى سبيل المثال، حددت واحدة من طلابي هدفًا وهو أن تتغلب على خجلها، وابتكرنا خططًا للتحدث إلى المعلمين، وطلب المساعدة من أشخاص بالغين آخرين، فحققت تقدمًا كبيرًا نحو هدفها في ذلك الفصل الدراسي؛ لأن ذلك كان **هدفها هي**، الذي تعمل على تحقيقه وفقًا لمعاييرها الشخصية، وإذا فشلت، فماذا في ذلك؟ فهي لم تكن مسئولة أمام أحد عن هذا الفشل سوى نفسها؛ فالأهداف المفروضة ذاتيًّا هي المجال الأكثر أمانًا الذي يمكن للطفل أن يفشل فيه؛ لأنه هو الذي يحدد تلك الأهداف، فإذا حدد الأطفال أهدافهم، وفقًا لجدولهم الزمني، بناءً على معاييرهم الشخصية، فلن يشكل الفشل هزيمة ساحقة بالنسبة إليهم. والأهداف قابلة للتعديل حيث تتغير باختلاف الظروف المحيطة، وربما يمكن تأجيلها إلى الأسبوع المقبل. وتوفر الأهداف بالنسبة إلى الأطفال الذين يخشون من الفشل فرصة لإثبات أنفسهم أمام أنفسهم، وتوفر سبيلًا آمنًا للقيام بالمجازفات، والفشل، والمحاولة مرة أخرى.

فإذا كنا حقًّا نرغب في أن يستثمر أطفالنا في الأهداف على المدى الطويل، فلا بد أن تكون تلك الأهداف هي أهدافهم، وليست أهدافنا. وقد اكتشفت صديقة لي هذا الأمر مؤخرًا حين توسل إليها ابنها للتوقف عن دروس البيانو. فوافقت أخيرًا على مضض حين قال لها: "أمي، أعتقد أن عزف البيانو **هدفك** أنت، وليس هدفي أنا". ومن الصعب تذكر هذا الأمر وأخذه بعين الاعتبار، خصوصًا في الوقت الذي يواجه فيه الطالب مشكلات، ولكن من أجل أن تنجح الأهداف في الإتيان بثمارها، يجب أن تكون هي أهداف الطفل نفسه.

وقد يقاوم المراهقون عملية تحديد الأهداف، خاصةً لو كان الآباء هم من يفرضون سيطرتهم الكاملة حتى الآن (أعتقد أن ابني الأكبر قد سخر من الفكرة ككل في المرات الأولى التي ذكرتها فيها)، لكنك ستستعيد ثقتهم بدوافعك، فور إدراكهم أنك فتحت صفحة جديدة وتود مساعدتهم على تحقيق **أهدافهم**، وتذكر أنه ينبغي ألا تسير الأمور في جلسة تحديد الأهداف مثلما تسير في اجتماعات العمل، فإن أفضل المناقشات يجب أن يتم إجراؤها بهدوء، واسترخاء، وينبغي ألا تتسم بالرسمية. فعادة ما أُجري مناقشاتي المفضلة داخل السيارة، وفي أثناء السير، وفي كل الأوقات التي

لا تتوقع أن تناقش فيها تلك الأمور؛ فالمراهقون غير مستعدين دائمًا للاستماع أو التحدث، وأحيانًا عليك ببساطة أن تكون مستعدًّا للتحدث معهم أينما وجدوا، وحيثما تكون عقولهم ونفوسهم مهيأةً لذلك.

ادعم أهدافهم، فستبدو بعض أهدافهم عديمة الأهمية، ولكن إذا كانت مهمة بالنسبة إلى ابنك لدرجة أن يعبر عنها بالكلام، ويحاول تحقيقها، فهي إذن مهمة بالنسبة إليك أنت أيضًا، ويجب أن تحترمها وتدعمها. يدعو "ديسي" هذه الإستراتيجية بـ"دعم الاعتماد على الذات"، ولكنني أطلق عليها التربية الذكية.

الكفاءة: تتولد الثقة من التجارب

ويمكنك أن تزيد من ثقة ابنك بنفسه من خلال الثناء عليه، ولكنك لا تستطيع خلق الكفاءة من خلال الثناء وحده؛ حيث تتطلب الكفاءة القدرة والتجربة معًا، فالثقة وحدها يمكن أن تؤدي إلى كارثة. وقد أوضحت دراسات حديثة أنه في حين يحتاج الأطفال إلى الانخراط في اللعب الحر الذي يشمل المخاطر والمجازفات، فإن الألعاب الخطيرة تكون أكثر خطورة بالنسبة إلى الأطفال الذين كانوا ممنوعين من الانخراط فيها أكثر من الأطفال الذين نشأوا على معرفة التعامل مع تلك المخاطر؛ حيث إن معرفة كيفية التعامل مع المخاطر من خلال الخبرة والتجربة، هي الكفاءة الحقيقية المكتسبة بشق الأنفس، وتجعلهم يشعرون بالرضا تجاه أنفسهم.

وعندما كان ابن جارتي في الخامسة من عمره، كان متأكدًا تمامًا أنه يستطيع تشغيل أدوات أبيه الكهربائية. وبما أن والده لم يعلمه كيفية استعمال أي من تلك الأدوات، فاستند هذا الاعتقاد إلى الثقة بدلًا من الكفاءة. وفي إحدى زياراتي إلى منزل هذا الطفل، قادني إلى آلة تقطيع الأخشاب الحديثة التي تخص والده، وهي آلة خطيرة جدًّا وقطعًا ينبغي ألا يستعملها الأطفال، فتطلع إليَّ والأمل يملأ وجهه (ووضع يده على زر التشغيل) وسألني إن كنت أريد رؤيته يشغلها، فرفضت عرضه (ونبهت أمه)؛ لأنني أعرف أن ثقته بنفسه تشكل خطورة عليه، ولا ترتكز هذه الثقة إلا على حبه العميق للأدوات الكهربائية فقط. الآن هو على مشارف الثانية عشرة، وأصبح نجارًا كفؤًا وحطابًا وعاملًا ماهرًا، لأن أباه أمضى ساعات في تعليمه كيفية تشغيل الآلة بأمان وفاعلية. فلم تنبع الكفاءة من

إيمانه فقط بأنه يستطيع تشغيل تلك الآلة، ولكن أيضًا من القدرة الحقيقية والساعات التي أمضاها في التجربة تحت إشراف أبيه.

وسيكون الأطفال الذين يتمتعون بالكفاءة الناتجة عن التجربة والخبرة أكثر أمانًا في حياتهم وفي العالم؛ لأنهم لن يلقوا بأنفسهم في المخاطر التي لم يستعدوا لخوضها، فالطفل الذي يعتقد أنه مستعد للغوص إلى قاع المسبح؛ لأنك أثنيت على موهبته المذهلة كسباح عندما قام بحركاته الأولى في السباحة الحرة سيكون عرضة لخطر الغرق أكثر كثيرًا من الطفل الذي يعرف قدراته الحقيقية، فكن صادقًا مع أبنائك وأثنِ عليهم لقدرتهم على الصمود ولمجهوداتهم المبذولة لتصحيح أخطائهم. وقبل كل شيء، ركز انتباهك على المكافأة: التحفيز الداخلي؛ فحرصك على حماية الأطفال من الشعور بالإحباط، والقلق، والحزن بعد مرورهم بالفشل على المدى القصير يُعد أمرًا خاطئًا؛ حيث يمنعهم من أن يصبحوا مرنين وقادرين على الصمود، ويمنعهم كذلك من الشعور بالتطور في طريقة تفكيرهم، وهو الأمر الذي يستحقون تجربته والمرور به.

شجع ما تلمسه لدى طفلك من كفاءة كلما أمكن ذلك. وراقب طفلة وهي تعد وجبة غدائها بإتقان، أو استمع إلى مراهق وهو يسرد اللحظة التي أحرز فيها هدفه في مباراة كرة القدم؛ فالكفاءة والإتقان يُعدان من المحفزات الرائعة. ففور تذوق الأطفال طعم النجاح، خاصةً النجاح الناتج عن جهودهم ومثابرتهم، سيدمنون تحقيقه. وهذا هو الشيء الجيد بشأن الكفاءة: فهي نبوءة ذاتية التحقق.

لقد شاهدت ما يحدث للطفل الذي كان يتم تملقه في السابق من قبل والديه، وتُقدم المكافآت إليه بشكل روتيني بعد تحقيقه إنجازًا ما، عندما يكتشف فجأة عجائب الإتقان؛ حيث يشرق وجهه كأن الشمس قد شقت الغيوم وسلطت أشعتها مباشرة على وجهه، فيمتلئ وجهه إشراقًا، ويتهلل من فرط الحماس والإثارة، وتنفرج أساريره. وأفضل جزء في هذه اللحظة هو أنه فور إتقان الطفل مهارة ما من خلال جهوده ذاتية التوجيه، فإنه يتلقى مجموعة من التغذية الراجعة الإيجابية التي تستمر في الإتيان بثمارها وتساعده على الاستمرار في النجاح. ويمكن للحماس الاستمرار سنواتٍ إذا تمت تغذيته. لقد رأيت شعور الكفاءة يمحو سنوات من الإحباط والنظرة السلبية إلى الذات ويبدلهما.

والسر يكمن في أن تلك الكفاءة لا بد من أن تنتج عن جهود الطفل، فضع ذلك في الاعتبار في بداية تقديمك المكافآت، مثل (الثناء المزيف، والهدايا، والتملق غير اللازم) وتحول إلى النظام الداعم

للاستقلالية. وستتضح القوة العجيبة للكفاءة في اليوم الذي يعود فيه طفلك إلى المنزل من المدرسة يمتلئ بالفخر والقدرة على السيطرة، وهو يستوعب تمامًا مفهومًا معقدًا وصعبًا.

الترابط: العلاقات هي التي تُكسب الاعتماد على الذات والكفاءة معناهما

يتحقق العنصر الأخير من التحفيز الداخلي من خلال علاقة ابنك بك أنت، وبمعلميه، وبالعالم ككل؛ فالبشر كائنات اجتماعية بطبيعتها، ونحن في حاجة إلى معرفة أن جهودنا تعني شيئًا ما للآخرين وللعالم. والخبر السار هو أن أسلوب التربية الذي يدعم الاعتماد على الذات يهدف إلى تقوية الترابط بين الطفل وأبويه، في حين أن عملية السيطرة تضعف ذلك الترابط. ومرة أخرى، هذا لا يعني أن الآباء الذين يفرضون قيودًا صارمة، يكونون آباءً سيئين. فواحدة من أنجح الأمهات اللاتي عرفتهن في حياتي هي أم صارمة للغاية، ولكن أبناءها يتفهمون سبب فرضها هذه القيود عليهم؛ فهي تذكرني قليلًا بـ"الأم إنجلز"، فهي قبل كل شيء، عقلانية وداعمة لاعتماد أبنائها على ذاتهم وشعورهم بالكفاءة، ومن ثم، احترمها أطفالها –والمراهقون منهم– وأحبوها كثيرًا، وارتبطوا بها بدرجة يندر وجودها في هذه الأيام. فقم بتعزيز الاعتماد على الذات والكفاءة لدى أطفالك، وسيتحقق الترابط تباعًا.

ومن أجل تعزيز اعتماد أطفالك على ذاتهم وتوطيد الترابط بينك وبينهم في الوقت نفسه، فإنهم في حاجة إلى معرفة أنك تصدق أنهم نضجوا بالشكل الكافي ليكونوا على مستوى توقعاتك الجديدة والكبيرة، ومن هنا تظهر الفكرة الخاصة بـ"العقلية" في الصورة. وقد قامت "كارول دويك"، أستاذة علم النفس بجامعة ستانفورد، ومؤلفة كتاب **طريقة التفكير السيكولوجية الجديدة للنجاح****، بتقسيم العقلية لدى البشر إلى نوعين: عقلية ثابتة وعقلية نمو؛ فالشخص الذي يتمتع بعقلية ثابتة يؤمن بأن الذكاء، أو الموهبة، أو القدرة أمور فطرية، وتظل كما هي مدى الحياة، مهما فعل هذا الشخص، أما الشخص الذي يتمتع بطريقة تفكير متطورة، على الرغم من إيمانه بأن تلك المميزات ما هي إلا نقطة انطلاق، وأنه يمكن تحقيق المزيد دائمًا من خلال الجهود المبذولة والتطور الشخصي[٦]، فأولئك الذين يتمتعون بطريقة تفكير متطورة يكون لديهم حافز للتعلم من أجل التعلم؛ لأنهم يصدقون أن بوسعهم تحقيق المزيد، وأنهم سيصبحون أكثر إنجازًا عن طريق بذل أقصى جهد لديهم، واستغلال كامل إمكاناتهم؛ فهم تواقون إلى التحدي ويدركون أن الفشل والمحاولة مرة أخرى جزء من طريقهم لكي يصبحوا أشخاصًا أكثر ذكاءً، وأكبر قدرة وأكثر سرعة، وإذا اكتشفوا أوجه قصور

وقيودًا في داخلهم، فإنهم يبحثون عن سبل للتغلب على تلك التحديات. وقد كتبت دويك تقول: "السمة المميزة للأشخاص الناجحين هي أنهم يحبون التعلم، ويبحثون عن التحديات، ويقدرون الجهود، ويستمرون في مواجهة الصعاب"٧. ولشرح هذا البحث بشكل عملي، فإن الأطفال الذين يتمتعون بطريقة تفكير ثابتة لن يثابروا مدة طويلة عندما تزداد الدراسة صعوبةً وتحديًا؛ لأنهم لا يظنون أن بإمكانهم تجاوز أوجه القصور لديهم، أي تلك العقبات التي تقيدهم، أما الأطفال الذين يتمتعون بطريقة تفكير متطورة فسيواصلون حتى إن فشلوا في استيعاب شيء ما من المرة الأولى؛ لأنهم يعرفون أن الأمر يتعلق ببذل المزيد من الجهد، حتى يحققوا النجاح.

وللأسف، تقوض الرعاية المفرطة من قبل الآباء الكثير من الأمور التي تسهم في تمتع الطفل بعقلية النمو، ومن ثم تعوق التحفيز الداخلي. فالرعاية المفرطة للأطفال تعلمهم أنه دون مساعدتنا، لن يكونوا قادرين على التغلب على التحديات التي تواجههم؛ فعندما نحميهم من القيام بالمجازفات والوقوع في الفشل، نعكس لهم عدم إيماننا بقدراتهم على النمو، والتطور، والتغلب على التحديات، ونشجع لديهم بذلك العقلية الثابتة، فنوع الاستقلال الناتج عن الحماية والرعاية المفرطة قد يبدو كأنه ترابط، ولكنه على العكس من ذلك يوصل إليهم انعدام إيماننا بقدراتهم، ويقوض الترابط الصحي من خلال التركيز على السيطرة، بدلًا من الحب والدعم.

وكما يقوي الترابط بين الآباء وأبنائهم الثقة لدى أبنائهم في المنزل، فعلى الأرجح سيقوم الأطفال بخوض الصعاب على الصعيدين الدراسي والعاطفي في المدرسة إذا تواصلوا مع معلميهم، وشعروا بالارتباط بهم. وفي رأيي، تتجاوز فكرة الترابط الصف المدرسي إلى العالم الكبير الخارجي؛ ففهم الهندسة كان أمرًا مجردًا ولا معنى له إلى أن تم ربطها بالزوايا الرائعة والقوية للجسور، وبالهندسة المعمارية، وعلم الفلك، ومن دون بناء روابط بين الثقافة الرومانية وأصول اللغات الحديثة، لكانت اللغة اللاتينية لغة غير مستخدمة، ومن المستبعد أن تلهم شغف طلابي أو تحفزهم.

لذا من أهم الأمور التي يمكن للآباء فعلها من أجل أبنائهم هي أن يظهروا لهم أنهم ليسوا وحدهم في هذا العالم، وبأنهم أهم شيء بالنسبة إليهم، وأن آباءهم موجودون لدعمهم إلى أن يحققوا ذواتهم في هذا العالم، ويحصلوا على مكانتهم.

تفضي الصعوبات المرغوبة إلى الإتقان

على الرغم من أن الاعتماد على الذات، والكفاءة، والترابط تبدو كأنها مفاهيم رائعة في المطلق، فإن السماح للأطفال باقتراف الأخطاء ومواجهة الفشل النابع من الاعتماد الزائد على الذات يتنافى مع غرائزنا في تربيتهم؛ فمن الصعب مشاهدتهم يفشلون، بل من الصعب عدم القفز مسرعين إلى أطفالنا لنجدتهم حين نراهم يشعرون بالإحباط أو الانزعاج. ويصلني الكثير من رسائل البريد الإلكتروني المتكررة من آباء يشعر أبناؤهم بالإحباط من إحدى المهام التي أوكلها إليهم، أو من أحد الأسئلة في الاختبار لم تتم صياغته بالطريقة نفسها التي صغته بها في الصف. نرغب في أن تكون الحياة رحلة سلسة بالنسبة إلى أبنائنا، ولكن أظهرت الأبحاث المثيرة للاهتمام أن الرحلة السلسة لا يصل من خلالها الأبناء إلى التعلم الحقيقي المتعمق؛ فالإخفاقات الصغيرة – عندما تنخفض المخاطر نسبيًّا وترتفع احتمالية التطور الانفعالي والإدراكي – هي ما يطلق عليها الطبيبان النفسيان "إليزابيث" و"روبرت بجورك" "الصعوبات المرغوب فيها"٨؛ حيث يتم تخزين المعلومات التي تم اكتسابها من خلال عملية التعلم المقترنة بالتحديات في المخ على نحو أكثر فاعلية وأكثر استدامة عن التعلم الذي يأتي بسهولة.

ويحدث التعلم عندما نلاحظ شيئًا ما – عندما نسمع، أو نرى، أو عند التعامل مع المعلومات بشكل أو بآخر– ويقوم المخ بتحويل ذلك الإدراك الحسي ليصبح تمثيلًا يفهمه المخ، وهذا ما يسمى بـ **الترميز**؛ فنحن نتعرض لمئات التجارب طوال اليوم، ولا نحتفظ بالضرورة بكل تلك الإدراكات الحسية في ذاكرتنا طويلة الأمد. ومن أجل تحويل تلك الإدراكات الحسية سريعة الزوال إلى الذاكرة طويلة الأمد، علينا **دمجها**. أما الدمج فهو عملية تنظيم، وتصنيف، وترتيب الإدراكات الحسية والتجارب وتحويلها إلى شيء يمكن للعقل تخزينه والاستفادة منه لاحقًا. وأخيرًا علينا من أجل تثبيت تلك الذكرى تمييزها بشيء ما، حتى نسترجعها مرة أخرى فيما بعد. ويعتبر الجزء الأخير من العملية – **الاسترجاع** – أمرًا حيويًّا للتعلم؛ لأنه يرسخ المعلومة من خلال عملية استدعاء المعلومات مرة أخرى من العقل لتطبيقها على المواقف والسياقات الجديدة، لهذا السبب يعد التلقين عن غيب وسكب المعلومات أدوات تعليمية غير فعالة؛ لأنها لا تخلق التعلم الدائم الذي نصبو إليه بصورة كافية.

والإتقان هو كلمة مشهورة وطنانة في مجال التعليم في الوقت الحالي، والإتقان يتطلب الاسترجاع. ويجب أن يكون الطلاب قادرين على تذكر المعلومة وتطبيقها، أو ربطها بمجالات

أخرى، أو إثباتها لشخص آخر، أو الاستفادة من تلك المعلومة في حياتهم. ويدرك المعلمون أنك لن تتقن معرفة شيء ما حقًّا إلى أن تستطيع تدريسه إلى شخص آخر، وهذا لأن القدرة على تدريس معلومة تتطلب جميع أجزاء معادلة التعلم الثلاثة: الترميز، والدمج، والاسترجاع.

ولكن ينطوي هذا الأمر على مشكلة ما، حيث اتضح أنه كلما استرجعت المعلومة بشكل أكثر سهولة، قل احتفاظ العقل بها؛ لذلك كلما بذلت جهدًا أكبر في استرجاع المعلومة وتطبيقها بطريقة جديدة، طالت مدة الاحتفاظ بتلك المعلومة واستدامتها داخل عقلك.

لهذا السبب يُعد النفور من تجربة الفشل عاملًا معوقًا، كما يقوم مؤلفو ٩ كتاب *Make It Stick: The Science of Successful learning*، بشرح أن الأخطاء جزء لا يتجزأ من عملية التعلم، فلو خاف الأطفال من اقتراف الأخطاء، فإنهم سيعرضون عن اقتناص الفرص، وهو الأمر الذي لا يخدم تطورهم على الصعيدين الشخصي والدراسي.

أتحدث طوال الوقت في عملي بوصفي معلمة مع الآباء الذين يدعون أن أبناءهم لا يستطيعون ببساطة تحمل الفشل؛ لأن ذلك يقود الأطفال إلى القلق، والانزعاج، والإحباط، ما يؤدي بدوره إلى قلق الآباء، وانزعاجهم، وإحباطهم؛ حيث إنهم يقلقون من خوف أبنائهم الشديد من الفشل حتى إن تقبلوا هم فكرة الفشل باعتبارها فكرة جميلة، فأُخبرهم بمراقبة أبنائهم في أثناء قيامهم بمهمة يحبونها – وأن يكون ذلك الأمر تحت سيطرتهم وتحفيزهم– ويشاهدون كيف سيخاف أبناؤهم من الفشل؛ فالطفل الذي يرتعد عندما يواجه معادلة كسرية صعبة في أثناء أداء الفرض المدرسي، هو غالبًا الطفل نفسه الذي يلعب لعبة "ماين كرافت" ثلاث ساعات، ويتغلب بسعادة على العقبات المتكررة التي تواجهه من أجل تشييد البرج الشامخ المتين ليضع فيه كنوزه، وليتباهى بمهارته في الهندسة المعمارية؛ فأطفالنا لم يفقدوا كامل قدرتهم على مواجهة الفشل، بل نسوها في خضم الجوائز والميداليات وشهادات التقدير.

ويمكن تعليم الأطفال كيفية إعادة اكتشاف استعدادهم لتجربة الفشل والاستفادة من تحفيزهم الداخلي، حتى إن أصبحوا مدمني مكافآت، وتلقي الثناء، ومعتمدين على تدخلنا في شئونهم في كل مرة. ولن يكون الأمر سهلًا، خاصةً في المرحلة الانتقالية، ولكن أعدك بأن الغاية ستبرر إلى حد كبير صعوبة الوسيلة.

---

* متوافر لدى مكتبة جرير
** متوافر لدى مكتبة جرير

٣: القليل قد يكفي ويزيد: التربية لتحقيق الاعتماد على الذات وامتلاك الكفاءة

عندما عزمت أنا وزوجي على تغيير أسلوبنا في تربية ابنينا، علمنا أن ذلك سيكون ضربة قوية للنظام الخاطئ الذي كنا نغرسه في عائلتنا طوال خمسة عشر عامًا. وبدلًا من أن نترك طفلينا يتساءلان عن سر هذا التحول ويعتقدان أن الكائنات الفضائية قامت بالسيطرة علينا، جلسنا معهما ذات ليلة وأطلعناهما على كل شيء، على أخطائنا التي اقترفناها في تربيتهما وخططنا لإصلاحها؛ فانزعج ابني المراهق، واستأذن "فين" للمغادرة بعد ما يقرب من دقيقتين من الدخول في المناقشة، ولكنني أعتقد أنني استرعيت انتباههما عند اعترافنا بأننا كنا نقوم بكل الأمور بطريقة خاطئة في السابق، وبأننا اعتقدنا أن ذلك التغيير الذي سنقوم به، نحن الآباء، سيجعل منهما شخصين أفضل، وأكثر استقلالًا، وثقة، وكفاءة؛ فأخبرناهما بأنهما كلما أصبحا كفؤين، تركنا لهما المجال ليعتمدا على نفسيهما بشكل أكبر. وكلما رأينا قدرتهما على اتخاذ القرارات الصعبة، وثقنا بهما أكثر لاتخاذها.

كانت هناك بعض العثرات والانتكاسات المبدئية، وربما بعض المعارضات ونوبات الغضب، ولكن فور اكتشاف الطفلين أننا لا نخطط للعودة إلى أساليبنا القديمة في التربية الاعتمادية، شعرا بالحماس وأبديا الاستجابة؛ فبدأ ابني الأكبر – المستقل نسبيًّا – في تولي مسئولية كل شيء في حياته، فلم أكن محتاجة إلى أن أكون جزءًا مما يقوم به بعد الآن، وأنظم له ما يجب عليه القيام به. وبدأ استخدام التنبيهات في التقويم الموجود في هاتفه الخلوي لتذكيره بالأمور التي يود القيام بفعلها، كوسيلة احتياطية تذكره بما يجب عليه فعله عندما تخونه ذاكرته. وقام بعمل قوائم مرجعية للأمور التي يجب إنجازها لمساعدته على القيام بفعلها قبل بداية اليوم الدراسي، وقام بتنظيم استماراته للمدرسة الثانوية، وأعطاني فقط ما عليَّ قراءته والتوقيع عليه، وتولى ترتيب لوازم العودة إلى المدرسة، وحزم أمتعته للتخييم مدة أسبوعين، ولم يخبرني بل ترك لي الملاحظات على المنضدة في آخر لحظة عندما هاتفه رفاقه للذهاب. أما ابني الصغير – الذي يرغب دومًا، ويتوق إلى الاعتماد عليَّ في تولى أمور حياته كلها (تذكر مغامراتنا في ربط أربطة الحذاء)– فتولى فجأة مسئولية مهامه

الصباحية دون أن يُطلب منه ذلك، حتى إنه قام بعمل قائمة مرجعية للأمور التي يجب إنجازها وتذكرها بعد أن نسي منشفته ذات يوم عند البحيرة المحلية. ونظف غرفته، ورتب مكتبه، واكتشف أين ومتى يجب عليه إنجاز فرضه المنزلي كل ليلة. والأفضل من كل ذلك أنه عندما رأى ابني الأكبر يستطيع غسل الثياب بمفرده، طلب منا أن نعلمه هو أيضًا كيفية استخدام الغسالة والمجفف.

وخلال الأسبوعين اللذين قضيناهما في راحة، عانى ابني الصغير "فينيجان" بعض الانتكاسات في رحلته نحو الاعتماد على الذات وتحقيق الكفاءة. لاحظت بعد أن أُغلق باب الحافلة المدرسية خلف آخر طفل صعد إلى متنها أن فرض ابني المنزلي في مادة الرياضيات والإملاء موضوع على طاولة القهوة في غرفة المعيشة؛ فنظرت من النافذة إلى الحافلة، وكان "فين" هناك، غافلًا عن نسيانه فرضه المنزلي، يحرك يديه في الهواء فيما يوضح بعض تفاصيل عالمه الوهمي إلى صديقه "بيرسي". نظرت مرة أخرى إلى فرضه المنزلي، ثم إلى النافذة، ثم نظرت إلى فرضه المنزلي مرة أخرى.

ثم بذلت قصارى جهدي للاستمرار في تأدية مهام يومي، فقد كان من المقرر عليَّ المرور بالمدرسة لاحقًا ، ومن ثم سيكون يسيرًا للغاية أن أوصل فرض "فين" إلى صفه، ربما أمرره خلسة إلى خزانته أو حقيبة ظهره؛ فقد قام بعمل رائع فيه، بالإضافة إلى أنه أنجزه بخط منمق، والآن قد نسيه وذهب مجهوده سدى؛ فرفعته عن الطاولة، ونظرت إلى خطه المنمق في الحروف والأرقام، ثم وضعته على الطاولة مجددًا، وقررت ألا أوصله إليه.

فتحت في حيرة وارتباك حسابي على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وكتبت منشورًا أقول فيه:

لمن يعتقد منكم أن مسألة ترك الأطفال يقترفون الأخطاء أمر سهل، اسمعوا ما حدث. ترك أحد ابنيَّ فرضه المنزلي على المنضدة في غرفة المعيشة، وكان قد أتمه في الوقت المناسب، وعلى نحو أنيق، وعليَّ الذهاب إلى مدرسته على أية حال لأقوم بتوصيل شيء ما، لكنني لن آخذ فرضه المنزلي إليه، بل سأتركه على المنضدة، وأنا أعلم أن هذا سيمنعه من اللعب في فترة الفسحة المدرسية كعقاب له، وهذا الأمر يقتلني. نظرت إلى فرضه المنزلي عشرين مرة، حتى إنني أمسكته مرة وهممت بإيصاله إليه، ولكن ها هو هنا في مكانه، وسيظل هنا، لن أوصله إليه، بل سيظل

منتظرًا عودته من المدرسة كي يراه، ويدرك ما كان يجب عليه فعله للتأكد من وضع فروضه المنزلية في حقيبته، وتسليمها إلى المعلم.

بدأ أصدقائي على فيسبوك في الاستجابة والتعليق على الفور، فقدم العديد منهم الدعم إليَّ، والموافقة بحماس على ما فعلته، وقام الكثيرون بالضغط على زر "الإعجاب"، ولكن قامت صديقة واحدة بنشر عدم موافقتها الشديدة، وقالت:

أحترمك يا "جيسيكا" بشكل كبير، وأتمنى أن تعرفي هذا، ولكنني لن أستطيع فعل ذلك؛ فأنا أنسى أمورًا كثيرة كل يوم، وأقوم بتوصيل الأشياء التي نسيها زوجي على طاولة المطبخ إلى عمله، وأعتقد أنه لا مفر من حدوث قدر معين من الارتباك والنسيان في حياتنا، وإن حاولنا منع ذلك من الحدوث بكل جهد، وطلاب الثانوية هم أكثر الأشخاص الذين يعانون هذا الأمر بشدة. كنت سأسعد للغاية بإنجاز ابني فرضه المنزلي، في الوقت المحدد، وعلى هذا النحو من الإتقان، وما دمت قادرة على توصيله، لكنت سآخذه إلى المدرسة إذا نسيه في المنزل، لأوفر عليه العقاب الذي سيتلقاه لعدم إنجازه فرضه المدرسي أو إنجازه على نحو سيئ.

فكرت في كلماتها بقية النهار, وكان عليَّ الاعتراف بأنني كنت **سأذهب** لتوصيل محفظة نسيتها صديقة لي، أو توصيل شاحن البطارية الذي نسيه زوجي، لمَ إذن أعامل ابنيَّ بطريقة مختلفة؟

هذا لأنني لا أقوم بتربية الأشخاص الآخرين، أعامل ابنيَّ بطريقة مختلفة؛ لأن لديَّ مسئولية كبيرة تجاههما أكبر من إسعادهما أو امتنانهما لحبي أو دعمي؛ فمن أجل تربية بالغين كفؤين ومؤهلين، عليَّ أن أحبهما بالدرجة الكافية التي تجعلني أهتم بتعليمهما وإطلاعهما على أخطائهما، أكثر من اهتمامي بتحقيق سعادتي عندما أراهما في راحة وسعادة.

هذا التحول في إدراكي دوري كأم كان الجزء الأصعب في تحول أسلوب تربيتنا إلى أسلوب التربية الداعم للاعتماد على الذات؛ فقد كان أصعب من مشاهدتهما يقترفان الأخطاء، وأصعب من معرفة أنهما سيخطئان قبل أن يفعلا وعدم منعهما من ذلك. كان عليَّ إيقاف الخلط بين عملية القيام بالأشياء من أجل ابنيَّ – حمايتهما من نفسيهما، والفوز بابتسامة منهما، وعناق عندما أذهب إلى مدرستهما لأعطيهما القفاز الذي نسياه، أو اللعبة التي نسياها – والتربية الجيدة. ما زال القيام بعمل الأمور من أجلهما أمرًا رائعًا، وما زلت أقوم بعمل أشياء من أجلهما طوال الوقت، ولكن الأشياء التي أقوم بها

من أجلهما الآن مختلفة عن ذي قبل، ومحفزاتي مبنية على تقييم **احتياجاتهما**، لا احتياجاتي؛ فقد كنت أقوم سابقًا بعمل الأشياء التي يستطيعان القيام بعملها بنفسيهما؛ لكي أشعر بالرضا عن أسلوبي في تربيتهما، أما الآن عندما أختار أن أفعل الأشياء من أجل ابنيَّ، فأنا أعرف أن تصرفاتي نابعة من حبي الحقيقي لهما، وأعتقد أن طفليَّ يشعران بذلك أيضًا.

عندما أشجع الآباء على جعل أطفالهم يعتمدون على أنفسهم، فلا أقصد تخلي الآباء عن كامل دورهم في الإشراف الأبوي والانصراف عنهم، على أمل أن يستجيب الأطفال بحماس وبمسئولية للأمرين الجديدين، وهما الاعتماد على الذات والتحفيز الداخلي؛ فالتربية الداعمة للاعتماد على الذات ليست تربية تدعو إلى الإهمال، وليست تربية متساهلة. يحدد الآباء الداعمون للاعتماد على الذات توقعات محددة وواضحة لأبنائهم، ويوجدون معهم جسديًّا وعاطفيًّا، ويقدمون التوجيهات حين يشعر الأطفال بالإحباط، أو حين يحتاجون إلى إعادة التوجيه. وأفضل شيء بشأن كونك أبًا يدعم أبناءه للاعتماد الذاتي هو توقف كل الأمور السلبية، ومنها: التذمر، والتدقيق في أتفه التفاصيل، والتوجيه، والقلق بشأنهم؛ تلك الأمور التي نفعلها لجعل أبنائنا يفعلون الأمور التي نرغب في أن يفعلوها، فأساليب التربية السابق ذكرها تدمر علاقتنا بأطفالنا، لذا تكون التربية في غياب تلك الأساليب مسألة ممتعة وهادئة من كل الجوانب.

وتقوم التربية الداعمة للاعتماد على الذات بمنح الأطفال ما هم في حاجة إليه؛ فالأطفال متعطشون لتحمل المسئولية، وللقيام بدور فعال داخل العائلة، وكل هذه المناورة من أجل السلطة، والأذى الذي ينشأ من شعورهم بقلة الحيلة، ينبع من فشلنا في منح أطفالنا طريقة واضحة للمساهمة في سعادة العائلة ورفاهيتها. ويترعرع الأطفال على توقعاتنا، ويزدهرون حين يتحملون مسئولية أنفسهم ومسئولية التعليم الذي يحتاجون إليه لتحقيق النجاح. ومع ذلك، فإن التدخل والانخراط الأبوي بدرجة معينة هو أمر أساسي من أجل تعلم الأطفال وسلامتهم النفسية. ومثال على ذلك، تبين دراسة تلو أخرى أن الرابط القوي بين العائلة والمدرسة يؤدي إلى نتائج تعليمية ونفسية أفضل، وعندما تم استقصاء رأي المعلمين، أشاروا إلى أن "الآباء المهتمين بأبنائهم" هم أحد أهم عناصر النجاح في المدارس. ولا يزال هذا الأمر صحيحًا على الرغم من عناوين الصحف الخاطئة، والدراسات البحثية التي لا تتسم ببعد النظر، والتي ادعت أن التدخل الأبوي أمر مبالغ فيه؛ فالمعلمون يقدرون ويفضلون الآباء الذين يحضرون اجتماعات أولياء الأمور، ويقدمون يد العون بشأن الرحلات

المدرسية، ويعرضون دعمهم عند الحاجة إليه، لكنَّ هناك فرقًا بين أن تكون منخرطًا في تعليم ابنك، وأن تكون مسيطرًا عليه؛ فالخط الفاصل بين الرعاية المفرطة والتربية الداعمة للاعتماد على الذات قد يكون ضبابيًّا ولا يمكن رؤيته، ولكنَّ هناك اختلافًا واضحًا بين نوع التربية الذي يفضي إلى إخراج أطفال اعتماديين، وغير محفزين، وغير ناجحين، وذلك النوع الذي ينتج عنه أطفال قادرون على مواجهة الصعوبات، وطموحون، ومحفزون داخليًّا.

كان عليَّ الرجوع إلى البحث العلمي دقيقةً؛ من أجل وضع حد فاصل، وإيضاح سبب أهمية تدعيم الاعتماد على الذات بدلًا من الاعتمادية، فقد قامت الطبيبة النفسية "ويندي جرولنيك" بعمل بعض الأبحاث المذهلة بشأن تأثير التربية الداعمة للاعتماد الذاتي في مقابل التربية التي تتسم بالسيطرة على تحفيز الأطفال؛ فقامت بتصوير فيديو في معملها مدة ثلاث دقائق لمجموعة من الأمهات وأبنائهن، وصنفت تفاعل الأمهات مع أبنائهن بوصفهن مسيطرات أم داعمات للاعتماد الذاتي. وعندما دعت "جرولنيك" الأمهات وأبناءهن مجددًا لزيارة ثانية، تم فصل الأبناء عن أمهاتهم، ووُضعوا في غرفة بمفردهم للعمل بشكل مستقل على مهمة، وكانت النتائج "لافتة للنظر"١، فالأطفال الذين سبق أن وجهتهم أمهاتهم المسيطرات في طريقة لعبهم استسلموا عندما واجهوا مشاعر الإحباط الناتجة عن لعبهم بمفردهم بمعزل عن أمهاتهم.

توقف لحظةً، واستوعب معنى هذا الأمر. إن الأطفال الذين ينشأون على أيدي آباء مسيطرين ومتحكمين لم يستطيعوا إتمام المهام بمفردهم، أما الأطفال الذين ينشأون على أيدي آباء داعمين للاعتماد على الذات، أصروا على إتمام المهام، حتى عند شعورهم بالإحباط، فالأطفال الذين يستطيعون التنقل بين المهام، والحفاظ على تركيزهم في أثناء ذلك، حتى إن وجدوها صعبة، يصبحون أقل اعتمادًا على التوجيهات من أجل التركيز، والدراسة، والتنظيم، وتدبير شئون حياتهم؛ فهؤلاء الأطفال الأكفاء المعتمدون على ذواتهم بشكل كبير يستمتعون بما يقومون بعمله بشكل أكبر، أما الأطفال الذين يعتمدون على آبائهم في توجيههم خلال القيام بالمهام، فيستمرون في طلب الإرشاد والتوجيه، وكلما ازداد تعقيد المهمة مع التقدم في العمر والنضج، ازداد عادةً تعقيد التدخل الأبوي وطبيعته أيضًا. هؤلاء هم الأطفال الذين يحتاجون إلى مساعدة آبائهم في إنجاز الفروض المنزلية إلى أن يصلوا إلى المرحلة الإعدادية وما بعدها، وهؤلاء هم الأطفال الذين لا يستطيعون ترتيب جداول أعمالهم وأولوياتهم عندما يصلون إلى مرحلة البلوغ.

والتحول من أسلوب التربية القائم على السيطرة، إلى التربية الداعمة للاعتماد على الذات هو أمر صعب بالتأكيد، ولكن تغيير أية عادة يمثل في البداية أمرًا صعبًا، فلْتُركز على التغذية الراجعة الإيجابية وهي: كلما سمحت لأبنائك بأن يكونوا أكثر استقلالًا، زاد استقلالهم.

سيتطلب التحول من أسلوب السيطرة إلى أسلوب دعم الاعتماد على الذات بعض الوقت والصبر. فإذا لم يتعلم ابنك إعداد طعامه، أو غسل الملابس، أو تنظيف السيارة بعد العودة من المدرسة، أو ملء غسالة الأطباق وإفراغها، أو القيام بأية مهمة من المفترض أن يكون أي طفل في المرحلة الإعدادية قادرًا على فعلها، فسيكون منحنى التعلم الخاص به شديد الانحدار. وقد لا يتم إنجاز المهام وفق مواصفاتك الدقيقة في المرة الأولى، وقد تحدث انتكاسات عند إعراض ابنك عن تحمل مسئولياته الجديدة، ولكن ستأتي المكافآت والنتائج التي كنت تتوقعها، وربما أسرع مما كنت تتوقع.

وعلى الرغم من حب أبنائنا إيانا كما نحن بغض النظر عما نفعل، أو عن أسلوب التربية الذي نتبعه، فإنني أفضل أن يعتبرني ابناي من نوع الآباء الذين يتبعون أسلوب الإرشاد لا التوجيه، الداعمين لأبنائهم لا المسيطرين عليهم، الآباء الذين يهتمون بكفاءة أطفالهم وبتوطيد أواصر الترابط بينهم، أكثر من اهتمامهم بوضع الأطباق بشكل منسق داخل غسالة الأطباق، أو قلقهم لوضعهم جوربًا أبيض عن طريق الخطأ مع الملابس الملونة في الغسالة.

يختلف أسلوب التربية الداعم للاعتماد على الذات عن التربية المتساهلة؛ لأن الانضباط والاحترام والقواعد لها مكانة مهمة للغاية في هذا النهج؛ فالأطفال في حاجة إلى قواعد وإرشادات سلوكية. والأهم من كل ذلك، أن الأطفال في حاجة إلى إطار يحكم تصرفاتهم يسيرون وفقه؛ فأطفالك يختبرون حدود قدراتهم، ويشعرون بالاطمئنان والأمان عندما يفرض البالغون حدودًا على استكشافاتهم، ويوقفونهم عند الخطر. ويختبر الأطفال في مرحلة الحبو حدودهم لكي يطمئنوا إلى أن لا شيء تغير، وأن بإمكانهم الاعتماد على عالمهم – بمن فيه آباؤهم والقواعد التي فرضوها– فهم يختبرون، ونحن نطمئنهم، فيهدأون، وتتكرر الدائرة إلى حد الملل إلى أن يكبروا ويلتحقوا بروضة الأطفال.

أحاول ألا أذكر هذا الأمر أمام طلابي في المرحلة الإعدادية، فالأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة، وفي مرحلة المراهقة، يختلفون في دورة الاختبار عن الأطفال في مرحلة الحبو؛ حيث

إنهم يسألون عن موعد العودة إلى المنزل، فنطمئنهم بأن الوقت ما زال مبكرًا، فيهدأون. ويختبرون مدى إصرارنا على رفض حضور حفلات المبيت التي تضم الفتيات والفتيان، فنؤكد لهم أننا ما زلنا لا نسمح بحدوث هذا الأمر، فيهدأون. ويختبرون معاييرنا لسلوكياتهم، فنؤكد لهم أننا ما زلنا نتوقع منهم أن يكونوا طيبي القلب، وأن يحترمونا، فيهدأوا. وتستمر دورة الاختبار في التكرار إلى حد الملل؛ إلى أن يبدأ المراهق حياته الجديدة بعيدًا عن المنزل، أو يلتحق بالجامعة.

إن اختبار الحدود هو طريقة لاختبار الاستقلالية، وهذا أمر جيد، حتى إن ضايقنا وأزعجنا. أجل، هو أمر مرهق، ولكنه جزء ضروري من تربية أطفال مستقلين. هناك طريقة واحدة لجعل هذا الاختبار أسهل، وهي أن تحدد توقعات واضحة لسلوكهم، والأهم من ذلك أن تلتزم بتلك التوقعات، وأن تستخدم عواقب وآثارًا مترتبة في حالة عدم تحقق تلك التوقعات؛ فالعنصر الرئيسي في التربية الداعمة للاعتماد على الذات هو رسم الحدود، والحدود هي الإطار الذي ستتصرفون وفقه؛ فالحدود تمنح الأطفال المعلومات المطمئنة بشأن ما يتوقعه منهم آباؤهم، وكيفية التصرف وفق تلك التوقعات، كما أن الحدود تشعر الأطفال بالأمان وبالرعاية.

والآباء الذين يضعون معايير عالية، وبعد ذلك يفرضون تلك المعايير العالية، ليس من **الضروري** أن يكونوا آباء مسيطرين. في الواقع، هناك الكثير من الأدلة التي تبين أن الأبناء يتصرفون بشكل إيجابي مع الآباء الذين يُحمِّلون أبناءهم مسئولية زلات تصرفاتهم، أو فشلهم في الالتزام بالتوقعات، لكن حين يلجأ الآباء إلى فرض السيطرة على أبنائهم لجعلهم يلتزمون بمعاييرهم، بأن يقدموا إليهم العطايا والمكافآت، وبأن يراقبوهم بشكل مفرط، أو يضغطوا عليهم، يسيئون بذلك إلى شعور الطفل بالاعتماد على ذاته، ومن ثم على تحفيزه الداخلي (ونجاحه في دراسته وحياته، بما أننا فرضنا تلك المعايير).

خلق عادات جديدة

فور أن تخليت عن رغبتي الملحة في حماية ابنيَّ، كان عليَّ مساعدتهما على معرفة كيف يتوليان زمام أمور حياتهما، فعلمتهما بمساعدة والدهما طريقة استخدام الأجهزة، وإتمام جميع أنواع المهام المنزلية، ولكن كان علينا أيضًا تعليمهما كيفية خلق عادات جديدة؛ وكيفية تذكر كل تلك المسئوليات وجعلها جزءًا من حياتهما اليومية. يشرح "تشارلز دويج" مؤلف كتاب **قوة العادات***، أن العادات

تنبع من حلقة التغذية الراجعة الأساسية، وهي: المثير، والعادة، والمكافأة. ومثال على ذلك، كتب بشأن عادة تناوله واحدة من الكعك المحلى عصر كل يوم في نحو الساعة الثالثة. المثير (وهو الجوع أو الملل) يحفز العادة (وهي الذهاب إلى المقصف)، والمكافأة على العادة هي إشباع الجوع والتخفيف من الملل على حد سواء. فمن أجل خلق عادات جديدة، عليك خلق مثيرات جديدة، وتأسيس عادة مرتبطة بهذه المثيرات، وإيجاد مكافأة مناسبة لهذه العادة لإغلاق حلقة التغذية الراجعة.

وكما سبق أن رأينا، ربما تتنافى المكافآت مع تحقيق النجاح على المدى البعيد، ولكنها يمكن أن تكون محفزات قوية حين يتعلق الأمر بالمهام العادية، والمتكررة. وقد عقدنا اجتماعًا عائليًّا لاتخاذ قرارات بشأن المثيرات المحفزة لدينا، فطلبت من ابنيَّ التفكير بشأن ما يفعلانه عند عودتهما من المدرسة، فقال ابني الأكبر إنه يفضل أداء فرضه المنزلي على الفور بعد المدرسة لكيلا يحمل همه بعد ذلك، ويتسنى له اللعب بألعابه، أو الرسم في سلام. واتفقنا على أن المثير الخاص به سيكون وجبته الخفيفة التي يحصل عليها بعد المدرسة. وأنه سيعود إلى المنزل، **ويعد وجبته الخفيفة** (بالتأكيد على كلمة وجبته!)، ويبدأ بعد ذلك إنجاز فرضه المنزلي، واتفق معي على أن نراجعه معًا بعد إنجازه، وستكون مكافأته هي الشعور بالرضا نتيجة إنجازه الواجب بدقة وبأقصى جهد. فاعثر على ما يعود بالنفع على ابنك، واجعله عادة.

وكانت أهم العادات التي أقسمنا على الالتزام بها تتعلق بالتخلي عن الأجهزة الإلكترونية في أوقات محددة؛ حيث اتفقنا على أن جزءًا من روتيننا لإنجاز الفروض المنزلية سيتضمن إغلاق الهواتف، وأجهزة الآي بود، والأجهزة الأخرى التي تشتتنا عن إنجاز عملنا، وكلنا متفقون على أن المثير الذي لا يمكن لأحد مقاومته هو سماع صوت وصول رسالة بريد إلكتروني، أو رسالة نصية إلى بريدنا الوارد. وإذا قمنا بإهمال تلك المثيرات، فلن ننخرط في الروتين المعتاد الخاص بنا المتمثل في تفقد البريد الإلكتروني، وسنتمكن من الاستمتاع بمكافأة الفرض المنزلي المنجز دون أية عوامل مشتتة. وقد أصبحت القوائم المرجعية للأمور التي يجب إنجازها مثيرًا مفضلًا في منزلنا، وفوجئت عندما وجدت أن بإمكان الثناء على الإتقان والجهد المبذول أن يكون محفزًا قويًّا. أفترض أنه ينبغي لنا التفكير في أفكار جديدة للمكافآت، ولكن في نهاية المطاف، الاستقلال المتزايد هو المكافأة التي كثيرًا ما تاق إليها أبنائي.

ولم يكن التغيير أمرًا سهلًا على الإطلاق، خاصةً في الأيام الأولى. ومن المؤكد أن الأمر لم يكن جيدًا، وشعرت في أوقات بأنني أم سيئة وشريرة للغاية، لكن بالصبر والإصرار حدث التغيير، ولم يكن جيدًا فقط، بل كان رائعًا. وسيظل أطفالك يحدثون جلبة ويعبرون عن استيائهم عندما لا يرغبون في عمل الأشياء التي ينبغي إنجازها، ولكن هذا هو الواقع؛ فهم أطفال، حتى "لورا إنجلز" كانت تحتج على القيام بالأعمال المنزلية من وقت إلى آخر، ولكن فور تخلص أطفالك من الآثار السلبية الناتجة عن منحهم المكافآت، وشفائهم من أعراض انسحاب الرعاية المفرطة، ربما يقومون بعمل ما يجب عليهم من تلقاء أنفسهم؛ لأنهم يستطيعون ذلك، ولأنهم يرغبون في فعل ذلك؛ وذلك لأنه من الجيد أن تشعر بأنك نافع، بالنسبة إلى العائلة أولًا، وبالنسبة إلى العالم الكبير الواسع، لاحقًا.

ولأنني أمضيت شهورًا من التخبط في تلك المنطقة المبهمة الضبابية الموجودة بين التربية القائمة على السيطرة والتربية الداعمة للاعتماد على الذات، توصلت إلى بعض المبادئ التوجيهية لتوضيح هذا الاختلاف:

الآباء المسيطرون يوجهون العديد من النصائح والتوجيهات غير المرغوب فيها.

ليست تلك الطريقة الصحيحة لملء غسالة الأطباق. اغسل دائمًا الأطباق قبل وضعها، وضع كل الأطباق الكبيرة على الجانب الأيسر. لا تترك الأطباق في الحوض، ومن ثم تعود لأخذها لاحقًا . افعل هذا بهذه الطريقة. افعل هذا الآن. افعل هذا لاحقًا.

لدينا جميعًا طريقتنا الخاصة لإنجاز الأعمال المنزلية؛ لذلك هناك احتمال ألا يقوم ابنك بملء غسالة الأطباق تمامًا مثلما تريد، فالنصيحة والتوجيه غير المرغوب فيهما معروفان عمومًا بـ"المساعدة" من وجهة نظر الآباء أو "الإزعاج" من وجهة نظر الأبناء، فاعتراض شعورهم بالاعتماد على الذات، يعكس عدم ثقتك بكفاءتهم؛ لأن هذه الأمور تسبب الضيق والانزعاج لكل منكم؛ ما يضعف الترابط بينكم.

وعندما يقوم الطفل بوضع الأطباق في الغسالة الخاصة بها، وقد تبقى بها بعض بقايا الطعام، سيكتشف حين يقوم بإفراغها أن الأطباق لم تنظف، وأن هناك بعض بقايا الطعام العالقة بها، وحينها ستكون الفرصة سانحة أمامك لتوضيح ما يتوجب عليه فعله لمنع هذا الخطأ من الحدوث في

المستقبل. ابدأ توجيه الإرشادات حين يكون الطفل في مأزق، واغتنم لحظات التعلم الكبيرة، لكن فيما عدا ذلك ابقَ صامتًا ولا تعرض توجيهاتك؛ فالأخطاء التي يرتكبها بنفسه ويصلحها من تلقاء نفسه هي الأوقات التي يتعلم فيها، أما الأخطاء التي تتنبأ أنت بحدوثها، فلا تفيد أحدًا سواك أنت في تلك اللحظة الوجيزة عندما تشعرين بالرضا بأن الأطباق لم يتم غسلها بشكل جيد.

الآباء المسيطرون يتولون زمام الأمور.

أنا سأفعل هذا، اذهب أنت للعب. عليك الذهاب إلى المدرسة، أنا سأفعل هذا بنفسي حين أذهب إلى المنزل. لا، ليس هكذا، دعني فقط أفعله أنا.

من السهل أحيانًا أن تتولى زمام الأمور، خاصةً إذا كان وقتك ضيقًا، أو كنت مرهقًا، ولكن تذكر أن الهدف هو أن يتعلم الأطفال كيفية فعل هذا الشيء بمفردهم، وليس إنجاز المهمة. وأحيانًا سيكون التأخر بعض الوقت أمرًا مهمًّا للغاية، خاصةً عندما يتقن طفلك عمل شيء ما كان يجد صعوبة في القيام به من قبل. تراجع خطوة للوراء، واسترخِ، وتذكر ما يهم حقًّا في الموضوع ككل.

الآباء المسيطرون يقدمون المحفزات الخارجية إلى أبنائهم في مقابل سلوكياتهم الجيدة.

ستحصل على واحدة من حلوى الهلام لقاء كل لعبة تنظفها من ألعابك. وإذا اصطحبت الكلب للسير كل صباح، فسأبتاع لك حذاءً رياضيًّا جديدًا. وإذا ملأت وأفرغت غسالة الأطباق مدة أسبوع كامل من دون أن يطلب منك أحد ذلك، فستحصل على ألعاب الفيديو التي طلبتها.

وما دمت مستمرًّا في تقديم المكافآت بالحد الأدنى وتحديدها، فلا بأس من الإعلان أو الإقرار بطريقة ما بأن إنجاز الطفل في اعتماده على ذاته بشكل أكبر في طريقه إلى الحدوث، لكن هناك العديد من المهام المنزلية الأساسية، مثل اصطحاب الكلب للسير أو إخراج القمامة، يجب أن ينظر إليها باعتبارها جزءًا من المهام الأساسية في العائلة، وليست باعتبارها مجهودات تستحق الجدال، أو تقديم مكافأة عظيمة، فينبغي للجميع المساهمة في إنجاز الأعمال المنزلية، ومنحهم مكافأة نظير هذه الأنواع من الأنشطة الأساسية يوحي بأن فعلهم هذا عمل بطولي على عكس المتوقع.

الآباء المسيطرون يقدمون الحلول أو الإجابة الصحيحة قبل أن يحظى الطفل

بفرصة للكفاح من أجل الوصول إلى حل للمشكلة.

ولكنك يا عزيزي تعرف أن ناتج ضرب خمسة في أربعة يكون عشرين، لقد قمت بحلها هنا في الأسفل هناك. سأبحث عن معنى هذه الكلمة من أجلك، بينما تحفظ الكلمات من أجل اختبار الإملاء. أعطني القلم فحسب وأنا سأريك. ليس هكذا، ولكن هكذا.

لا تأتي كل الإجابات على الفور. امنح الأطفال الوقت والهدوء ليفكروا بتأنٍّ؛ فهذا لن يعلمهم تقدير قيمة الهدوء فقط، بل سيظهر لهم أيضًا أنك تقدر قيمة عملية التوصل إلى الإجابة بتقديرك نفسه لقيمة الإجابة نفسها.

الآباء المسيطرون لا يسمحون لأبنائهم باتخاذ قراراتهم.

قم بأداء واجب الرياضيات أولًا، ثم واجب الإملاء. قم بإنجاز واجبك هنا على هذه الطاولة حيث يمكنني رؤيتك. يجب أن تمارس رياضة التنس بدلًا من البيسبول هذا الموسم.

من الأفضل أحيانًا أن تسمح لابنك بتجربة مسئوليته عن قراراته، ونشوة الاستقلالية النابعة من اختيار ممارسة رياضة ما، وتفضيلها على رياضة أخرى، أو استحسان لعبة ما دون أخرى، وتلك المسئولية عادة ما تكون أكثر أهمية من النشاط نفسه؛ فعملية اتخاذ القرارات عملية معقدة تتطلب الكثير من الممارسة، لذا امنح طفلك فرصة تجربة الاعتماد على الذات لاتخاذ القرارات الخاصة به.

الآباء داعمو الاعتماد على الذات يرشدون أبناءهم إلى الحلول.

أعلم أنك تعلم ما ناتج ضرب خمسة في ثلاثة، إذن ما الناتج لو أضفت خمسة أخرى؟ لماذا برأيك انكسر الكوب البارد حين سكبت فيه الماء الساخن؟ جرب إمساك المنقلة، لكي تتسنى لك قراءة الأرقام بطريقة صحيحة.

التربية مثل التعليم، ويبحث المعلمون تقريبًا في كل شيء يقومون به عن الأوقات الملائمة للتعليم. فاعثر على تلك الأوقات، وأرشد ابنك إلى الإجابات، وسيظل الأطفال يتذكرون مدةً أطول الإجابات التي توصلوا إليها من تلقاء أنفسهم، وسيفهمونها أكثر من تلك الإجابات التي منحتهم إياها لنفاد صبرك.

الآباء داعمو الاعتماد على الذات يسمحون لأبنائهم بارتكاب الأخطاء ويساعدونهم على فهم عواقب تلك الأخطاء.

لا توجد هناك مشكلة كبيرة في أنك أوقعت ذلك الكوب، سأريك كيفية تنظيف أثر هذا كله، وتذكر في المرة المقبلة أن تحمل أكوابًا أقل. انتشل الكتل المتكونة في طبق حبوب الإفطار، وسأريك كيف تتجنب ذلك الخطأ في المرة المقبلة. انسكب دلو المسح لأنه قصير جدًّا على حمل الممسحة؛ قم بتنظيف الفوضى فقط واستخدم الدلو الآخر في المرة المقبلة.

من الصعب جدًّا الحفاظ على حس الدعابة لدينا، وتحلينا بالصبر حين يمتلئ المكان بالزجاج المتناثر، أو حين تغطي المياه القذرة أرضية المطبخ، ولكن لو أظهرنا لأطفالنا أن تلك الأخطاء هي جزء من عملية التعلم، لتأكدوا أكثر من قدراتهم، ولأصبحوا أكثر قدرة على التخلص من الأخطاء في المحاولات المستقبلية؛ فإذا علمناهم أن ارتكاب الأخطاء يعني أن العالم سينهار من حولهم، فسنكون بذلك قد نجحنا فقط في تقوية خوفهم من الفشل.

الآباء داعمو الاعتماد على الذات يقدرون قيمة الأخطاء مثلما يقدرون قيمة النجاح.

أنا فخور جدًّا بك لتمسكك والتزامك بحل ورقة العمل تلك على الرغم من أنها كانت صعبة بالنسبة إليك. ما الذي كان من الممكن أن تقوله لشقيقك لمساعدته على فهمك بدلًا من إلقاء لعبته عليك؟

ومن بين السبل الكفيلة بتعليم أبنائنا أننا نقدر قيمة الأخطاء بوصفها أداة تعليمية، أن ندعمهم ونحبهم حينما يرتكبون الأخطاء بقدر حبنا ودعمنا إياهم نفسه حينما يحققون النجاح, وابحث عن الدروس المتعلمة من الفشل. وساعدهم على اكتشاف طرق جديدة لتخطي أخطائهم والتغلب عليها من أجل تقديم ما هو أفضل في المرة المقبلة. وتعاطف معهم، وأظهر حبك لهم حين يخطئون؛ لأنهم في ذلك الوقت يكونون في أمس الحاجة إلى دعمنا.

الآباء داعمو الاعتماد على الذات يعترفون بمشاعر الإحباط وخيبة الأمل لدى أبنائهم.

أنا أيضًا أغضب بشدة، عندما أعجز عن القيام بأمر ما من المرة الأولى، ولكنني أستمر في المحاولة إلى أن أتوصل إلى حل، وأتمكن من إنجازه. هل تتذكر بالأمس، عندما لم أستطع الحصول على الوظيفة التي أريدها؟ كان ذلك مخيبًا للآمال حقًّا، ولكنني أعرف أنني سأتوصل إلى حل آخر لو داومت على المحاولة. ويمكنني تصور مدى الإحباط الذي تسببه لك مادة الرياضيات، ولكن ألن يكون رائعًا أن تعرف كيفية التعامل معها وحل مسائلها؟

دع ابنتك تعرف أنك تدرك أن الجبر يكون صعبًا أحيانًا، ولا بد من أن الأمر كان مريعًا حينما رفضت "كايلا" الجلوس معها لتناول الغداء، وكان الأمر محبطًا للغاية عندما وضع المعلم الكثير من ملاحظاته على تلك الورقة التي بذلت فيها جهدًا كبيرًا؛ فجميعنا محتاجون إلى الشعور بأننا مسموعون ومفهومون ممن حولنا، ولا يحدث هذا الأمر إلا بالترابط. أظهر لطفلك أنك تتعاطف مع مشاعره، وما ستقدمه بعد ذلك من حل لمشكلته سيكون من السهل عليه سماعه.

الآباء داعمو الاعتماد على الذات يقدمون التقييم.

راجع خطوات مسألة الرياضيات؛ هناك شيء خاطئ، هل يمكنك اكتشافه؟ إذا نسيت إضافة الرقم اثنين في المسألة السابقة، فربما تكون ارتكبت الخطأ نفسه في هذه المسألة أيضًا؟

تقوم التغذية الراجعة الفعالة أو التقييم بتدعيم الجهود، كما أنها ترشد الطفل إلى رؤية أخطائه, ويقدر الأطفال قيمة الملاحظات الداعمة التي تشجعهم على حل مشكلاتهم، أكثر من التوجيهات المحددة؛ لأن الحلول تكون نابعة منهم، وليس منك.

تذكر وأنت تشق طريقك خلال المناطق المبهمة الضبابية، وتبدأ تمييز أساليب التربية الصحيحة من الخاطئة، أن هناك خطًّا لن تكون من السهل دائمًا رؤيته بين التربية القائمة على السيطرة والتربية الداعمة للاعتماد على الذات. وأحيانًا سيكون الأمر مشوشًا بمعنى الكلمة، ويمكن لبعض السلوكيات التي تتسم بالسيطرة، مثل المكافآت والثناء، أن تُخلط بسهولة مع التربية الإيجابية.

سنرتكب الأخطاء. جميعنا نرتكبها، ولكن ما دمنا نحب أبناءنا، ونوضح لهم أن حبنا إياهم ليس متوقفًا على أدائهم، سيكونون بخير؛ فقد أوضحت الأبحاث أن أسوأ أنواع التربية القائمة على السيطرة هي تلك التي إما أن تحجب العاطفة أو تجعلها متوقفة على الأداء؛ فهذا النوع من التربية

يصيب الأطفال في أكثر نقاط ضعفهم، وهي: شعورهم الأساسي بالأمان والخوف من التخلي عنهم. حتى إن الانسحاب البارع غير الملحوظ له تأثير ضار في شعور الأطفال بالأمان، لذا كن حريصًا بشأن التعامل مع أبنائك عندما يشعرك أداؤهم بالإحباط. وما دمنا نتجنب هذا النوع من التربية، فبوسعنا ارتكاب الكثير من الأخطاء الأخرى خلال تربيتنا إياهم.

فالامتناع عن تقديم المكافآت، والتخلي عن تطبيق الأساليب الأخرى للتربية القائمة على السيطرة قد يبدو غير منطقي في بداية الأمر، ولكن مع سأم الآباء من تربية أبناء اعتماديين، وانتشار الآثار الإيجابية للتربية الداعمة للاعتماد على الذات في المنزل والصف الدراسي، سيبدو كل هذا الأمر غير ثوري مطلقًا، بل سيبدو طبيعيًّا ومنطقيًّا بشكل أكبر.

أما بالنسبة إلى المأزق الذي وقعت فيه بشأن ذلك الفرض المنزلي الذي نسيه ابني في المنزل، فقد شعرت بالارتباك والحيرة من قراري. لِمَ لا أكون أمًّا لطيفةً، وأمنحه فرصة، هذه المرة فقط؟ وعندما حان موعد ذهابي إلى المدرسة، ورأيت ذلك الفرض المنزلي للمرة الأخيرة، كأنه يهمس لي باصطحابه إلى ابني، أدركت سبب عدم قيامي بأخذه إليه، والسبب في أن إنقاذ ابنيَّ وحمايتهما من عواقب فشلهما يختلف عن تقديم المعروف لأصدقائي أو زوجي هنا وهناك، فعدت إلى المنزل لمشاركة لحظة عثوري على حل مع أصدقائي على موقع فيسبوك:

كانت مناقشاتي مع "فين" على مدار الأسابيع الماضية تدور حول وضع الفروض المنزلية في حقيبته منذ المساء حتى لا ينساها في الجلبة الصباحية، هذه هي الطريقة المثالية لتوصيل المعلومة بشكل حازم وفعال. ويعرف "فين" أنني أسانده. وأحرص على أن يعرف ذلك كل يوم، بكل الطرق، وأجل، أنا أيضًا أنسى وأفقد الأشياء (فعلى سبيل المثال أنسى مفاتيحي نحو عشر مرات في اليوم) ولكن تلك الأخطاء تجعلني أتوصل إلى إستراتيجيات تساعدني على تذكرها في المرة المقبلة. ونسيان هذا الفرض المنزلي هو رد فعل محدد على تقصير معين في مخططاته، وهذا الأمر سيؤتي ثماره فيما بعد، فيما يتعلق بلحظة التعلم، إذ سيدفع الثمن باهظًا في النهاية من أجل أن يتعلم.

وعندما أتى "فين" إلى المنزل في نهاية اليوم، استقبلته الرائحة الطيبة للكعك المخبوز. فإذا لم أستطع إشباع حاجتي في الشعور بأنني أم جيدة من خلال توصيل واجبه الذي نسيه إلى مدرسته

اليوم، وإنقاذ الموقف، فقد تستطيع مجموعة من الكعكات الساخنة أن تكون بديلًا مناسبًا؛ فأكون بذلك أقدم إليه كل الحب، ولا شيء من الإنقاذ.

وبعد أن ألقى حقيبة ظهره على الأرض، وبدأ إفراغ صندوق غذائه، سألته عن سير الأمور معه اليوم، ورفعت أحد حاجبي، وأشرت إلى الفرض المنزلي، الذي ما زال موجودًا على طاولة القهوة، وسألته ماذا قال له المعلم حينما اكتشف أنه نسي فرضه المنزلي؟

قال: "لا بأس. لقد تحدثت أنا ومعلمي عن كيفية تذكر إحضار فرضي المنزلي، وقال لي إن بإمكاني إحضاره غدًا".

فسألته: "أهذا كل شيء؟ ألم تُحرم من الفسحة المدرسية أو تتخلى عن وقت فراغك؟".

فقال: "نعم. اضطررت إلى حل المزيد من المسائل الرياضية خلال وقت القراءة، ولكنني أستطيع القراءة وقتًا إضافيًّا الليلة. ووعدته بأن أكتب ملاحظة في كتاب الفروض المنزلية الخاص بي؛ لمساعدتي على تذكر إحضار الفرض المنزلي معي غدًا".

وقام بذلك بالفعل. وكتب ملاحظة ليذكر نفسه بواجبه، وتذكره كذلك في اليوم التالي، و(تقريبًا) كل يوم منذ ذلك الحين؛ فمواجهته لعواقب فشله علمته الكثير من الأمور ذلك اليوم، فتعلم تحمل مسئولية خطئه، والتحدث إلى معلمه بشأن الحلول. ووجد ما يشجعه على التفكير لتجنب ارتكاب الخطأ نفسه مرة أخرى، ووضع نظامًا أتى بثماره معه. واكتشفنا في أثناء جلوسنا معًا بعد أداء الفرض المنزلي تلك الليلة، أن كعكاتنا كانت ساخنة، ومذاقها كان شهيًّا، وخلصتني من الشعور بالذنب.

---

* متوافر لدى مكتبة جرير

٤: التشجيع غير المباشر: الرابط الحقيقي بين الثناء وتقدير الذات

ذات يوم، بينما كنت أقطف حبات التوت برفقة صديقتي "إلينا" تحدثنا معًا بشأن ابنتها "أوليفيا"، ففي العام السابق تعرضت ابنتها لإصابة بالغة في الرأس، وفقدت على أثرها ذاكرتها. ظن الجميع في بداية الأمر أن الذاكرة ستعود، ولكنها لم تتذكر على الإطلاق حياتها قبل الحادث، بما فيها عائلتها، وحيواناتها الأليفة، وأصدقاؤها، ومدرستها. وبعد شهر من انتظار "إلينا" أن تتذكر "أوليفيا" الأعوام الستة عشر الماضية من حياتها، أدركت "إلينا" وزوجها أنه حان الوقت للمضي قدمًا، وأن يكتفيا بما تبقى من ذاكرة ابنتهما؛ فهي كانت وما زالت شخصًا متمكنًا وذكيًّا، على الرغم من نسيانها ماضيها؛ فسألت "إلينا" كيف تغير أسلوبها في تربية ابنتها عن العام السابق؟ فسبقتني لقطف حبة توت، وقالت:

"غيرت تمامًا طريقة ثنائي على أطفالي؛ حيث كنت معتادة إخبارهم بمدى ذكائهم ومدى موهبتهم وروعتهم، ولكن بمجرد أن فقدت "أوليفيا" ذاكرتها، بدا الثناء على ذكائها وموهبتها أمرًا غير صحيح وغير مناسب. كانت تعمل جاهدةً لتتطور وتكتشف كيف كانت شخصيتها في الماضي، ومن ستكون في المستقبل، لدرجة أن الثناء على مجهوداتها كان أكثر منطقية؛ بسبب مثابرتها على هذا الوضع السيئ المروع الذي مرت به؛ فأصبح نوع الثناء الذي أقدمه إلى "أوليفيا" هو نفسه الذي أقدمه إلى كل أطفالي، وقام هذا الأمر بتغييرهم، خاصة الصغار منهم. وبإمكاني أن أرى الآن الاختلاف الحقيقي في طريقة تفكيرهم في أنفسهم وفي قدراتهم".

يشجع الشعب الأمريكي بشكل كبير الثناء على الأطفال في كل موقف، ولكن عند تعمقي في البحث الذي أُجري بشأن الثناء والتحفيز، وجدت أن الثناء أداة مراوغة ومخادعة من أدوات التربية؛ أداة بإمكانها أن ترفع من معنويات الطفل إلى أقصى حد، أو أن تحطمها تمامًا، وفقًا لكيفية استخدامها؛ حيث يمكن أن تكون هي أفضل أداة تربوية وتعليمية في مجموعة أدوات تربيتك أطفالك، إذ توفر التشجيع والدعم اللذين يجعلان الطفل راغبًا في المخاطرة والتعرض للفشل،

ودخول الكثير من التحديات، أو بإمكانها تدمير تقديره لذاته. وقد أوضحت معظم الدراسات الحديثة أن أسوأ تدمير يحدث لمشاعر الأطفال الذين يعانون بالفعل انخفاضًا في تقديرهم لذواتهم، وهم الأطفال الذين نرغب بشدة في مساعدتهم.

لا تتساوى أنواع الثناء، فعندما تقول لطفل: "أنت ذكي"، فإنه يختلف كثيرًا عن أن تقول له: "لقد عملت بجهد على الفرض المنزلي الخاص بمادة اللغة الفرنسية؛ لا بد أنك شعرت بشعور جيد؛ لأنك أنجزته بشكل جيد". والعبارة الأولى تصدر حكمًا، حتى إن بدا أنه حكم إيجابي ورائع، فإن له تأثيرًا سلبيًّا في الأداء، فجملة "أنت ذكي" تصدر حكمًا على الشخص وتصفه بالذكاء، ولا تحكم على ما أنجزه. فإذا أخبرت ابني بأنه ذكي، فإنني أخبره بأنني أقدره لكونه ذكيًّا، وعلى الأرجح لن يحاول تجربة الأشياء التي ربما تؤدي إلى نفي صفة "الذكاء" عنه، خشية أن يفشل؛ ما قد يؤدي إلى – وفق تفكيره المحدود وعقله الصغير– أن أمتنع عن حبه وتقبله، لكنني إذا أخبرته بأنني فخور به للمجهود الذي بذله في تعديل القصة القصيرة التي ألفها الأسبوع الماضي، فإنني بذلك أقوي سلوكياته، لا إنني أحكم عليه.

إن الأطفال الذين يتلقون الثناء على جهودهم يكونون أكثر احتمالًا بأن يتمتعوا بطريقة تفكير متطورة، وإدراك أن الذكاء والإمكانات يمكن تطويرهما ببذل مزيد من الجهد. وقد كتبت "كريستين جروس لوه" في كتابها *Parenting Without Borders: Surprising Lessons Parents Around the World Can Teach Us* إن الأمريكيين يميلون بشكل أكبر إلى العقلية الثابتة، وينجذبون إلى المصطلحات، مثل **الموهوبين، والأذكياء، والنوابغ**، ومن ثم يميلون بشكل أكبر إلى أن يتم الثناء عليهم من أجل تلك الصفات المتأصلة؛ فالأمريكيون يهتمون للغاية بقصة الطفل الذي يستطيع عزف معزوفة لـ"باخ" على البيانو في عمر الخامسة، أكثر من اهتمامهم بعازف الكمان الذي تمرن مدة عشرة آلاف ساعة من أجل أن يترقى ويجلس في المقعد الأول في الفرقة الموسيقية. فبينما ننظر نحن الأمريكيين إلى الذكاء باعتباره إمكانية ثابتة، فإن الثقافات الأخرى، مثل ثقافة الشعوب في كوريا واليابان، تنظر إلى الإمكانية بوصفها صفقة شاملة تتكون من الخصال الفطرية الأصيلة والجهود المتعمدة المدروسة، ومن ثم تقر "جروس لوه" بما يلي:

يقل في اليابان استخدام فكرة التصنيف, ففي المدارس، لا يتم الفصل بين الطلاب وفقًا لقدراتهم، فليس هناك تعليم متميز لـ"الموهوبين"، ويتم ضم معظم الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة إلى

الصفوف الدراسية العادية؛ فبدلًا من تقسيم الطلاب على أساس الموهبة والتميز، لديهم اعتقاد سائد – متأصل في المدارس – وهو أن تميزك يعتمد على ما تقوم بإنجازه، لا بما ولدت به. إلى أن يصبح الجميع في مرحلة ما قادرًا على تنمية مهاراته، حتى في مجال الفن والموسيقى. وعلى الرغم من أن الشعب الأمريكي ينظر إلى الفن والموسيقى بوصفهما أمورًا ينشغل بها كل الأطفال – ولكن التدريب الحقيقي والتنمية الحقيقية يتم تقديمها إلى الأطفال الذين يظهرون موهبة – فإن الاعتقاد الشائع هناك في شرق آسيا أن أي شخص يستطيع، وينبغي له، أن يكون قادرًا على تحقيق درجة معينة من الإتقان في مختلف المجالات، سواء كانت الرياضيات، أم الفن، أم الموسيقى، أم التربية الدينية، فالأمر يتطلب مجهودًا فحسب١.

والبحث الذي أُجري على الضرر الذي يمكننا إحداثه عندما نقوم بخلق طريقة تفكير ثابتة تم تلخيصه بشكل رائع في إحدى تجارب "كارول دويك"، حيث قامت "دويك" ومساعداها بإعطاء مئات الطلاب المراهقين اختبارًا يتكون من عشرة أسئلة. وبعد الاختبار، تم الثناء على نصف الطلاب بعبارة "رائع، لقد أجبتم عن ثمانية أسئلة إجابة صحيحة. هذه نتيجة جيدة بالفعل. **لا بد من أنكم تتمتعون بالذكاء الشديد في هذا الأمر**"، أما النصف الآخر فقالوا لهم: "رائع، لقد أجبتم عن ثمانية أسئلة إجابة صحيحة. هذه نتيجة جيدة بالفعل. **لا بد أنكم بذلتم قصارى جهدكم**". كانت المجموعتان متساويتين تقريبًا قبل أن يتم الثناء عليهما، ولكن بعد إغداق الثناء عليهما، بدتا مجموعتين مختلفتين من الأطفال. النصف الذي أُثني عليه من أجل ذكائه تبنى العقلية الثابتة، فعندما خيروا أفراده بين المهام، رفضوا القيام بالمهام الصعبة التي تتطلب تحديًّا، وفضلوا بدلًا منها المهام التي يمكنهم إتقانها بشكل أكثر سهولة، ومن ثم يحافظون على وصفهم بـ"الأذكياء" أو "الموهوبين" دون أي تغيير.

ويتطلع الأطفال إلى معلميهم وآبائهم لمساعدتهم على فهم دورهم ومكانتهم في الحياة، وإذا أغدقنا عليهم الثناء لصفاتهم المتأصلة في محاولة منا لتعزيز تقديرهم ذواتهم، فإننا بذلك نسيء إليهم إساءة بالغة؛ حيث إننا لا نزرع فيهم العقلية الثابتة فقط، بل نغرس فيهم أيضًا بذور عدم الثقة. فعندما يجوب المعلم قاعة الدراسة، مثنيًا على كل طفل بقوله: "عمل رائع! أنت ذكي جدًّا!" سيكتشف الطلاب سريعًا جدًّا أن هناك طفلًا يتم الكذب عليه؛ فهم يعرفون أنهم لا يمكن أن يكونوا **جميعًا** عباقرة، وسيشكون في صدقنا، أو على الأقل في حُكمنا.

ويصف "وليام ديمون"، أستاذ التربية في جامعة ستانفورد، الضرر الذي من الممكن أن يقع على الأطفال جراء الثناء عليهم، وجراء ثقتهم برأينا فيهم، فيقول: "التواصل غير الصادق مع الأطفال تنتج عنه مضاعفات مؤسفة لا محالة، حتى إن كانت نياتنا حسنة. وإحدى تلك المضاعفات، التي ستحدث عاجلًا أم آجلًا، هي أن الأطفال سيرون أنفسهم على نحو مغاير من خلال عبارات غير دقيقة تُقال لهم"[٢].

وقد رددت وجهة النظر هذه "ليزا إندليك هيفينان"، وهي صاحبة مدونة Grown and Flown التي تُعني بأمور التربية وأم لطفلين كذلك.

مصداقيتنا مع أطفالنا هي الشيء الوحيد الأكثر أهمية الذي يمكننا تقديمه إليهم، بالإضافة إلى حبنا الثابت، فعند إخبار الأطفال بأنهم جيدون في شيء ما، لكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك، فإننا نفقد بذلك مصداقيتنا أمامهم، ونقلل من تقديرهم لذواتهم؛ لأن الحقيقة ستتضح في مرحلة ما. فعندما لا يتحلى ابناي بالقدرة على القيام بشيء ما، لا أخجل من إخبارهما بذلك، ولكن هذا يعني أن أي ثناء أسديه إليهما في أي شيء يجيدانه تكون له قيمة بالغة. فلا ينبغي التضحية بمصداقيتنا كآباء من أجل الإغداق عليهم بمديح واهٍ.

ويسهل في الصف المدرسي تمييز هؤلاء الأطفال الذين تلقوا ثناءً مبالغًا فيه على ذكائهم وموهبتهم؛ حيث إنهم يبذلون الحد الأدنى المطلوب منهم لكي ينجحوا فقط؛ فلا يقومون بإنجاز المزيد من الأعمال الصعبة التي تتطلب تحديًا، ويترددون في قول أي شيء يرون أنه قد يكون خاطئًا. هؤلاء الطلاب يكون من الصعب والمحبط التدريس لهم؛ لأنهم لن يطوروا أنفسهم، أو لن يقوموا بأية مجازفة عقلية خشية عدم الارتقاء إلى توقعات آبائهم، أو إلى أي وصف وُصفوا به. والحقيقة التي أحاول نقلها لكل طالب من طلابي هي أن: كل الأمور ستصبح صعبة في نهاية المطاف، حتى تلك الأشياء التي يمتلكون موهبة في القيام بها.

وتخيل طفلًا أخبره أبواه بأنه يتمتع بموهبة في الرياضيات عندما يرى للمرة الأولى معادلة جبر معقدة في الصف المدرسي ولا يستطيع فهمها، فتكون طريقة تفكيره على هذا النحو: "أخبرني أبواي بأنني ذكي، ولكنني لن أكون كذلك، إذا لم أكن قادرًا على فهم هذه المعادلة على الفور، ولا يمكنني جعلهما يكتشفان الحقيقة". هذا أسوأ إلزام نلزم به الأطفال، وهو يقودهم إلى الإحباط وخيبة الأمل،

فيشعرون بشعور مريع حيال أنفسهم، حيث يعانون أزمة ثقة وهوية، ويرفضون المساعدة حفاظًا على الصورة التي يستميتون في المحافظة عليها دون تغير من أجل الحصول على محبة آبائهم وتقبلهم إياهم.

والجزء اللافت في عمل "دويك" بشأن الثناء وطرق التفكير يأتي بعد تشكيل وترسيخ طرق التفكير سواء كانت متطورة أم ثابتة، وبداية عملها في تشكيل هويات الأطفال، فبعد أن أثنت "دويك" على الطلاب، سواء لمجهودهم أو لذكائهم بعد أدائهم اختبارًا سهلًا نوعًا ما، طُلب منهم أداء اختبار أصعب صُمم خاصة لاستثارة غضبهم، ولمحاولة إفشالهم. واستسلم الأطفال الذين أُثني عليهم لذكائهم، بينما حاول الطلاب الذين أثني عليهم لمجهودهم بقوة أكبر. ولم يستسلم الطلاب؛ لأنهم لم يأخذوا الفشل على محمل شخصي؛ حيث إنهم لم يفكروا في أن عجزهم عن الإجابة بشكل صحيح عن المسائل الرياضية على الفور يعني أنهم غير أذكياء. وإليك الجزء المفضل بالنسبة إليَّ، التفصيل الذي يبعث الدفء في قلبي ويجعلني مطمئنة، وهو أن: الأطفال الذين قبلوا التحدي بشأن المسائل الرياضية قالوا إن **المسائل الصعبة كانت أكثر إمتاعًا**.

وبينما استمتع الأطفال الذين يتمتعون بعقلية النمو، فشل الأطفال الذين يتمتعون بالعقلية الثابتة. حتى عندما تخلت "دويك" عن مستوى صعوبة المسائل الرياضية، وتم إعطاء الطلاب مسائل أكثر سهولة لحلها، لم يُبلِ الأطفال ذوو العقلية الثابتة بلاءً حسنًا، ولم يستطيعوا تخطي الهزيمة، لدرجة أنهم قاموا بحل المسائل السهلة بشكل أسوأ مما قاموا به في المرة الأولى. وطلبت "دويك" مرة أخيرة من الطلاب تدوين أفكارهم بشأن المسائل الرياضية من أجل الطلاب المستقبليين، وأن يدونوا نتائجهم بينما يفعلون ذلك، فكذب أربعون في المائة من الطلاب الذين أثني عليهم لذكائهم بشأن نتائجهم. وكما كتبت "دويك" في كتابها **طريقة التفكير السيكولوجية الجديدة للنجاح: "حولنا الأطفال العاديين إلى كاذبين، بإخبارهم ببساطة بأنهم أذكياء"٣.**

ومن أجل فهم كيفية تحويل الأطفال إلى كاذبين نتيجة الثناء عليهم بطريقة خاطئة، توجهت إلى الأستاذ الجامعي "جايمس إم. لانج"، مؤلف كتاب *Cheating Lessons: Learning from Academic Dishonesty*. لقد كتب أننا نشجع الأطفال على الشعور بالثقة المفرطة والزهو بمستوى مهاراتهم، الذي من الممكن أن يؤدي إلى كل أنواع العواقب السلبية، مثل الكذب والادعاء؛

فالقدرة على الحكم على مستوى معرفة شخص ما، أو مهارته، أو تفكيره تسمى ما وراء المعرفة، وهذا هو ما يتيح للأطفال قياس معرفتهم، سواء كانوا مستعدين أم غير مستعدين لهذا الأمر، أو على دراية به أم لا.

يحقق على الأرجح الطلاب ذوو المهارات الجيدة فيما وراء المعرفة ما يسميه "لانج" بـ"الكفاءة الذاتية"، أو الإيمان بقدرتهم على تحقيق النجاح. ليس ثقةً بقدرتهم على النجاح، ولا بالتفكير التحفيزي المستند إلى ثناء آبائهم المفرط عليهم، ولكنها ثقة مبنية على تجربة ومجهود متكرر في مهارة ما أو مهمة ما. ومع ذلك ما زلنا نعتقد أننا إذا أخبرنا أبناءنا بمدى روعتهم وموهبتهم عن طريق تكرار الثناء عليهم، ومنحهم الجوائز، والأوسمة، فسنقوم بتعزيز أدائهم بالإضافة إلى تقديرهم ذواتهم. فعندما نقوم بوضع ملصقات على سياراتنا من الخلف، تقول: "إن طفلي طالب متفوق في مدرسة سبرينج فيلد الإعدادية"، سيتذكر طفلك في كل مرة ينظر فيها إلى ذلك الملصق، أن الشيء الذي تقدره بشأنه ليس مدى الجهد الذي يبذله، أو مدى التزامه ومثابرته على اجتياز تحدٍّ ما، ولكن درجاته ونتائجه النموذجية. وقد أوضحت الدراسات أن الأطفال الذين نطمح إلى مساعدتهم بتقديم كل هذا الثناء – الأطفال الذين يعانون انخفاض تقديرهم لذاتهم– في الواقع هم في أمس الحاجة إلى جهودنا، ويعانون انخفاض تقديرهم لذواتهم بشكل أكبر وأكبر لو لم نهتم بهم. وتخيل ماذا سيفعل الأطفال الذين يقللون من تقدير ذواتهم لو أن آباءهم ومعلميهم بدأوا الثناء على جهودهم ومثابرتهم؛ الجهد الذي يفضي إلى زيادة في الاعتماد على الذات، والكفاءة، والترابط كذلك. وهذا هو نوع التقدير الذي أود أن يتحلى به طلابي، تلك الصورة الذاتية التي اكتسبوها، بصعوبة بالغة، واستحقوها.

التحول من العقلية الثابتة إلى عقلية النمو هو أمر صعب، ويشكل تحديًا حقيقيًّا، والأصعب من ذلك هو تغيير طريقة العبارات التي تنطلق بها ألسنتنا للثناء على أبنائنا عندما يقومون بفعل شيء جيد، أو يوفَّقون في العثور على حلول. ولا تقلق في حال تطلب الأمر بعض الوقت للوصول إلى طريقة التعبير الصحيحة؛ لأننا اعتدنا الثناء والتشجيع الذي نغدقه على أطفالنا عندما يحققون إنجازات طبيعية تتحقق دون جهد. حتى إن "كارول دويك" تعترف بأنها أحيانًا ما يَزِل لسانها ببعض عبارات الثناء، فتثني على عبقرية عائلتها بدلًا من جهودها، ولكن الهدف هو خلق عادات جديدة لها القدرة على إيصال شعور الكفاءة الذاتية والوصف الدقيق لقدرات أبنائنا. وإليك بعض الأفكار التي بإمكانها

مساعدتك على إعادة صياغة عبارات الثناء على ابنك، وربما تساعده على اعتماد عقلية النمو، وتقوي الشعور بالكفاءة الذاتية لديه:

قم بالثناء على المجهود المبذول، وليس على الصفات المتأصلة.

فبدلًا من أن تقول: "قمت بعمل رائع في هذا الاختبار! أنت ذكي للغاية!" جرب أن تقول: "قمت بعمل رائع في هذا الاختبار! ما الاستعدادات التي قمت بها هذه المرة وأجدت نفعًا هكذا؟". وعوضًا عن قول "أحب رسوماتك هذه! لديك موهبة حقيقية في الرسم!" جرب قول "أنا فخور بك للمجهود الذي بذلته في التظليل والمنظور"؛ فالأطفال الذين يعتقدون أن الذكاء يزداد ببذل مزيد من الجهد والمثابرة سيقل خوفهم من الفشل، وعلى الأرجح سيثابرون ويلتزمون بالقيام بالمهام على الرغم من التعرض للفشل، وقد يشعرون بالمتعة في أثناء قيامهم بذلك.

اعتمد عقلية النمو في حياتك، حتى إن شعرت بعدم الراحة.

عندما يراك أطفالك تطور من نفسك – حتى إن فشلت في تلك العملية – فعلى الأرجح سيقومون بتطوير أنفسهم كذلك. والأفضل من ذلك، أن تدعهم يرونك مستمرًّا في عملية تطوير نفسك بعد فشلك؛ ليدركوا أن الفشل في مهمة ما لا يعني أن ذلك الشخص فاشل، فأنت أول وأعظم قدوة بالنسبة إلى ابنك؛ لذلك أظهر له أنك تصدق أن النجاح مرتبط ببذل الجهد، لا الموهبة الفطرية المتأصلة في الشخص. واعثر على الشيء الذي تعتقد أنك لا تستطيع فعله، وحاول القيام به؛ فالفشل والرفض جزء من عملية التعلم، خصوصًا حين نجاهد للخروج من منطقة الراحة الخاصة بنا، ولكننا سنندهش لما سيحدث بمجرد تخلينا عن هذه المنطقة، ورؤية الإمكانيات الكامنة وراء تلك المنطقة.

لا تشجع ردود الأفعال الرافضة للفشل.

تختلف ردود أفعالنا تجاه الفشل، ولكن بعض ردود الأفعال هذه تكون صحية أكثر من بعضها الآخر، ولها القدرة على تعليمنا بشكل أكبر؛ فالإنكار، على سبيل المثال، يؤدي إلى زيادة حدة الفشل وإطالة أمده. فكن صادقًا مع أبنائك؛ فإذا فشل ابنك في أمر ما بسبب عدم بذله مجهودًا كافيًا، فأخبره بذلك. وعلِّم ابنك أن يرى حقيقة عيوبه وأسباب فشله ويتجاوب وفقًا لذلك؛ فعندما نخبر أبناءنا بمدى

موهبتهم وتفوقهم في مهارة ما مع أن كل الدلائل تشير إلى عكس ذلك – ويكونون هم على علم بهذا الأمر– تضعف بعد ذلك ثقتهم بنا.

تأكد أن ابنك يعرف أن فشله لا يقلل من حبك إياه أو يؤثر في رأيك بشأنه.

يخفف حبك وتواصلك العاطفي مع أبنائك من حدة الألم والخجل الذي قد يشعرون به جراء فشلهم، بالإضافة إلى أن معرفتهم أنك موجود لدعمهم، لا للحكم عليهم، أو للثناء عليهم ثناءً مزيفًا، توفر لهم ملاذًا آمنًا وسالمًا من القلق الذي يعانونه في حياتهم.

دع أبناءك يشعروا بالإحباط نتيجة الفشل.

اعترف بهذه المشاعر ولا تتدخل وتحاول تسوية الوضع، فهذا الفشل هو فشله في نهاية المطاف وليس فشلك، وليس بالأمر العادل أو المجدي أن تحاول تحسين الوضع بالنسبة إليه؛ فما تعلمه إياه من خلال هدوئك وصبرك وعدم اتخاذك إجراء لمصلحته هو أن لديه القوة الداخلية التي تساعده على تخطي فشله.

لا تعرض على طفلك أن تنقذه من عواقب فشله.

إن عرضك أن تنقذ طفلك من عواقب فشله يوحي بأنك لا تصدق أن لديه القدرة على إيجاد حل بنفسه. ساعده على حل المشكلات والتعلم من الفشل، بدلًا من رؤية ذلك الفشل كأنه صدمة مدمرة لصورته الذاتية، وثقته بنفسه. ينبغي أن يكون هدفك هو مساعدته على استعادة شعوره بالسيطرة على زمام الأمور بعد تجربة الفشل التي مر بها. ويحدث التعلم الحقيقي عندما يبدأ الأطفال في فهم كيفية البحث عن الأمور التي تنفعهم وسط ما خلفه ذلك الفشل من حطام في داخلهم، ووضع إستراتيجية من أجل النجاح في المستقبل.

وقد تعافت أخيرًا "أوليفيا" من جراحها، وعلى الرغم من فقدانها معظم معلوماتها الأساسية، فإنها كانت مستعدة للعودة إلى المدرسة الثانوية، والتخرج مع أقرانها، والالتحاق بالجامعة. لا أستطيع الجزم بأن تلك التغييرات التي قامت بها "إلينا" في أسلوب تربيتها كانت لها علاقة بنجاح "أوليفيا" أم لا، فحالة واحدة تعتبر بصعوبة ذات دلالة إحصائية يعتد بها، ولكن ما أعرفه هو أنه عندما دعمت "إلينا" جهود "أوليفيا" بدلًا من ذكائها، زادت من احتمالية نجاة "أوليفيا" من العديد من الإخفاقات

التي واجهتها في أثناء استعادتها حالتها الطبيعية. والأفضل من ذلك، أنها أعطت "أوليفيا" درسًا رائعًا في كيف تكون أمًّا تحفز داخل أبنائها عقلية النمو يومًا ما.

الجزء ٢ : التعلم من الفشل:تعليم الأطفال الاستفادة من الأخطاء وتحويلها إلى نجاح

٥: الواجبات المنزلية: غسل الثياب فرصة لإثبات الكفاءة

في ظهيرة أحد الأيام، دخلتُ إلى صف اللغة الإنجليزية الذي أقوم بالتدريس فيه، واستمعت بالمصادفة إلى طالبة بالصف الثامن تشكو إلى صديقاتها شدة جوعها؛ فسألتها هل نسيت طعام غدائها، فأجابت: "لا، ولكنني أكره ما تعده لي أمي". وبدلًا من الإشارة إلى الحل الواضح – وهو أن عليها إعداد طعامها بنفسها– سألتها هل يمكنها التفكير في أية وسيلة لحل ذلك الموقف والحصول على الطعام الذي تحبه.

فقالت: "يمكنني أن أشتري طعامًا، أليس كذلك..؟"، وأنهت عبارتها بعلامة استفهام ضمنية، وانتظرت رد فعلي.

شجعتها لإكمال حديثها قائلةً: "أو...".

فقالت بثقة أكبر: "... أو... يمكنني... إخبار والدتي بما أحب؛ لتتمكن من إعداد الأشياء التي أرغب في تناولها"، فسررت بتلك الفكرة العبقرية التي توصلت إليها.

فكررت قائلةً: "أو...".

فاندهشت، فما الخيار الآخر الذي من الممكن أن يكون متاحًا أمامها؟ فتحولت بنظري إلى زميلتها، التي أعدت غداءها بنفسها، وسألتها قائلة:

"إلسي، ماذا يمكن لكاتي أن تفعل للتأكد من حصولها على الطعام الذي ترغب في تناوله؛ الطعام الذي لا يمكنها الاعتراض عليه؟".

فتوردت وجنتا "إلسي" خجلًا، وقالت:

"يمكنها إعداد طعام الغداء بنفسها؛ فهذا ما أفعله، إذ إنني أحيانًا ما أعده عقب تناولنا وجبة العشاء، فكل مكونات الوجبة متوافرة، وبذلك لا أضطر إلى إعدادها في الصباح عندما أكون على عجلة من أمري".

احمر وجه "كاتي" هذه المرة، وقالت:

"أوه... أجل. يمكنني فعل ذلك".

وهذا ما فعلته؛ ففي الأسبوعين الأول والثاني، كانت تتعمد ذكر مدى استمتاعها بغدائها حينما أكون على مقربة منها، ويتسنى لي سماعها. وبعد مرور شهر تقريبًا – في عيد ميلادها– صعدت إلى الدور الذي يقع فيه مكتبي، حاملةً علبة كبيرة من الكعك.

وقالت لي: "اليوم هو عيد ميلادي. أترغبين في تناول الكعك؟ لقد صنعته بنفسي". كانت تشع بهجةً، سعيدة للغاية بهذه الفرصة التي أتاحت لي التأكد من مدى تقدم مهاراتها في الطهو. فأخذت واحدةً وشاهدتها تقدم الباقي إلى زملائها، وهي تذكر لهم كل ثلاثين ثانية تقريبًا أنها هي من صنعته، لدرجة أنها قامت بعمل "كريمة الزبدة!" بنفسها كما قالت.

ويود الأطفال الشعور بقدرتهم على القيام بالأشياء، وقد اعتدنا السماح لهم بذلك قبل أن نقصيهم عن المشاركة في تحمل عبء الواجبات المنزلية؛ فبدلًا من أن نعلم أطفالنا كيف يكونون أفرادًا مسئولين، وفعَّالين داخل عائلة تقوم على مشاركة الأطفال في كل شئونها، نقوم بفعل كل شيء من أجلهم. والأسوأ من هذا أننا لا نتوقع منهم أن يكونوا أكفاء، وعندما يحاولون القيام بالواجبات المنزلية، نتدخل فيما يقومون بفعله، ونصلح ما يكونون قد أفسدوه.

نتدخل بعد أن يقوم أطفالنا بترتيب فراشهم، ونقوم بتسوية الكتل والنتوءات. نتدخل بعد أن يقوموا بطي الملابس، ونقوم بتعديل طي المناشف التي طووها بشكل خاطئ. وفي الحقيقة لقد أخذت إسفنجة التنظيف من يد ابني؛ لأنه كان يزيد الأمر سوءًا بشكل أكبر حين كان ينظف اللبن المسكوب؛ فكنت أخرجه من الغرفة، وكنت أقول له: "اذهب للعب" حينما لا يقوم بفعل الشيء بالسرعة نفسها، أو بالدقة نفسها التي أقوم بها. أتفهم دافع إنجاز الأمور بطريقة أفضل، أو أسرع، أو أكثر دقة، ولكن ما الغاية من هذا؟ فإننا نضحي بما هو أكثر كثيرًا من السرعة والدقة، حين نتدخل ونصلح الأمور بأنفسنا.

فما الأكثر أهمية بالنسبة إليك: أن تكون الأطباق نظيفة، أو أن يطور ابنك شعوره بتحقيق الغاية والفخر؛ لأنه أسهم في خدمة العائلة أخيرًا بشكل حقيقي وفعال؟ وأن يتم ترتيب ذلك الفراش بشكل

مستوٍ تمامًا دون نتوءات، أو أن يتعلم طفلك أن يجعل قيامه بالمهام المنزلية جزءًا من روتينه اليومي؟ فكل هذا التدخل والإصلاح الذي تقوم به يُنتِج أطفالًا يعانون مشكلات نفسية، وفكرية واجتماعية، كما يجعلهم غير واثقين بطريقهم أو هدفهم في حالة عدم وجود شخص بالغ لإرشادهم.

وكان من المهم أن تُعِد طالبتي طعامها بنفسها، ليس لأنها مدللة، وأنا أود منها أن تكون "أكثر صلابة"، ولكن لأن الإخفاقات –التي ستمر بها عندما لا تتمكن من النجاح في إعداد طعامها كما ينبغي– مهمة؛ فهي تحتاج إلى أن تشعر بخيبة الأمل في اختياراتها من حين إلى آخر، وفي حاجة إلى أن تعرف أنها حين تضع الزبادي تحت كيس الثلج بدلًا من أن يكون فوقه، سيسحقه، وستمتلئ الحقيبة ببقايا الزبادي اللزجة. ويجب أن تعرف ما الشعور حين تنظف تلك الحقيبة المليئة بالمواد اللزجة، وتتجنب الخطأ نفسه في المرة المقبلة؛ فهي في حاجة إلى أن تكتشف كل التفاصيل الصغيرة، والحلول البديلة، والحلول التي نبتكرها؛ لكي نتجنب ملايين الكوارث الصغيرة التي تعرقلنا عن القيام بالتزاماتنا اليومية.

وقد أخبرتني صديقتي مؤخرًا، بعد تعرضها إلى حادث سير خرجت سالمة منه، ولكنها مرت بتجربة أليمة في أثنائه، بأنها أدركت وهي في وسط الحادث أنه كان يجب عليها عمل قوائم بالتفاصيل الصغيرة التي ستحتاج عائلتها إلى معرفتها في حال لم تكن على قيد الحياة لتعتني بها؛ فكان ابنها في حاجة إلى معرفة أن ملابس كرة القدم الخاصة به يجب أن يتم غسلها يوم الأحد، حتى يتمكن من ارتدائها في تدريب يوم الإثنين، ويجب أن تعرف ابنتها ما الأقمشة التي يمكننا وضعها في مجفف الملابس، وما التي لا يمكننا وضعها، وماذا يحدث حين يتم وضع السترات الصوفية في مجفف الملابس عن طريق الخطأ. يجب أن يعرف الأطفال كيفية إصلاح المرحاض حين يسد، وإعادة تشغيل خزان ضغط الماء عقب انقطاع التيار الكهربائي، وتغيير الصمامات الكهربائية، وإصلاح آلة جز العشب، وملايين الأشياء الأخرى التي تعتني بها بنفسها، ولا تثقل بها كاهل أبنائها.

فقلت لها إنها إن ماتت في حادث سير، فسيكون موضع مقبض إعادة تشغيل خزان المياه آخر شيء يقلق عائلتها، ولكنني تفهمت مقصدها؛ فعندما لا نسمح لأبنائنا بالمشاركة في إدارة شئون المنزل، فإنهم يكونون عاجزين للغاية من دوننا، ولقد لمست مدى عجزهم وعدم كفاءتهم في غيابها؛ فكان هذا الحادث إنذارًا لها إلى حد كبير.

فحماية أطفالنا من تجربة الفشل – من تجربة الكوارث الصغيرة، وتعلم كيفية التعامل معها– ليست في مصلحتهم، وليس هذا من وجهة نظر صديقتي التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت، فسواء كنا نرعاهم رعايةً مفرطةً، ونحميهم من منطلق رغبتنا في أن نكون رائعين في كل الأمور، أو في التعبير عن عواطفنا، أو الحاجة إلى إثبات تفوقنا في التربية، فإننا نفوت على أبنائنا فرصة أن يكونوا أفرادًا كاملين في العائلة، تقع على عاتقهم واجبات ومسئوليات؛ فنحن نمنعهم من الحصول على هدية الفشل، دون أن نعي أن أفضل الأوقات –التي يمكن أن نقدم إليهم فيها أفضل أساليب التربية – في أثناء تسببهم في كارثة.

وتحب صديقتي "كيه. جيه. ديلانتونيا" التي تعمل محررة بصحيفة **نيويورك تايمز** أن تقص حادثة انحراف سيارة صديقة لها عن الطريق الجليدي، وقد غرست في كتلة ثلجية، حيث توتر البالغون للغاية، وغضبوا جراء الحادث، أما الأطفال في سن السادسة أو السابعة فكانوا سعداء ومتحمسين، حيث أُتيحت لهم فرصة لتقديم العون والمساعدة على إعادة السيارة مرة أخرى إلى طريقها؛ فتجمعوا معًا، لتسهيل عملية سحب السيارة من الثلج، واخترعوا مختلف الوسائل غير التقليدية كي تعمل كروافع لإعادة السيارة إلى الطريق. ما زالت "كيه.جيه" تتعجب من التفاؤل والحماس اللذين أضفاهما الأطفال على وضع محبط مثل هذا، كأنهم كانوا ينتظرون حدوث أزمة، أو فرصة لإثبات كيف يمكن أن يكونوا عباقرة ومفيدين. حاولوا وفشلوا في مخططاتهم الكثيرة لتحرير السيارة، ولكنهم كانوا مستمتعين للغاية بكل فكرة جديدة يتوصلون إليها. تتحدث "كيه.جيه" عن عصر ذلك اليوم بوصفه واحدةً من ذكرياتها المفضلة التي حدثت في الشتاء، وعندما سألت ابنها عن عصر ذلك اليوم، ابتسم على الفور، وانطلق في إعادة سرد المغامرات التي حدثت فيه.

وعندما ننزع من الطفل مسئوليته عما يحدث في المنزل من كوارث، فإننا نخسر بذلك فرصة سهلة للتعافي من الإخفاقات؛ حيث يمكن أن تكون المهام المنزلية شاقة في البداية؛ فنحن نشجعهم على أن يكونوا عالة، وأن يلتزموا بعمل الأشياء التي يجيدونها فقط، وهي: المشاهدة، والانتظار، وإبداء تعبير الوجه الدال على الانزعاج وعدم الصبر، آملين في قدوم أحد البالغين لتخليصهم من عجزهم على حل المشكلات. ونُعلِّم أطفالنا أن كل ما يجب أن يقلقوا بشأنه هو أنفسهم، ونخاطر بدفعهم ليتجاوزوا الخط الفاصل بين عدم الفاعلية وعدم الكفاءة مباشرة إلى الكسل والنرجسية.

ويمكن معالجة الشخص غير الفعال وغير الكفء ببعض الصبر، ولكن إعادة تأهيل الشخص النرجسي تشكل تحديًا أكبر كثيرًا.

وفي حديثي مع المعلمين بشأن ما يستطيع الأطفال القيام بعمله في المنزل، اتضح لي أن المعلمين يؤمنون للغاية بقدرات الأطفال أكثر من إيمان آبائهم بقدراتهم؛ فعندما طلبت من المعلمين قوائم من المهارات التي يستطيع الأطفال القيام بها بأنفسهم – مهارات لا يصدق آباؤهم أنهم يستطيعون توليها– تسلمت صفحات عديدة من الاقتراحات. وقد ابتسمت إحدى المعلمات حين وُجه إليها سؤال عما يستطيع طلابها في مرحلة الروضة القيام به في حالة منحهم الوقت والصبر الكافيين، وقالت: "يمكنهم فعل كل شيء". قمت بكتابة عدد كبير من رسائل التوصية للمدارس الثانوية والجامعات، ولا أستطيع أن أحصي عدد المرات التي راجعت فيها بعناية السجلات المنقحة والمدروسة جيدًا، ملحقًا بها وصفًا مستفيضًا من التزام الطلاب بتقديم الخدمات – وهو الوقت الذي أمضوه في تقديم وجبات العشاء في ملاجئ المشردين، وفرز الملابس المتبرع بها، وبناء مراحيض في كوستاريكا– وعلى الرغم من ذلك أعرف يقينًا أن هذا الطفل المعني لم يقم قط بغسل ملابسه بنفسه. ننفق حاليًّا أموالًا طائلة، ونبذل الكثير من الطاقة على رحلات الخدمات والأعمال الخيرية، ونقلق بشأن شكل تلك الجهود وبطريقة صياغتها في استمارة طلب الالتحاق بالجامعة، ولكن خدمات الطفل التي يقدمها للآخرين ينبغي أن تبدأ من المنزل، إلى عائلته، وعاجلًا وليس آجلًا.

عدم قيام ابنك بغسل ملابسه، أو ملء غسالة الأطباق على الإطلاق، لا يعنيان أنه لا يستطيع القيام بتلك الأمور؛ فالأطفال مبتكرون وواسعو الحيلة، وحتى تلك المهام التي يبدو أنهم غير قادرين على القيام بها نتيجة قِصر قامتهم أو انعدام خبرتهم، يمكن إنجازها بمساعدة كرسي، وتوجيهات بسيطة. وعندما أسندت للمرة الأولى مهمة تفريغ الأطباق من غسالة الأطباق إلى ابني الصغير وهو في عمر السادسة أو السابعة استغرق الأمر منه نصف ساعة، حيث سحب مقعدًا من غرفة المعيشة ليقف فوقه ويصل إلى مكان الأرفف العالية، ووضع تلك الأطباق في المكان المخصص لها، واحدًا تلو آخر. وعندما طلبت منه أن "يفرغ غسالة الأطباق"، نسيت تمامًا أمر الأرفف العالية، ولكنه اكتشف طريقة للخروج من ذلك المأزق بنفسه. لقد أسعدتني نظرة الفخر التي اعتلت وجهه، حينما قلت له: "مهلًا، هل فعلت **كل هذا** بمفردك؟ وتلك الأطباق أيضًا؟"، وبالطبع كان الفشل جزءًا من تلك العملية؛ فمنذ اليوم الأول، كسر أطباقًا في أثناء تعلمه كيفية حملها ونقلها وملء غسالة الأطباق

بها، ولكن من يكترث لذلك؟ بوسعي التضحية بعشرة أطباق مكسورة مقابل رؤية ابتسامة الفخر والكفاءة تعلو وجهه.

وقد حرم الآباء أبناءهم من الشعور بالمشاركة، وبأن لديهم غاية يجب الوصول إليها على مدى جيلين حاليًّا، وحان الوقت لإعادة هذا الشعور لهم، وجعلهم يشاركون في تولي شئون المنزل هي الخطوة الأولى – والأساسية بحسب رأيي – نحو بناء حياة مليئة بالأهداف والإنجازات. عندما بحث الأطباء أسباب الاكتئاب والتفكير الانتحاري لدى المراهقين، فتردد مصطلح "الافتقار إلى الغاية"١ مرارًا وتكرارًا في المؤلفات الأكاديمية بوصفه عاملًا رئيسيًّا؛ فالغاية هي ما تحمينا من اليأس حين تصبح تفاصيل الحياة مرهقة أو مملة، والغاية هي ما يؤجج العزم، وسعة الحيلة، والتصميم الذي سيتخذه أبناؤنا منهجًا لبلوغ أهدافهم.

وهناك العديد من الأسباب لعدم منح الآباء أبناءهم المساحة، والفرصة للعثور على غايتهم، ومن ضمنها:

- من الأسرع أن أقوم بهذا العمل بنفسي.
- سيفعلونه بطريقة خاطئة على أية حال.
- يجب أن يستمتع الأطفال بطفولتهم؛ فسيعملون ويجتهدون حينما يكبرون.
- سيبدو منزلي بحالة مزرية وسينتقدني الآخرون.
- سيبدو أطفالي مثيرين للاشمئزاز وسينتقدني الآخرون.

كفى. حان وقت منح أطفالنا الفرصة للمشاركة. امنحهم الفرصة للتقدم، والمحاولة، والفشل، والمحاولة مرة أخرى، إلى أن يقوموا بالأمر بالطريقة الصحيحة.

أولًا، علينا حذف كلمة **الأعمال المنزلية** من قاموس منزلنا. أخبرتني "إيمي مكريدي"، مدربة التربية ومؤسسة برنامج Positive Parenting Solutions "بالحلول الإيجابية في التربية"، قائلة: "كثيرًا ما شجعت الآباء على التخلص من كلمة الأعمال المنزلية واستبدال كلمة "الإسهامات العائلية" بها؛ وتغييرها لهذا الاسم لن يجعل الأطفال يستمتعون بالقيام بها كثيرًا، ولكنه يبعث برسالة

مهمة عن أهميتهم، وهي أنه حينما تساعد، فإنك تشكل فارقًا كبيرًا بالنسبة إلى هذه العائلة؛ فنحن جميعًا في حاجة إلى الشعور بأهميتنا، وهذا الأمر هو طريقة رائعة لتعزيز ذلك الشعور في نفوس الأطفال جميعًا، من الأطفال في سن الحبو إلى المراهقين".

وعندما يكتشف طفلك أهميته وغايته داخل العائلة، من المهم أن يأخذ في اعتباره أنه عرضة للفشل، وأنه سيخطئ في الكثير من الأمور من حين لآخر في أثناء تعلمه. وإسهامه في المنزل لا يتمثل فقط في قيامه بعنصر من العناصر الموجودة في قائمة الأعمال التي يجب إنجازها والموضوعة على الثلاجة، ولكنه عملية تعلم. أنت تعرف كيف تطوي الملابس بالطريقة التي يجب أن تطوى بها؛ ولكن ابنتك لا تعرف. فدعها تخطئ في أول مرتين؛ امنحها فرصة ملاحظة أن ثيابها التي قامت بطيها تختلف في طريقة طيها عن باقي الثياب المطوية الموجودة في خزانتها. دع شقيقها ينزعج منها لأنه وجد بنطاله رطبًا؛ لأن مجفف الملابس قد عقد رجلي البنطال، ومن ثم لم يجف. دعها تكتشف بنفسها أنها تركت الملابس في المجفف طوال الليل، وأن بلوزتها المفضلة ستصبح للأسف مجعدة للغاية، وربما في المرة المقبلة، لن تدع ذلك يحدث. قد يصبح منزلك أقل روعة ومثالية عن المعتاد عندما تتعلم ابنتك كيف تصبح شخصًا نافعًا داخل المنزل، وربما يخرج أطفالك خارج المنزل مرتدين تلك السراويل الرطبة أو القمصان المجعدة، ولكن إذا كنت تهتم بانتقاد المعلمين وحكمهم، والأصدقاء، والجيران أكثر من اهتمامك بإحساس ابنتك بالكفاءة، فهذا أمر يجب عليك التفكير بشأنه, وأخيرًا ستتحلى بالكفاءة في التفاصيل التي تتعلق بغسل الملابس، وليس فقط إنجاز الأمر، بل إنجازه على نحو جيد. امنحها الوقت الكافي فقط، والعديد من الفرص، وربما تتمكن من معرفة كيفية طي غطاء السرير.

وبوصفنا أول معلمين لأبنائنا، فإن هذا يتيح لنا فرصة أفضل لتعليم الأطفال كيفية التركيز على الأهداف ومواجهة المسئوليات والتحديات اليومية بشجاعة وحسن تصرف. فإذا كنا نستسلم بسهولة، فسيستسلم أطفالنا بسهولة كذلك؛ فالأطفال الذين ينظرون إلى المآزق بوصفها عبئًا ثقيلًا ومستعصيًا لا يمكن التغلب عليه، يتخلون عن تحقيق أهدافهم، أما الأطفال الذين شهدوا مثابرة وسعة حيلة آبائهم، وسمح لهم آباؤهم بتطوير مهاراتهم في إيجاد حلول عظيمة، فإنهم لا يستسلمون، بل يبذلون قصارى جهدهم، ويفعلون ما بوسعهم، فيستخدمون كل الوسائل المتاحة لإزاحة العقبات من طريقهم وإتمام عملهم. وإليك كيفية حدوث الأمر.

التوقعات الكبرى والمسئولية الحقيقية

حدد توقعات واضحة، وحمِّل أطفالك المسئولية في حالة عدم تحقيقهم تلك التوقعات. تذكَّر ألا تمنحهم أي نوع من العطايا أو المكافآت المالية، فهذا النوع من الحوافز قصير الأجل، ولكن يمكن أن يتم استخدامها كحوافز في البداية فقط، ولكنها لا تجدي نفعًا إذا استخدمت بوصفها إستراتيجية طويلة الأجل؛ فالرسالة التي توصلها إلى أبنائك هي أن الشخص لا يسهم في مساعدة عائلته مقابل المال، ولكنه يسهم فيها؛ لأنه جزء لا يتجزأ من وحدة واحدة متعاونة، مجموعة من الأشخاص يعتمد بعضهم على بعضٍ بدافع العمل والحب.

اشرح لأبنائك وهم في سن صغيرة أنك تتوقع منهم أن يسهموا في إدارة شئون المنزل. وإن كانوا قد تقدموا في العمر، ولم تطلب منهم المساهمة والمساعدة من قبل، فكن صادقًا، واعترف بحقيقة أنك قد فشلت، وبأنك استهنت بقدراتهم طوال تلك المدة, واطرحوا أفكارًا بوصفكم عائلة بشأن المهام التي يستطيع الأطفال التعلم منها، وتوصلوا إلى قائمة بالتوقعات. ويمكنك تعليق هذه القائمة أو عدم تعليقها –الأمر يرجع إليك– ولكن لا بد من أن تكون التوقعات واضحة وملائمة لأعمارهم, وأعرف أمًّا قامت بعمل قائمة لأطفالها الصغار الذين لم يتمكنوا من القراءة بعد من خلال رسم صور للأطباق، أو للغسالة، أو لعلبة الغذاء، بينما كانت قوائم أبنائها الكبار مكتوبة.

انتظر واصمت

وفور توضيح توقعاتك لأبنائك، اشرح لهم أنك لن تزعجهم إلى أن يتموا إنجاز مسئولياتهم. فإذا كانت مهمة ابنتك أن تقوم بتنظيف المكان بعد تناول الوجبات، وأن تنظف الأطباق قبل وضعها في غسالة الأطباق، ونسيت، فاترك الأطباق في مكانها، فهذه هي الأوقات التي يتعلمون فيها. اشرح لها أنه كلما تُرك الطعام القابل للإزالة بسهولة سيجف بمرور الوقت، وسيصبح تنظيفه أكثر صعوبة، ولكن دع الأطباق في مكانها على الطاولة، في انتظارها لتأتي وتنظفها.

وسيتطلب هذا الأمر منك المزيد من ضبط النفس؛ فالإزعاج والمضايقة من أسرع وسائل تدمير الحافز، كما أنهما سيدمران أيضًا تواصلك وعلاقتك بابنتك، حتى إن ظلت الأطباق على الطاولة طيلة يومين، فإياك أن تضايقها أو تزعجها، وطبعًا لا تتدخل أو تصلح شيئًا، ولكن كن حاضرًا وساعد على إيجاد حلول للمشكلات. وتطلق مدربة التربية والمؤلفة "فيكي هويفل" على هذه الطريقة

"التربية القائمة على الصمت"؛ إذ أحيانًا يتطلب التزام الصمت والتراجع عن التدخل في تلك الأوقات التي يتعلم فيها الأطفال شيئًا من القوة وضبط النفس، كأن فمك ملصق بشريط لاصق. وتذكر مفهوم التربية الداعمة للاعتماد على الذات، واعرض الدعم، وليس السيطرة. وكن حاضرًا لمساعدة ابنك في حال عدم تأكده من ضبط دورة برنامج الغسيل في الغسالة، أو إذا لم يكن يعرف كيفية استخدام مُنعِّم الأقمشة، لكن اعثر على شيء تقوم بفعله يشغلك للغاية، بينما يؤدي هو عمله. لا تتدخل، ولا تضغط عليه، ولا تصحح له إلا إذا طُلب منك ذلك. وهناك أمر أخير أيضًا عليك معرفته، إذا قمت دون علم ابنك بإعادة القيام بالأعمال المنزلية التي قام بإنجازها بالشكل الذي يراه ويرضيه – حتى إن كان ذلك بعد تركه للغرفة – فإنه سيلاحظ هذا. إنك تخبره من خلال أفعالك بأنه ليس كفؤًا، ليس ذلك فحسب، بل تخبره بأنه مهمل أيضًا، إذ تكمل المهمة الموكلة إليه. ليس هذا هو الدرس الذي تود منه أن يتعلمه، من أجل مصلحته ومصلحتك على حد سواء.

فلتثنِ على المجهود الذي يبذله أبناؤك في الأعمال المنزلية، خصوصًا لو قاموا بحل مشكلة، أو التزموا بالقيام بمهمة كانت صعبة، فعندما أثنيت على ابني؛ لأنه قام بوضع تلك الأطباق في خزانة الأطباق العالية، لم أكن أثني عليه لقيامه بالمهمة، فهو يعرف أنني أتوقع منه القيام بها، ولكنني أثنيت عليه من أجل جهوده الإضافية، وعزمه، ومثابرته التي أظهرها حين واجه إحدى العقبات.

كفَّ عن تقديم المكافآت

إذا أصبح ابنك مدمنًا على المكافآت التي تمنحه إياها نتيجة مساعدته لك في الأعمال المنزلية، فأمامك المزيد من العمل لإعادة توجيه أسلوب تفكيره. ويجب أن تنتهي تلك الأسئلة من قبيل "علامَ سأحصل إذا قمت بفعل ذلك؟" و"كم ستدفع لي مقابل هذا؟" ويحل محلها حافز جديد، وسيتطلب ذلك التحول مزيدًا من الوقت والصبر. أولًا، توقف عن استخدام المكافآت بوصفها إستراتيجيتك الافتراضية؛ فإذا كان لا بد أن تمنح مكافأة على الأعمال المنزلية، فحاول بقدر المستطاع تأجيل المكافأة حتى يكون هناك فاصل زمني بينها وبين المهمة الفعلية، فلا تبدو كأنها مكافأة على أداء تلك المهمة، أو اجعل المكافأة غير مادية. وتذكر دائمًا أن الأطفال الصغار يمكنهم الانتظار فقط فترة قصيرة من الوقت، بعكس الأطفال الأكبر عمرًا الذين يمكنهم الانتظار فترة أطول، والهدف هو إبعاد المهمة عن المكافأة وتحويل تركيزهم مرة أخرى نحو الحوافز الداخلية. وبينما تقلل المكافآت المادية، تحدث معه عن الشعور بالرضا الذي سينتج عن قيامه بمهمة على نحو جيد. واشرح له

سبب عدم تقديم المكافآت المادية له، وسبب أهمية المساهمة المنزلية. وكافئ ابنك بالثناء على جهوده وصبره المبذولين من أجل إتمام المهمة، حتى إن تطلب الأمر العديد من المحاولات، **وافعل ذلك على وجه الخصوص** إذا تطلب الأمر العديد من المحاولات.

فور إعادة تغيير أسلوب تفكيرك بشأن دور أطفالك في الواجبات المنزلية، وإبعاد المكافآت عن الساحة، إليك بعض الاقتراحات لتنفيذ خططك الكبرى.

الأعمال المنزلية للأطفال قبل سن المدرسة

السر في ترسيخ الشعور بالمسئولية والفخر لدى الأطفال، ومساعدتهم على فهم أن لديهم دورًا يقومون به داخل العائلة، هو أن تبدأ معهم منذ الصغر. وكذلك الأطفال في سن المشي – بأيديهم ضئيلة الحجم وانتباههم المحدود– يمكنهم اكتشاف قدرتهم وكفاءتهم في القيام بالمسئوليات المنزلية المشتركة. وتأكد عند التعامل مع الأطفال الأصغر سنًّا أن تجعل توقعاتك واضحة وملائمة لأعمارهم. وقد أبدت لي "كاتي هورلي" – معالجة نفسية للأطفال والمراهقين وأم لطفلين – وجهة نظرها بشأن كيفية دعم أطفالها الصغار وتقويتهم في إسهاماتهم المنزلية؛ حيث قالت:

ما زال طفلاي في سن صغيرة، وبالتأكيد تتغير المسئوليات، ومن ثم تتغير التصرفات تجاه تلك المسئوليات بمرور الوقت. وأعتقد أن الأمر الجيد الذي فعلته مع ابنيَّ هو أنني بدلًا من خلق دائرة مستمرة من الأعمال المنزلية المزعجة، وضعت توقعات ملائمة لعمريهما، وأخذت أعدلها بينما يتقدمان في العمر. وأخبرت "رايلي" بأنه يمكنها استخدام منظف الأخشاب المتميز، ولقد عزز تنظيفها كل الأثاث الخشبي في المنزل شعورها بالمسئولية. وتولَّى "ليام" التنظيف باستخدام قوة الممسحة المجففة فائقة الجودة؛ الأمر الذي منحه ثقةً زائدةً بنفسه. ونقوم بوصفنا عائلة بتحديد أيام ننظف فيها المنزل؛ حيث نتعاون جميعًا، ثم نقوم بفعل شيء ممتع بعد ذلك، ولكنني أحاول جعل الأمر لطيفًا، ولا أُدخل إليه توترًا لا مبرر له، فالعقلية التي نعتمدها هي أننا نحيا هنا معًا ويساعد بعضنا بعضًا. وربما لا يقومون بترتيب فراشهم بالطريقة التي أرغب فيها، ولكن الفراش يتم ترتيبه، ويشعرون بالفخر لشعورهم بالمسئولية؛ فالجميع فائزون، ويحققون النجاح. وأرى الكثير من معالم أسلوب التربية المسيطرة في تربيتي لابنيَّ. ولا بد لكل شيء من أن يكون مثاليًّا، وإلا ستُطبق العقوبات، وهذا أمر خاطئ، ويسفر فقط عن خلق سخط وقلق.

تعامل مع المشاركة العائلية بوصفها امتيازًا وشرفًا –أو بوصفها لعبة أيضًا – ويمكن للأطفال في مرحلة بداية المشي إنجاز أمور أكثر مما قد تتوقع. وإليك بعض الأمثلة على أنواع المهام التي بمقدور الأطفال في مرحلة بداية المشي تعلمها:

- وضع ملابسهم المتسخة في صندوق أو سلة الملابس المتسخة.
- ارتداء الملابس صعبة الارتداء بأنفسهم.
- طي قطع الملابس البسيطة أو الأغطية، على سبيل المثال أغطية الوسادات أو المناشف.
- وضع ملابسهم في الأدراج.
- اتباع التوجيهات المكونة من خطوتين أو ثلاث خطوات من أجل إتمام المهام (أحضر فرشاة أسنانك، وضع معجون الأسنان عليها، ونظف أسنانك).
- إلقاء القمامة في المكان المخصص لها.
- وضع الألعاب في الصناديق المخصصة لها حين الانتهاء من اللعب بها.
- التقاط أطباقهم، ما دمت قمت بترتيب أكوابهم وصحونهم في رف سفلي.
- إطعام الكلب أو القطة.

ابدأ بتعليم أبنائك حين ينتقلون من مرحلة بداية المشي إلى مرحلة سن ما قبل المدرسة، كيفية القيام بالواجبات الأكثر تعقيدًا. ويفضل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثالثة والخامسة القيام بالعد والتصنيف؛ لذا امنحهم مهام في المنزل تشجعهم على ممارسة تلك المهارات في أثناء ترسيخ شعور المسئولية في داخلهم. واطلب منهم وضع خمسة كتب على ذلك الرف، أو اطلب منهم في أثناء وجودكم في المتجر إحصاء خمس برتقالات ووضعها داخل حقيبة؛ فالأطفال في هذا العمر قادرون تمامًا على:

- ترتيب فراشهم.
- ترتيب غرفهم.

- ترتيب العناصر وتصنيفها، ومثال على ذلك وضع الأواني في الأدراج، ووضع الجوارب مع الغسيل.
- ري النباتات.
- تنظيف أماكنهم على الطاولة.
- تعلم عدم الفزع أو البكاء عند سكب أي شيء، بل إحضار منشفة أو إسفنجة وتنظيفها بأنفسهم.
- تحضير وجباتهم الخفيفة.

وبإمكان الأطفال في عمر الخامسة فهم عواقب أفعالهم وتقبلها (وتكاسلهم عن القيام بها)، ولكن فقط في حالة تعرضهم لتلك العواقب. فإذا ما نسي طفلك خبز البايجل الخاص به، وتركه على طاولة القهوة وتناوله الكلب، فلا تقدم إليه خبزًا جديدًا، وسيتذكر في المرة المقبلة ألا يتركه في مكان يستطيع الكلب الوصول إليه بسهولة. وإذا نسي وضع قرص الـ دي في دي المفضل لديه داخل حافظته بعد أن شاهده، ففي المرة المقبلة التي يود فيها أن يشاهده، فلا تساعده على البحث عنه في كومة أقراص الـ دي في دي غير الموضوعة في الحافظة، وذكِّره لماذا لم يعثر عليه. وإذا رفضت ابنتك وضع ملابسها في صندوق الملابس المتسخة، فأخبرها بأن سترتها الوردية المفضلة لديها لن تكون جاهزة لارتدائها عند ذهابها إلى روضة الأطفال. وإذا تركت دميتها المفضلة في المدرسة، فلن يكون هذا الصديق على وجه الخصوص إلى جانبها ليلًا لتعانقه وقت النوم عند انطفاء الأنوار.

وتلك المسئوليات والدروس المستفادة لا تتعلق بأقراص الـ دي في دي أو الدمى، بل تتعلق بتعلم كيفية تحمل المسئولية، وإظهار روح المبادرة، واتباع الخطة. وتتعلق بتعليمهم كيف يكونون هذا النوع من الأشخاص ممن لديهم القدرة على الوفاء بالالتزامات التي تضعها الحياة أمامهم. وإذا أنقذت طفلك باستمرار، فإنه سيتعلم الكثير من تلك الأمور، نتيجة ذلك أيضًا. وسيتعلم أن الاكتفاء الذاتي ليس ضروريًّا؛ لأنك دائمًا موجود لتصحيح أخطائه، وسيتعلم أنه ليست هناك حاجة إلى ابتكار أي نوع من الأنظمة أو الخطط لتذكيره بمسئولياته في المستقبل.

عادات الأطفال الأكثر فاعلية في سن المدرسة

وبمجرد دخول الأطفال في مرحلة روضة الأطفال، يصبحون قادرين على التغلب على المهام الأكثر تعقيدًا، ويبدأون تطوير عاداتهم الثابتة من أجل إنجاز الأعمال المنزلية؛ فإرساء العادات خلال فترة بداية المشي وفترة ما قبل سن المدرسة يمكن أن يكون أمرًا صعبًا للغاية ويشكل تحديًا، ولكن فور بلوغ الأطفال عمر روضة الأطفال، يكون الوقت قد حان لإرساء بعض العادات. فاجعل مهام ابنك واقعًا يحدث بشكل يومي، وليس توقعًا يحدث بين الفينة والأخرى؛ فالعادات محفزات قوية، ولا يمكن أن تصبح المهام أمرًا معتادًا إلا إذا كانت منتظمة ومتوقعة، ومعتادة بالطبع. وبينما تتطلب العادات ثلاثة عناصر: مثيرًا، وعادةً، ومكافأةً؛ لكي تتحول لحظة "المساعدة" العرضية إلى عادة، يجب أن تكون منتظمة بشكل كافٍ لتصبح متأصلة بوصفها نمطًا متبعًا.

ولنتناول مسألة ملء غسالة الأطباق كمثال؛ فالمثير بالنسبة إلى ابنك هو تنظيف الطبق المتسخ الذي أمامه بعد انتهائه من تناول الوجبة. والعادة هي تنظيف ذلك الطبق، والمكافأة هي الشعور بالإنجاز واكتساب الكفاءة اللذين يعقبان إتمامه مهمته. ومرة أخرى، هذا لا يعني تقديم مكافأة مادية مثل الأموال أو الوعد بشراء لعبة أو حلوى، فالمكافأة الدائمة هي الشعور بأن المهمة تمت بنجاح. وإليك أفضل أمر بشأن العادات: ففور تشكلها، وقيام ابنك بإتمامها بوصفها أمرًا طبيعيًّا ومعتادًا، وليس بوصفها نتيجة إلحاحك عليه للقيام بها، سيصبح منزلك مكانًا يسوده المزيد من السلام والوئام.

وكما ذكرت سابقًا، فإن هناك بعض الاستثناءات لقاعدة عدم تقديم المكافآت؛ إذ يمكن أن تكون المكافآت وسيلة ممتعة وفعالة لإعطاء دفعة لعملية التحفيز حينما تقل. وأستمد مثالي المفضل من كتاب *All – of – a – Kind Family*، للمؤلفة "سيدني تايلور"، إذ يروي الكتاب قصة عائلة تنتمي إلى فكر معين، تعيش في حي لاور إيست سايد في منهاتن في بداية التسعينات؛ حيث تتولى الفتيات أداء المهام المنزلية بالتناوب، وعندما سئمت الفتيات الخمس من مهمة إزالة الغبار الكريهة عن غرفة المعيشة، خبأت أمهن نقودهن في أماكن يصعب عليهن العثور عليها فيها، أماكن لن يكتشفنها إلا إذا قمن بإزالة الغبار. وفور عودتهن إلى القيام بالمهمة بحماس جديد، وتبدل التذمر لدى الفتيات إلى طلب القيام بالمهمة، استخدمت أمهن تلك الحيلة بشكل متقطع، بحيث تكون كافيةً لإثارة التحفيز المتجدد، ولكنها لم تقم باستخدامها بشكل متكرر، حتى لا تصبح مكافأة متوقعة. وذات مرة عند تطبيقي الحيل التي تعلمتها من هذا الكتاب في حياتي، حيث خبأت لعبة مفقودة كان يحبها ابني داخل كومة من أشياء وددت أن يرتبها، وقلت له إنه ربما يجد ضالته، إذا قام بتنظيف الغرفة.

واجتاحتني رغبة قوية حينها في أن أصيح وأقول إن الأم الخارقة عثرت على اللعبة، وأتمتع بوهج الانتصار، ولكن تلك الإستراتيجية لن تسفر عن غرفة نظيفة، أو عن السعادة التي شعر بها ابني حين عثر على اللعبة بنفسه.

يجب أن تزداد قدرات الأطفال أكثر وأكثر بين عمر السادسة والحادية عشرة؛ حيث إنهم يدركون مفهوم السبب والنتيجة، ويمكنهم توقع أنه إذا لم توضع الملابس في سلة الغسيل، فلن يتم تنظيفها. وإذا لم يتم إطعام الكلب، فسيشعر بالجوع، فحاول الاستفادة من ذلك الإدراك، وساعد الأطفال على رؤية كيف أن التفاعل في المنزل يمكنه أن يؤدي إلى نتائج إيجابية. وبوسع الأطفال تحمل مسئولية جميع أنواع المهام المنزلية، ومنها:

- تقشير الخضراوات وتقطيعها (علمهم استخدام السكين بأمان منذ سن مبكرة، واستخدم دائمًا سكينًا حادة، حيث إنها أكثر أمنًا من السكين الثلمة).
- الغسل – بجميع مراحله، بداية من تصنيف الملابس إلى وضعها في خزانة الملابس. وعلق قائمة على الغسالة والمجفف بعد إطلاع كل منهم بشكل فردي على دوره من أجل تذكيرهم بكل الخطوات. وقد أشارت إحدى الأمهات إلى أن هناك أقلامًا يتم محو خطها بسهولة يتم استخدامها للكتابة على جانب الغسالات والمجففات؛ لذلك كتبت التعليمات على الأجهزة نفسها ببساطة.
- استبدال ورق المرحاض عند الحاجة، واترك الطفل يقم بتركيبه كيفما يشاء.
- ترتيب الطاولة وتنظيفها.
- العمل خارج المنزل، مثل تجميع أوراق الأشجار المتساقطة، وإزالة الأعشاب الضارة، ونقل الأخشاب من الغابات إلى المنزل.
- أعمال كنس الأرضيات ومسحها.
- المساعدة على التخطيط وتجهيز قوائم البقالة ووجبات الطعام.

المزيد من المسئولية مع سن المراهقة

لا يمكنني التفكير في إلزام الأطفال من سن الثانية عشرة فأكثر بالعديد من الواجبات المنزلية التي تفوق قدراتهم؛ فالمراهقون الأكثر كفاءة، الذين أخاطبهم في هذا الكتاب، مسئولون عن:

- الأمور المنزلية، ومنها طلاء الجدران، وتغيير المصابيح، والصيانة البسيطة للسيارة.
- شراء البقالة (يقدم الآباء قوائم محددة للغاية، نظرًا إلى تحلي بعض المراهقين بعادات غذائية غريبة).
- التخطيط والإعداد لوجبات أكثر تعقيدًا.
- الاعتناء بالأشقاء الأصغر منهم، وتعليمهم دورهم في المسئوليات المنزلية.
- اصطحاب الكلب إلى الطبيب البيطري لتلقي جرعات التطعيم.
- تنظيف الثلاجة.
- تقطيع الأخشاب والحطب.
- إزالة أوراق الأشجار المتساقطة في مجاري المياه.

عندما سألت "جينيفر هارتستيين"، الطبيبة النفسية للمراهقين، عن الدور الذي يشكله القيام بالمهام المنزلية في حياة المراهق، أشارت إلى أنه حين تكون المسئوليات مفهومة باعتبارها جزءًا أساسيًّا ومحوريًّا في حياة العائلة، فإنها تقدم فرصًا إيجابية وفعالة للمراهقين لاكتساب الكفاءة التي سيحتاجون إليها عندما ينتقلون إلى مرحلة البلوغ.

إن تشجيع ابنك المراهق على أن يكون كفؤًا وعضوًا مشاركًا في المنزل يمهد له الطريق ليكون ناجحًا في حياته، فإذا علم المراهق أنه ليس عليه "أن يعمل" من أجل الحصول على الأشياء، فإن هذا الأمر يُترجم لديه إلى عدم قدرته على "أن يعمل" في العالم الحقيقي؛ فاضطرار المراهقين ليكونوا مسئولين عن الأمور في المنزل (مثل الأعمال المنزلية، وغسل الملابس، واصطحاب الكلب في جولة، إلخ) يساعد على فهم ما يعنيه الاهتمام بالأشياء المهمة في حياتهم. وفي نهاية المطاف، سيؤدي ذلك الأمر إلى تمتع المراهقين بتقديرهم ذواتهم بشكل أفضل، وللشعور بالمزيد من الفاعلية، وأن يكونوا أكثر إنتاجية، وأن يكونوا محفزين بشكل أكبر للاستمرار في حياتهم كأشخاص بالغين.

الوقت ليس مبكرًا للغاية –أو متأخرًا للغاية– لتعليم أبنائك كيفية تقديم الإسهامات وحل المشكلات بأنفسهم؛ فالأطفال يريدون القيام بدور فعال في نجاح عائلتهم، وعلى الرغم من كل الاعتراضات على ذلك، وإبداء العكس. وبينما حرم الآباء أبناءهم من ذلك الدور على مراحل وبطريقة منظمة، فإن من حق هؤلاء الأطفال أن نمنحهم الصبر والوقت اللذين يتطلبهما الأمر لاستعادة الشعور بالهدف والمسئولية مرة أخرى. وستشكل بالتأكيد استعادة هذا النظام تحديًا، ولكنها تستحق ذلك، على المديين القريب والبعيد على حد سواء، فمساهمة ابنك في الأعمال المنزلية اليومية، مثل الحفاظ على المنزل وإدارة شئون العائلة، لن تكون بمنزلة هدية إلى العائلة في الوقت الحالي فقط، ولكن تزيد من كفاءة أطفالك وشعورهم بالمسئولية ما يجعلهم ينفصلون عن رفاقهم المدللين حين يلتحقون بالجامعة، أو يتسلمون الوظيفة الأولى لهم. فبينما يقف أقرانهم عاجزين منتظرين أن يتم إملاء الأوامر عليهم بشأن ما يجب عليهم القيام به وكيفية إنجازه، يعرف أطفالك كيفية تولي المسئولية والمضي قدمًا، مسلحين بالكفاءة، والتجربة، والمهارات التي علمتهم إياها في منزلك؛ حيث أتيحت لهم الفرص للفشل، والخطأ، وتصحيح أخطائهم، ولن ينزعجوا بشأن العثرات التي تحدث هنا وهناك، مثل باقي الشباب في مقتبل العمر. وستقص مرارًا وتكرارًا في احتفالات الأعياد خلال سنوات قصة ذلك اليوم الذي خرج فيه الصابون من الغسالة؛ لأن ابنك وضع صابون غسيل الأطباق بدلًا من مسحوق الغسيل، وستروي قصة المساء الذي تعاونتم فيه جميعًا لحل بعض الأوضاع الطارئة "المثيرة للضحك" أحيانًا. ومن الأفضل أن تدرك الآن أن السعي إلى تحقيق هذا الوضع المتكامل المتقن ليس هو ما سيحافظ على شمل العائلة؛ حيث إن ذلك الرابط الذي نشأ في أثناء تشارك العائلة في التصدي لما يواجهها من صعوبات هو ما يدوم على المدى الطويل.

٦: الأصدقاء: شركاء الفشل وشركاء تكوين الشخصية

لاحظنا الأب وهو يجري ذهابًا وإيابًا في ساحة لعب الأطفال، حيث يلعب ابنه الصغير، والملعب الرملي حيث تلعب ابنته الكبرى، وهو يحاول أن يساعدهما، ولكن مراقبته وهو يجهد نفسه إلى درجة أن تفوح منه رائحة العرق كانت أمرًا مرهقًا، وإن كانت من على بعد. كنت أشاهده أنا وصديقتي، ونحن نجلس على مقاعدنا في الظل، ونأكل بمنتهى الهدوء المقرمشات بطعم الجبن الخاصة بابنينا، مندهشتين من فرط رعايته لابنيه.

كانت ابنته، وهي فتاة في السادسة تقريبًا من عمرها، تلعب في الملعب الرملي مع ابنة صديقتي وفتاتين أخريين. كن يلعبن بشكل جيد معًا، ولكن كان هناك تنافس طبيعي على الغلبة بينهن، وتسبب ذلك في بعض الأحيان في الصياح؛ حيث كن يتشاجرن على الأدوار في تلك اللعبة الجماعية. أما ابنه الآخر وهو طفل في مرحلة المشي، فكان يختبر حدود قوته ومرونته في سعادة، حيث كان يحاول بصورة متكررة اللحاق بطفل أكبر منه يتسلق الزحلوقة.

حظى كلا طفليه بوقت ممتع في ذلك الوقت الذي سمح لهما فيه بأن يلعبا بمفرديهما، لكن الأب كان يشعر بالقلق الشديد عليهما. ولم يعد يستطيع متابعة تفاصيل لعب طفليه الاثنين في الوقت نفسه؛ لذلك كان يجري ذهابًا وإيابًا بين الاثنين، حاملًا طفله الصغير تحت ذراعه، وهو يصرخ معترضًا في بعض الأحيان. وكان في كل مرة يعلو فيها صوت ابنته إلى حد الصراخ، أو تصرخ فيها واحدة من الفتيات اللائي يلعبن معها، يهرع إليها لحل مشكلاتهن، أو لتهدئة الفتاة، أو رشوتها ووعدها بأنه سيجلب لها وجبة خفيفة إذا "لعبت بشكل لطيف". وعندما تحدثت إحدى الفتيات إلى ابنته بطريقة قاسية، جالت عيناه وسط الحشود، بحثًا عن والدي تلك الفتاة. والتزمت صديقتي الصمت، وكانت صائبةً في ذلك، وأشاحت بنظرها بعيدًا عنه حين نظر تجاهها. وفي غضون ذلك، اغتنم الصغير فرصة عدم انتباه أبيه المؤقت له، وركض مرة أخرى إلى الزحلوقة، ما أغضب الأب للغاية، لدرجة أنه ترك متابعة ابنته، وعاد مرة أخرى مسرعًا إلى ساحة لعب الأطفال لمتابعة صغيره.

ويمكنني أن أتصور فقط كم كانت فترة "اللعب" تلك متعبة ومرهقة بالنسبة إلى ذلك الأب. أما بالنسبة إلى الطفلين، فلا أتصور أنهما استمتعا بوقتهما بسبب تدخلاته. بدوا كأنهما حظيا بالمرح بصورة متقطعة، ولكن فور انخراطهما في اللعب، وخروج الأمور عن السيطرة، انتهى اللعب بسبب الضجيج والمشاجرة. وما لم يدركه ذلك الأب المرهق، أنه بينما حاول جاهدًا السيطرة على كل خطوة يخطوها طفلاه، كان يفوت عليهما الحصول على الغرض من وقت لعبهما، وهو المتعة.

تبدأ حياة أبنائنا الاجتماعية من مرحلة الرضاعة، حين يحدقون إلى وجوهنا، ويقلدون ابتسامتنا، أو يعبرون لنا من خلال نحيبهم عن عدم راحتهم بسبب الحفاضة المبللة. وفور انتقال أولئك الصغار من معية آبائهم والانخراط في علاقات مع الأطفال الآخرين، يبدأون مرحلة تعليمية تستمر مدى الحياة عبر قواعد السلوك الاجتماعي ولغة الإشارات غير الملحوظة التي يستخدمها البشر ليتواصل بعضهم مع بعض. وسيحدد إتقانهم لغة التفاعل الاجتماعي البشري نجاح كل علاقاتهم المستقبلية، والفشل في تطوير ذلك الإتقان يمثل عقبة كبيرة في الحياة.

ويتم اكتساب جزء كبير من أساس هذا الإتقان عن طريق السماح للأطفال باللعب مع الأطفال الآخرين. تناقش الطبيبة النفسية "جوديث هاريس" في كتابها *The Nurture Assumption: Why Children Turn out the Way They Do* أن الآباء ليس لهم تأثير كبير في تطوير طبيعة أبنائهم بشكل أكبر مما نود تصديقه، وأن أولئك الأقران – وليس الآباء – هم من يشكلون قدرًا كبيرًا من سلوكيات أبنائنا وتجاربهم في الحياة، فأقران أبنائنا هم من يعلمونهم كيف يتفاعلون ويتباحثون مع الآخرين، ويبدأ هذا التعلم داخل الملعب الرملي؛ حيث يتعلم الأطفال اللعب بطريقة متعاونة، والاستجابة إلى حاجات الآخرين، وصنع عوالمهم الخيالية، فاللعب يعد جزءًا حيويًّا من التطور البشري، لعدة أسباب: الألعاب اللوحية تعلم المنطق والتخطيط، ويتعلمون داخل الملعب الرملي تشييد القلاع المكانية مما يعزز مهارات البناء، ومباريات كرة السلة العشوائية تعزز روح الفريق، ولكن أهم الدروس المستفادة من أوقات الترفيه واللعب ومقابلة الأصدقاء هو التواصل بين الأشخاص، ويتم تعلم تلك الدروس بشكل أفضل حين لا تتم مقاطعة هذه الأنشطة، وتكون خالية من تأثير البالغين ومكائدهم لإيقافها. يجب أن يمنح البالغون الأطفال المساحة والحرية للتعلم وتجاوز الأوقات الاجتماعية الصعبة بأنفسهم؛ لأن تلك الشجارات، والمشادات، والمعاملات الصامتة، وقطع العلاقات هي –على الرغم من تسببها في الدموع والحسرة– فرص للتطور والنمو لا تقدر بثمن؛

فالصراعات الاجتماعية في مرحلة الطفولة جزء من ثقافتنا بشأن العلاقات الإنسانية، والفشل في التعامل أيضًا تنتج عنه دروس مستفادة، فالشجارات تعد فرصًا يجب تقديرها، وليست حالات طارئة ينبغي التصدي لها، فذلك الأب الذي كان موجودًا في ملعب الأطفال، وثب بسرعة للتدخل في الأمر عند ظهور إشارة أولى للخلاف، وبذلك حال دون الاستفادة من تلك الدروس المحتملة. وقد اعتاد الأطفال قديمًا اللعب بمفردهم –بعيدًا عن أعين آبائهم– وكان مسموحًا لهم التعامل مع تلك التفاعلات الاجتماعية دون تدخل أبوي، ولكن لم يعد ذلك متاحًا بعد الآن.

فالطفلة المزعجة التي تقذف الرمال في ملعب الأطفال، والتي أُبعدت عن الشجار، لن تتعلم أبدًا كيفية التعامل مع غضبها، فما بالك بكيفية التعامل مع غضب الطفلة الأخرى التي قذفت الرمال عليها. والأسوأ من هذا أنها لن ترى الغضب والانزعاج اللذين تسببت فيهما، فعليها أن تقدر تمامًا أنها فشلت في التفاعل الاجتماعي وتقبل تلك المشاعر السيئة، والمربكة؛ حيث إن الفتاة التي تعرضت للهجوم بقذف الرمال في وجهها لم تتقبل هذا الأمر؛ ما يوضح السلوكيات المقبولة للاعب هذه اللعبة. وفي نهاية الأمر، سينتهي الصراع، وعلى الأرجح ستتصالح الفتاتان وتنهيان الخلاف، بطريقة أكثر حكمة؛ ما يؤدي إلى التقارب بينهما. وقذف الرمال في الوجه هو بالطبع فشل في التواصل بشكل فعال، ولكن عند تدخل البالغين، فإن هذا يمنع الدروس المستفادة التي يوضحها الأقران من الاستقرار في الأذهان، والتأثير في الطفل الذي فشل في هذا التفاعل الاجتماعي؛ فالأطفال ينمُّون تعاطفهم من خلال رؤية ردود أفعال الآخرين وسماعها، ولمس مشاعرهم، وعندما لا نسمح لأبنائنا بتجربة تلك الأوقات الصعبة بشكل كامل، فإننا نحرمهم من رؤية عواقب أفعالهم وتأثيرها في الآخرين. إن عدم تعلم درس واحد من الدروس التي يمكن تعلمها في ملعب الرمل ليس بالأمر الجلل بالطبع، ولكن حين يكبر ذلك الطفل في رعاية أبويه اللذين يستمران في إنقاذه من الشجارات التي تحدث في الملعب، وسوء التفاهم الذي يحدث في مرحلة ما قبل المراهقة، والصداقات المتقلبة التي لا مفر منها في مرحلة المراهقة، سيصبح ذلك الطفل شخصًا بالغًا ليست لديه أدنى فكرة عن طريقة التعامل مع غيره من البالغين وتهدئتهم، والتفاهم معهم، والتصدي لهم.

وتوضح الأمر أكثر "آندريا نايير" – معالجة نفسية ومدربة في مجال التربية– في بريد إلكتروني؛ حيث كتبت تقول:

تتمثل النتائج السيئة المترتبة على الحماية المفرطة في أن الطفل لا يطور مهاراته للدفاع عن نفسه، والتعبير عن رأيه بحرية، أو الخروج من الأزمة. إذا تعلم الابن من أبويه أن هناك شخصًا بالغًا سيتدخل ويدافع عنه أو ينقذه من موقف صعب، أيًّا كان نوع هذا الموقف، فإن ذلك الطفل سيستمر في توقع حدوث ذلك ولن يبحث عن حلول لمساعدة نفسه. ولن يتعلم ذلك الطفل أيضًا مهارات التواصل الثمينة الضرورية في أثناء احتدام المشاجرة.

وإذا لم تكن الفوائد النفسية والاجتماعية الناتجة عن عدم التدخل لإنقاذ الأطفال من الصراع كافيةً لإقناعك، فما قولك في هذا: إن القدرة على التمتع باللعب بحرية دون انقطاع ودون قيود هي أيضًا مؤشر على النجاح الدراسي.

وتشير المؤلفة "هارا ايستروف مارانو" في كتابها *A Nation of Wimps* إلى أن التفاعلات الاجتماعية التي تغرس في الأطفال في أثناء اللعب بحرية "مهمة للغاية حتى إن السلوك الاجتماعي في فترة الفسحة في روضة الأطفال ينبئ بتحقيق إنجاز في نهاية الصف الأول، ويقاس ذلك من خلال أنشطة الطلاب في الفصل الدراسي، والاختبارات الموحدة في المعلومات العامة، والقدرة على القراءة في سن مبكرة، وإدراك المفاهيم الرياضية. ويفوق اللعب مع الأقران اختبارات التحصيل الموحدة، في القدرة على التنبؤ بالنجاح الأكاديمي بنسبة ٤٠٪؛ فنحن نستهين بقدرة اللعب الحر والتفاعلات الاجتماعية خلال نمو أبنائنا الاجتماعي والنفسي. إنه لخطأ جسيم أن نعتقد أن اللعب وقت مهدر ولا تسفر عنه أية نتائج مفيدة"١. وللأسف، تراقب العديد من المدارس الفسحة المدرسية عن كثب، وتتحكم في تفاعلات الأطفال الاجتماعية فيها لدرجة أن هؤلاء الأطفال لا يملكون الفرصة أو الحرية في أثناء الفسحة المدرسية لحدوث الشجارات المعتادة، أو الشجارات التي تحدث في وقت الغداء، وتنتهي نهايتها المنطقية (وأحيانًا غير المنطقية)؛ فهذا التوجه الخاطئ – الذي لا يتسم ببعد النظر، ويمنع الأطفال من اللعب الحر غير الخاضع للمراقبة– يعني أن الأطفال لديهم فرص أقل لتطبيق الدروس التي يتعلمونها في المدرسة، ويجدون أنفسهم بلا منفذ للتخلص من الطاقة البدنية والعاطفية التي تتراكم لديهم على مدار اليوم. ولاحقًا، حين يعود أولئك الأطفال المحرومون من الفسحة المدرسية من المدرسة، لا يتركون خارج المنزل ليلعبوا مع أقرانهم حتى موعد العشاء لتعلم الدفاع عن أنفسهم، بل يتنقلون من الأنشطة المنظمة إلى الدروس المنظمة، ويطلب منهم إسكات رغبتهم الشديدة في اللعب غير المنظم ومناوشة أشقائهم.

وقد استمعت مجموعة من المدارس في نيوزيلندا إلى نصيحة الباحثين، ونفذت الأمر؛ حيث وافقت ثماني مدارس ابتدائية – ضمن دراسة أجراها بعض الباحثين في جامعة أوكلاند للتكنولوجيا – على التخلص من قواعد الفسحة المدرسية، وتخفيف الإشراف، وإيقاف التدخل في وقت لعب الطلاب. ومن ثم، لاحظت تلك المدارس انخفاضًا في المضايقات، ومخالفات أقل للقواعد، وانخفاض الحاجة إلى إشراف البالغين، وتحسنًا في انتباه وسلوك الطلاب في أثناء الصف المدرسي، ويشرح "جرانت سكوفيلد" –أحد الباحثين في هذه الدراسة– أن التراجع عن إشراف البالغين والتدخلات في أثناء اللعب الحر يسمح للأطفال بـ"أن يفكروا بأنفسهم ويتعاملوا مع التفاعلات الاجتماعية". فعندما نتدخل في حياة أطفالنا الاجتماعية، نحرمهم بذلك من فرصة أخرى لتعلم كيفية تصنيف المشاعر، والقناعات، والحدود الشخصية. وتتغير الأهداف والدروس المستفادة من الحياة الاجتماعية للأطفال بمرور الوقت، ولكن من المهم – في أثناء انتقالهم من مرحلة الطفولة المبكرة إلى المراهقة– أن يروا علاقات الصداقة على حقيقتها، وهي: أنها فرص بالنسبة إليهم وإلينا؛ فهي فرصة بالنسبة إليهم لتطوير شخصياتهم، وهوياتهم، واختياراتهم، أما بالنسبة إلينا فهي فرصة للحصول على منظور وتغذية راجعة عن الشخصية التي سيتسم بها أطفالنا.

أهمية مواعيد اللعب

يقوم الآباء عادة في مرحلة الطفولة المبكرة بإبعاد الأطفال عن أصدقائهم من عمرهم نفسه أو المجاورين لهم. وللأسف، يحبذ الآباء بصورة متزايدة مرافقتهم الأجهزة الإلكترونية، التي يصطحبونها دائمًا، بدلًا من مرافقتهم أقرانهم من البشر، ولكنني أرجوك أن تبعدهم عن الأجهزة اللوحية، وألعاب الفيديو، والتلفاز، وقم بالترتيبات اللازمة لتحديد مواعيد لعب مع مجموعة متنوعة من الرفاق الأحياء الحقيقيين؛ حيث إن مواعيد اللعب لن تمنحك الراحة للقليل من الوقت والاستمتاع بالوقت الاجتماعي الذي ستمضيه مع الأب الآخر فقط، بل ستمنح ابنك أيضًا الفرصة لاكتشاف ما يعجبه وما لا يعجبه في رفيقه؛ فامنحه فرصة التعلم بشأن علاقات الصداقة من خلال منحه المساحة اللازمة، ولا تتحكم في تحديد مواعيد لعبه مع أقرانه، وليس عليك سوى توفير بيئة آمنة، وراقب الأمر من بعيد؛ لأن الأطفال لا يرغبون في تدخلك أو لا يحتاجون إليه، إلا إذا كان هناك ضرر على وشك الحدوث، حتى إن الأطفال الذين لم يتعلموا التحدث بعد يعربون عن رغباتهم في اللعب إلى رفاقهم – وعندما يكبرون ويتعلمون التعبير عن رغباتهم بالكلمات – سيبدأون التعبير عن آرائهم،

وما يحبونه، وما يبغضونه. ويمكنك أن توجه هؤلاء الصغار المتشاجرين لـ"استخدام لغة الحوار"، ولكن عليك أن تدرك أنهم ربما لا يملكون الكلمات لاستخدامها؛ فهم لا يزالون يطورون مفرداتهم التي يحتاجون إليها للتعبير عن شعورهم بالإحباط، وإلى أن يتعلموا كيف يتحدثون، ربما يستخدمون أيديهم، وأسنانهم، وأرجلهم للتعبير عن استيائهم.

الشجار بين الأشقاء وكيفية تسوية الأمر

تطبق أيضًا قواعد تسوية الخلافات على التفاعلات الاجتماعية بين الأشقاء، ولكن قد يصعب تذكر متى يحتدم الشجار ويعلو الصراخ؛ فقد اعتدت التدخل قديمًا لإيقاف الضجيج، وعدم الاهتمام بموضوع الجدال عند نفاد صبري. فالأشقاء هم أول أصدقاء، وأعداء، ومعلمين في حياة أبنائنا، ومن المهم للغاية أن ندعهم يعالجون مشكلات بعضهم مع بعض في الوقت الذي يرغبون فيه ووفقًا لشروطهم. وقد سألت "جولي كول" – كاتبة، وأحد مؤسسي Mabel’s Labels لتصنيع الملصقات، وأم لستة أطفال – عن كيفية التعامل مع الفوضى والصراع، فأجابتني قائلة:

هناك الكثير من المتعة، والكثير من الحب، والكثير من الضحك، في العيش مع ستة أطفال متقاربين في العمر. هناك أيضًا الكثير من المشاحنات والتدخلات في شئون الآخرين. في واقع الأمر، كنت أدعوهم أحيانًا بالـ"متشاحنين". وقد عرفت في مرحلة مبكرة أن هناك طرقًا أفضل لقضاء وقتي بدلًا من إقحام نفسي في كل خلاف ينشأ بينهم؛ فبدلًا من وضعهم في غرفة عازلة للصوت، أرسيت قواعد "الشجار النزيه" في مرحلة مبكرة، وبذلك بدوا قادرين على تسوية معظم الأمور بأنفسهم. يعني "الشجار النزيه" بالنسبة إليَّ التشاجر بشأن الأمور المطروحة فقط –وليس تذكر شيء من الماضي لاستغلاله ضد شقيقه قط – وعدم تبادل الشتائم. وهذا يعني أنهم سيعودون بعد الجدال إلى اللعب بعد خمس دقائق دون أن يتذكروا أنهم مروا بخلاف، فـ"الشجار النزيه" يعني أن بإمكاني التراجع وإفساح المجال أمامهم لحل مشكلاتهم؛ ما يقيني من الوصول إلى مرحلة الغضب الشديد، أو أن أكون وسيطةً طوال الوقت.

التشابه بين رفقاء اللعب وقواعد ساحة اللعب

يميل طلاب المدارس الابتدائية إلى اختيار أصدقائهم على أساس الاهتمامات المشتركة بينهم، وليس على أساس القرب المكاني، ويصبح لعبهم أكثر تعقيدًا. وعند زيادة الاستقلال وتحسن المهارات،

يخترعون ألعابًا، ويخلقون مغامرات متقنة بقواعد معقدة لعوالمهم المتخيلة التي يغزونها. وهذا النوع من اللعب هو عملية تعلم مهمة؛ حيث يعد بداية توجههم نحو الاستقلال والاعتماد على النفس. ولا عجب في كون الأبطال الخارقين مثلهم الأعلى؛ حيث يحاكي الأطفال السلطة، والقوة، وحس العدالة التي يمثلها هؤلاء الأبطال بالنسبة إليهم؛ لكي يشعروا بالقوة في حياتهم. لقد اعتادوا طاعة قواعدنا وتنفيذها –ولكن حين ابتعدوا عن مجال تأثير آبائهم– اكتشفوا قوة الاعتماد على الذات والتنظيم الذاتي. واكتشفوا قوتهم وقدرتهم على خلق ممالك وتدميرها كلها، والتفاوض بشأن صراعات السلطة مع الأطفال الآخرين الذين يشاركونهم في اللعب. وعندما يزداد تأثير أصدقائهم فيهم، يكون قد حان الوقت المناسب للحديث مع ابنك بشأن ضغط الأقران، وما يمكن أن يقوم بفعله إذا وضع في موقف جعله يشعر بعدم الراحة. فكر في المستقبل بشأن المرحلتين الإعدادية والثانوية، واجعله يفكر بشأن الأوقات التي يجب عليه الاعتماد فيها على التوجيهات التي تمليها أخلاقه عليه، وفي آرائه من أجل التعامل مع قرينه الذي يضغط عليه للعب لعبًا خطيرًا.

وفي أثناء حديثي مع بعض الأمهات بشأن كيفية تعاملهن مع علاقات الصداقة الخاصة بأبنائهن، أطلعتني واحدة منهن على أنها لا تشعر بالراحة مؤخرًا لقدرة ابنتها التي في الصف الثالث الابتدائي على انتقاء واختيار أصدقائها بنفسها ممن قد يؤثرون فيها تأثيرًا إيجابيًّا أو سلبيًّا، على الرغم من إدراكها أيضًا مدى تعلم ابنتها من تلك الصداقات.

تتطور سريعًا علاقة صداقة بين ابنتي وفتاة أخرى في صفها، وهي ليست طفلة "سيئة" – بمعنى الكلمة – ولكنني أنزعج مما أسمعه بشأنها؛ فهي كاذبة، وأحيانًا ما تتشبه بالفتيان، كما أنها وقحة، ولكنها تعيش حياة أسرية مزرية؛ ما يشعرني بالأسى حيالها. ولا أرغب في عدم تشجيع تلك الصداقة بالكامل؛ لأنني أشعر بأن بعض الأطفال يمكنهم "تغيير أوضاعهم". ويبدو أيضًا أن تلك الصداقة تعلِّم ابنتي التعاطف والتراحم؛ حيث إنها تعرف أن الطفلة فقيرة جدًّا، وكانت ترجوني أن أبتاع أشياء لتلك الفتاة الصغيرة بما أنهما أصبحتا صديقتين؛ أشياء اعتادت ابنتي الاستهانة بوجودها، والآن أدركت أن صديقتها لا تمتلكها.

لم يولد الأطفال وهم يعرفون كيفية الدفاع عن اختياراتهم وعن صداقاتهم؛ حيث إنهم يتعلمون هذه المهارة بعد سنوات من المحاولة والفشل لإدارة شئون حياتهم وعلاقاتهم؛ فعندما يتعلم طفل أن يقول لا لطفل أكبر منه يطلب منه لعب دور الطبيب، فإنه بذلك يستعد نفسيًّا لتكون لديه يومًا ما الثقة

الكافية للتصدي للمتنمرين، أو الاعتراض على أن يُعامل بشكل غير لائق، ويطلب أن يعامل بنزاهة من أي شخص بالغ.

وعلى الآباء إفساح المجال والسماح للمشاجرات الصغيرة التي تحدث في الملعب بأن تأخذ مجراها؛ لأن تلك الصراعات تمنح الأطفال فرصة لتعلم كيفية تولي الأمور بأنفسهم وسط ثقافة التنمر التي تزداد قوة. وعلينا أن نتذكر أنه إذا دفع "جوني" طفلًا آخر إلى الرصيف، ولكنه لم يتلقَّ تقييمًا من أقرانه؛ لأن معلميه أو أبويه اللذين يفرطان في حمايته يبعدونه أو يبعدون ضحيته عن هذا الموقف قبل حدوث التسوية، فيحولون دون حدوثها؛ فإن "جوني" لن يحصل على الفائدة من التقييم الذي يقدمه الأقران. وفي غياب تقييم الأقران، لا يمكن أن يتولد أي تعاطف لدى "جوني" تجاه ذلك الطفل الذي دفعه، وسيصبح من ذلك النوع من الأطفال الذي لا يدرك مدى تأثير أفعاله في زملائه بالصف وفي أصدقائه كذلك. ويجب إلقاء اللوم على كل الأشخاص البالغين الذين تدخلوا وحالوا بينه وبين الدروس الضرورية التي كان عليه تعلمها، حينما كان طفلًا صغيرًا يلعب في الملعب. وللأسف –بعد ذلك ببضع سنوات– عندما يكون في المرحلة الإعدادية سينظر حوله ويدرك أن لا أحد يود اللعب معه، ويجب على معلميه حينها إبلاغ أبويه بأنه "يعاني مشكلات في مهاراته الاجتماعية"، وسيزداد علاج مشكلات "جوني" الاجتماعية والنفسية صعوبة.

والخبر الجيد أن الأطفال سيتعلمون تلك المهارات بمفردهم من خلال منحهم الوقت وبعض المساحة بعيدًا عن تدخلات البالغين. فإذا سمحنا لهم بارتكاب الأخطاء، وإغضاب الأطفال الآخرين، والتشاجر معهم، والتصالح معهم، فسيتعلمون كيف يكونون أصدقاء جيدين، وكيف يدافعون عن أنفسهم، وكيف يرفضون التصرفات التي تجعلهم لا يشعرون بالراحة.

وتُظهر الأبحاث أن الأبناء يكونون أقل انزعاجًا حينما يرون آباءهم يتجادلون بعضهم مع بعض، وذلك حين يشهدون التعافي النفسي٢ الذي ينتج عن المصالحة؛ لذا فإن استفادة الأطفال من خوض المشاجرات مع الأصدقاء وصولًا إلى مرحلة التسوية والمصالحة تعد أمرًا منطقيًّا. ونظرًا إلى أن الشجار يعد أقل إزعاجًا بالنسبة إلى الأطفال من تعليق الأمر وعدم إنهاء المشكلة، فعندما تسرع إلى تسوية جدال حدث في الملعب الرملي، أو ترتب جلسة وفاق مع الفتاة الشريرة التي كانت تتجاهل ابنتك وتتشاجر معها، فإنك بذلك لا تسمح للتسوية بأن تحدث بشكل طبيعي في وقتها أو زمانها؛

فالنزاعات غير المحلولة تثير القلق في نفوس الأطفال، وتعترض طريق العملية الصحية للمصالحة ورأب الصدع بين الأصدقاء، تلك اللحظات التي توطد العلاقات على المدى الطويل، وسوف تستمر حتى الخلاف التالي.

الصداقات في المرحلة الإعدادية

يتحول تركيز الأطفال عندما ينتقلون إلى المرحلة الإعدادية، في اختيارهم أصدقائهم من الاهتمامات المشتركة إلى التقبل الاجتماعي؛ فالمجموعات المعادية لأي فرد لا ينتمي إليها، وأوضاع التهميش الاجتماعي الأخرى يمكن أن تكون مثيرة للتوتر بشكل كبير بالنسبة إلى أطفال المرحلة الإعدادية، لذلك من المهم أن تتأكد من استمرار اشتراك ابنك في الرياضة، والموسيقى، والأنشطة الأخرى الخارجية بعيدًا عن المناهج الدراسية، التي تساعد على سد الفجوة بين الفئات الاجتماعية. وقد أقرت إحدى الأمهات من نيوجيرسي بأن تجاربها مع أبويها اللذين سمحا لها بالاعتماد على ذاتها في حياتها الاجتماعية علمتها اليوم التربية الداعمة للاعتماد على الذات، حيث تقول:

تركني أبواي أختار أصدقائي بنفسي، وكان ذلك أمرًا رائعًا. وكانت أحيانًا تُجرح مشاعري؛ لأنني ما كنت لأفعل ما يفعله أصدقائي، لذلك أخرجوني من زمرتهم، فجعلني ذلك الأمر أقوى، وجعلني أتمهل وأتمعن في اختياري أصدقائي.

اجعل منزلك مكانًا مريحًا يجتمع فيه ابنك مع أصدقائه، بدلًا من أن تملي عليه من يصادق، وتوقع أنه عندما يكون خارج المنزل، سيخبرك بمكانه. ويجب أن تدرك أن حياة الأطفال الاجتماعية في تطور مستمر، ولا تحاول التدخل حين تشعر بأن ابنك تم استبعاده من مجموعة الأصدقاء التي كان ينتمي إليها. ويمكنك إظهار التعاطف تجاه حزن ابنك، ولكن لا تحاول تصحيح الوضع الخارج عن سيطرتك، فهو لا بد أن يكون خارجًا عن سيطرتك. وقد يكون من المؤلم رؤية ابنك يفشل في تكوين صداقات، أو تسوية الخلافات، ولكنها دروس وتجارب مهمة ينبغي له تجربتها والتعلم منها.

وقد رأيت باعتباري معلمة، العديد من الأطفال الذين وصلوا إلى المرحلة الإعدادية وما زالوا غير قادرين على معالجة المواقف الاجتماعية، ولكن لا شيء يزعج نضوج الأطفال اجتماعيًّا أكثر من آباء يقاتلون في معارك أبنائهم بالنيابة عنهم، ويبالغون في رد فعلهم تجاه الصدام الاجتماعي الطبيعي الذي يحدث في المرحلتين الإعدادية والثانوية؛ فعندما يبالغ الآباء في ردود فعلهم تجاه

التفاعلات الاجتماعية اليومية التي تنشأ بين ابنهم وأصدقائه، ويصفونها بالتنمر، لن يتعلم الطفل كيفية المقاومة والمطالبة باحترامه؛ فالتنمر حقيقة واقعية ومرعبة في المدارس في يومنا هذا، ولكن في محاولتنا وقف التنمر قبل أن يتفاقم إلى منطقة خطرة، يميل المعلمون والآباء إلى المبالغة في ردود أفعالهم تجاه التقلبات الاجتماعية والعاطفية الطبيعية للمشهد الاجتماعي للمراهق، ويوجهون أطفالهم إلى التفكير بعقلية الضحية بشكل غير مقصود.

وقد اتضح من التحدث إلى المعلمين والمديرين أنهم يدركون وينزعجون من التأثير الذي قد يحدثه التنمر في الأطفال، ولكنهم محبطون أيضًا بسبب طريقة تشجيع الآباء للتنمر، بينما يحاولون في الوقت نفسه التخلص منه, وقد أخبرني معلم بالمرحلة الثانوية في جلسة حوار مؤخرًا التالي:

قمت مؤخرًا بالتدريس لطالبة كان أصدقاؤها يصبون عليها جام غضبهم بسبب خلاف ما، وعندما تفاقمت الخلافات والتصرفات، ووصلت إلى مستوى التنمر، بذلت المدرسة جهدًا كبيرًا للتأكد من سلامتها وحمايتها، لكن أبويها – والطفلة من ثم– أصبحوا شديدي الحذر والحساسية لما رأوه، حتى إن المعلمين أُجبروا على أن يصبحوا عملاء سريين، فصار كل ما يحدث في الصف يدور حول احتياجات تلك الطفلة الواحدة، بدايةً من الجداول الخاصة بمقاعد الصف المدرسي، إلى إشراف المعلمين في أثناء السير بين الصفوف. وقد أرسلت الأم رسائل يومية بالبريد الإلكتروني إلى المعلمين والمديرين، نقلًا عن التقارير المقدمة إليها من ابنتها عن النظرات اللئيمة، والهمسات، والإهانات الملحوظة التي تتلقاها من زميلاتها. فلم تحدث تفاعلات اجتماعية طبيعية في ذلك الصف، ومن ثم، كان التفاعل الاجتماعي أمرًا كارثيًا. وتوقف الصف عن أداء دوره كمجتمع صغير، لدرجة أن من به من طلبة لم يحققوا تقدمًا دراسيًا في ذلك العام. والأسوأ من ذلك، أن تلك الفتاة أصبحت ترى كل التفاعلات الاجتماعية غير المريحة بالنسبة إليها كأنها تنمُّر. أشعر بالحزن من أجل تلك الطفلة؛ فقد كانت نية أبويها حسنة، ولكن من خلال تدقيقهما في كل تفصيلة صغيرة من تفاصيل حياتها الاجتماعية وتفسيرها وفقًا لهما والتذمر بشأنها، دمرا ثقة ابنتهما بنفسها، وأقنعاها بأنها ضحية لا حول لها ولا قوة.

ولدينا جميعًا كأشخاص بالغين أشخاص متنمرون يجب علينا التصدي لهم: رؤساء سيئون، وأعداء خبثاء، وأقران حقودون. يمكن أن يعني تعلم طفلك كيفية التعامل مع هؤلاء الأشخاص في طفولتهم، حيث يمثل الفشل حينها في قضاء يوم أو يومين من المشاعر المجروحة أو التهميش الاجتماعي، كل

الفارق بين الشعور بالضعف والشعور القوي بالذات. فعندما يكبر الأطفال، ويلعب أصدقاؤهم دورًا أكبر في تطوير هويتهم، يمكنك أن تحاول التدخل حين تشعر بتأثير هؤلاء الأصدقاء عليهم تأثيرًا سلبيًّا، ولكن قبل انتقاد أصدقاء ابنك، عليك أن تعلم أن تكوين الأصدقاء، والاحتفاظ بهم، وتقرير ميعاد الافتراق عنهم وطريقة ذلك، جزء من تعليم ابنك؛ فهناك شيء ما في هؤلاء الأصدقاء المشبوهين يجذب ابنتك، وتحاول ببساطة معرفة سبب ذلك الانجذاب؛ ربما يرجع ذلك إلى أن الفتاة –التي ترتدي الأسود بالكامل، وتضع طلاء أظافر أخضر اللون، وكثيرًا ما تقسم؛ ما يجعلك تشعر بعدم الارتياح لذلك– لديها مواهب أو مهارات اجتماعية تحاول ابنتك تعلمها. وربما تحاول طفلتك ببساطة اختبار حدود الأشياء التي تجعلها تشعر بالراحة في عالمها الخاص. مهما كان القلق الذي يثيره فيك هؤلاء الأصدقاء الغريبون والمختلفون، فمن المهم ألا تتدخل في اختيارات ابنك الاجتماعية، خاصة في مرحلة المراهقة. قد يبدو الأمر مجرد صداقة سيئة بالنسبة إليك، ولكن ابنك يتعاطف ويتعلم كيفية الانسجام مع أشخاص ربما لا يشاركونه الخلفية الاجتماعية نفسها والأهداف نفسها؛ فهذه هي مهارات اجتماعية مهمة للغاية. وعندما ينتقل المراهقون إلى مرحلة الجامعة، سيتكيفون بسهولة أكبر مع المواقف الاجتماعية الأكثر شمولًا وتنوعًا وصعوبة. ففي عالم الأعمال، تُعد القدرة على قراءة كل أنواع الأشخاص وفهمهم هي صفة شخصية منشودة، خاصة في النساء. وهؤلاء الأشخاص الذين يُطلق عليهم لقب المتأقلمين أو "أصحاب البراعة في تعديل سلوكهم"، هم الأفضل في التكيف مع الأشخاص الجدد، وبيئات العمل الجديدة، وهم الأفضل في إقناع الآخرين بطريقة تفكيرهم في مجال المبيعات، ويستطيع المتأقلمون التواصل مع الأشخاص من خلال محاكاتهم بإشارات دقيقة، ويتفوقون على غيرهم من البائعين. وفي العمل، فأولئك الماهرون في المحاكاة، والذين يمكنهم تكييف تصرفاتهم لتتناسب مع مجموعة متنوعة من الأشخاص يكونون أفضل المفاوضين.

لذا عندما يعود ابنك من المدرسة مع مجموعة أطفال يبعثون في نفسك الشعور بعدم الراحة؛ لأنهم ببساطة يختلفون عن أي شخص رأيت ابنك يتعامل معه من قبل، فكر في أن تلك الأقراط، والوشوم، والتنوع في ألوان الجلد، والشعر المصبوغ، واللهجات التي تفهمها بصعوبة ستمد ابنك بدروس تعليمية أكثر من تلك التي كان سيتلقاها في كلية هارفارد للأعمال؛ فإذا تعامل ابنك مع الأنواع الأربعة من هؤلاء الأشخاص يوميًّا باقي حياته، فلن تتطور أبدًا قدرته على إدراك الاختلاف، أو

إدراكه كيفية التفاوض والتفاهم مع الأشخاص الذين يتبنون وجهات نظر، وآراء مختلفة، وينتمون إلى أعراق مختلفة. واعتبر ابتسامتك المهذبة وعدم انتقادك أصدقاء ابنك كأنهما استثمار في تعليمه، وأفسح له المجال. ودعه يكتشف بنفسه ما يعجبه وما لا يعجبه في الأشخاص.

فائدة القلق الاجتماعي الذي يصيب المراهق

عندما يصل الأطفال إلى مرحلة ما قبل المراهقة، ستسر لأنك لم تتدخل في حياتهم الاجتماعية؛ لأن ابنك ستصبح لديه مهارات رائعة في التفاوض والوعي الذاتي. وعندما ينتقل الأطفال من مرحلة ما قبل المراهقة إلى المراهقة، وتصبح الأخطار المتصورة أخطارًا حقيقية، يبدأ الآباء في التساؤل عن متى يحين وقت تدخلهم. وستكون هناك إجابات عديدة لهذا السؤال، ستتوقف على من تسأله، فهناك من سيجيبك ويقول لك: "منذ خمس دقائق ماضية"، وهناك من سيجيبك بـ"لا تتدخل أبدًا". وسوف آخذ حذري دائمًا بينما أثق بابني من أجل الحفاظ على اعتماده على ذاته، ولكن من باب الفضول، طلبت من مجموعة من الأطفال بعمر الخامسة عشرة أن يجيبوا عن هذا السؤال. ووجد معظم الأطفال أنه أمر منطقي أن يتدخل الآباء إذا ما وجدوا **سببًا** يستدعي التدخل, وأجاب أحد الفتية قائلًا: "عليك التدخل إذا أخبرك شخص ما بأن ابنك يقوم بفعل شيء خطير". وفي حديثي مع هؤلاء الأطفال، دهشت بحقيقة أن لا أحد منهم أجاب بأنه لا ينبغي للآباء التدخل أبدًا، وقال أحدهم ما يلي:

هذا يعتمد على الطفل، وأعتقد أنه مادام الآباء لا يعانون الشك المفرط، أو الحماية المفرطة لأبنائهم، فسيعرفون إن كان بإمكانهم الثقة بطفلهم أم لا. فإذا كان الطفل صالحًا في الأساس، فدعه يكتشف من يمكنه مصادقته، حتى إن بدأوا التصرف مثل الأطفال السيئين، فأحيانًا يحتاجون إلى القيام ببضعة أمور خرقاء قبل أن يدركوا أنهم لا يرغبون في سلك ذلك الطريق، فأعطهم بعض المساحة.

وكانت هناك بعض أصوات المعارضة بين هؤلاء المراهقين لمدى السماح للأبناء بسلك هذا الطريق نحو التصرفات الخطيرة، ولكنهم اتفقوا جميعًا على أن المراهقين على الأرجح سيصبحون مخادعين حين يحاول آباؤهم السيطرة على حياتهم الاجتماعية.

حيث يقول أحدهم: "إن أصدقائي الذين لديهم آباء صارمون يكذبون أكثر من الأطفال الذين يمنحهم آباؤهم قدرًا من الحرية".

ويقول آخر: "أجل، فأحد أصدقائي، يظنه أبواه مثاليًّا، ويفعل كل ما يمليانه عليه، ولكنه يكذب عليهما في **كل شيء،** ويكذب كذلك في الأمور التي لا تستدعي الكذب".

يبدو أن هناك إجماعًا من الجميع على هذا الأمر.

وقد شددت "جينيفر هارتستيين"، الطبيبة النفسية للمراهقين، على أهمية إيجاد وسيلة لدعم المراهقين، وليس السيطرة عليهم، في العلاقات التي يشكلونها في مرحلة المراهقة، وفي بريد إلكتروني، تقول:

مرحلة المراهقة هي المرحلة التي يكون فيها تكوين الصداقات غاية في الصعوبة، من نواحٍ عديدة؛ حيث يتعلم المراهقون من يكونون، وماذا يريدون، وكيف يوازنون ذلك مع أصدقائهم الذين يمرون بالأمور نفسها، فمن المهم للغاية تشجيع المراهقين على أن يكونوا أشخاصًا ذوي فاعلية بمفردهم؛ حيث إنهم سيستقلون قريبًا، وهم بحاجة إلى فعل ذلك في جوانب عديدة من حياتهم؛ فرؤية الآباء أبناءهم يعانون الألم، أو يكافحون، أمر مرعب يشكل تحديًا وصعوبةً بالغة، فكن موجهًا لأبنائك، وملاذًا آمنًا لتناول المشكلات، ولا تكن أنت من يقوم بحلها. فسيكتسب ابنك المراهق القوة من معرفة أنه واجه مشكلة مع قرينه مباشرة، وتعامل مع الأمر، وتعلم الأمور التي تجدي نفعًا، والتي لا تجدي نفعًا خلال هذا الطريق، وبذلك يكون مستعدًّا لكل التحديات التي سيواجهها في مرحلة البلوغ.

سيخطئ الأطفال في اختيار الأصدقاء، وستفشل بعض صداقاتهم، غير أن تلك العثرات هي ما تعلق في أذهاننا ونتذكرها؛ لكي نميز بين سمات العلاقة الصحية والعلاقة المدمرة. وبقدر صعوبة الارتقاء إلى مستوى تحدي "هارتستيين"، تستحق المكافآت –التي تتمثل في أنهم سيصبحون بالغين مستقلين، ومقدامين، وشجعانًا يعرفون ما يريدون وما يحتاجون إليه من أصدقائهم الذين سيكتسبونهم ويعتمدون عليهم على مدار حياتهم– ضبط النفس والصبر.

لكنني أعترف بأن المخاطر تزداد حينما يصل الأطفال إلى مرحلة المراهقة؛ حيث إن العلاقة الفاشلة أو التفاعل الاجتماعي الفاشل الذي يحدث لطفل في الصف الثالث الابتدائي يكون أقل وطأة وإيلامًا للنفس من مشاحنة لمراهق في بداية مرحلة المراهقة تكون ناتجة عن تغير الهرمونات، أو التعرض للعديد من الأمور الخطيرة المدمرة، مثل إدمان المخدرات، والمشروبات الكحولية، والقيادة

تحت تأثير الشراب، أو الاضطرابات الغذائية التي تشكل أعباءً مخيفة بالنسبة إلى الآباء. ومع ذلك، إليك بعض الأدوات التي تحقق تحدي "هارتستيين" بينما تحافظ على سلامة ابنك وصحته النفسية.

فإذا تغير ابنك بشكل يثير في داخلك القلق نتيجة صداقاته، فتحدث إليه بشأن الأشياء التي تجذبه إلى أصدقائه الجدد، ووجه إليه أسئلة من قبيل: "ماذا يعجبك بشأن مايك؟ ما الذي تقومان بفعله معًا؟ يبدو أنك تمضي الكثير من الوقت بصحبة مايك؛ فما الشيء المثير للاهتمام الذي يجعلك تهتم بصداقته؟". واعرض على ابنك أن تستضيف "مايك" كثيرًا، وليس قليلًا، حتى إن كان يزعجك بشدة؛ لكي تتسنى لك معرفة أصدقاء ابنك عن قرب. واحرص على أن يدرك ابنك أن توقعاتك بشأن تصرفاته لم تتغير، وأن قواعد منزلك سيتسع نطاقها لتشمل "مايك" كذلك، وأنه مرحب به في منزلكم. وإذا كنت تشعر بالحاجة إلى توضيح توقعاتك أو قواعد منزلك توضيحًا جليًّا لكل من أبنائك وضيوفهم، فعلق تلك القواعد أو التوقعات على الثلاجة. واحرص على تنفيذ العواقب أيضًا إذا تخطى ابنك الحدود في منزلك. وإذا لم يكن "مايك" يحب القواعد في منزلك، فله مطلق الحرية في أن يرحل، ولكن تذكر أن ابنك لا يزال ابنك، وأن القواعد تطبق في منزلك على كل من يُدعى إليه.

إن استضافتك طفلًا مثيرًا للمتاعب في منزلك تمنحك أيضًا الفرصة لتتعرف على عدوك، مثلما يؤكد القول المأثور، وإدراك مع من تتعامل، وكيفية التعامل معه. ففي أفضل الأحوال، ستجد أن صديق ابنك الجديد شخص رائع حقًّا، ويود تحقيق ما هو في صالح ابنك، وفي صالح صداقتهما كذلك. وفي أسوأ الأحوال، ستتأكد شكوكك، وستحصل على دليل يمكنك الإشارة إليه في مناقشاتك مع ابنك عن سبب عدم السماح له بأن يستضيف ذلك الطفل في منزلك مرة أخرى. واعرض على ابنك وصديقه أن توصلهما إلى أي مكان؛ فالتجول بالسيارة أمر مفيد؛ حيث يجعلهما يتحدثان بحرية ودون حذر، وكأنهما ينسيان وجودك معهما، ويفتحان موضوعاتهما المحظورة بكل حرية، فأصغِ إليهما، وانظر إليهما من خلال المرآة الخلفية. واستغل تلك الزيارات والجولات بالسيارة وسيلةً للتعرف على آباء هؤلاء الأصدقاء. فربما تجد أن هؤلاء الآباء ببساطة لا يضعون توقعات عالية بخصوص أبنائهم، أو ربما تعثر على رفقاء لرحلتك، يريدون تحقيق الأمور نفسها مع أبنائهم، كتلك التي تريد تحقيقها أنت مع ابنك. في النهاية، تذكر أنك لا تملك السلطة لتغيير أبناء الأشخاص الآخرين, ويمكنك فقط توضيح توقعاتك، وتطبيق العواقب في حال تم انتهاك تلك التوقعات.

ولا تتبع أسلوب إلقاء المحاضرات؛ فالأبناء خاصةً من هم في بداية مرحلة المراهقة، سيتوقفون عن الانتباه لك فور بداية حديثك. فلتستمع إلى تلك النصائح التي تقولها لك معلمة لها باع طويل في عملية التدريس، إذا كان يميل أسلوب حديثك إلى أسلوب إلقاء المحاضرات، فعليك تغييره؛ لأنك لا تستطيع إجبار ابنك على الاستماع إليه.

ووجه لابنك سؤالًا مفتوحًا، واستمع إلى الإجابة كأن تقول له: "يبدو كيفين مختلفًا عن أصدقائك الآخرين. كيف أصبحتما صديقين؟" سيكون من الأفضل أن يكون سؤالًا افتتاحيًّا لا ينطوي على استهجان، أو تهديد؛ لكي يفتح الباب بسلاسة أمام المزيد من المناقشة.

وإذا كانت السلوكيات الخطيرة هي موضوع الحديث، فتناول بالحديث الأمور التي تقود إلى نتائج إيجابية آمنة بدلًا من انتقاد الأصدقاء؛ لأن الأطفال يتخذون موقفًا دفاعيًّا ويحمون أصدقاءهم في الوقت الذي يشعرون فيه بتعرض أصدقائهم للهجوم. والأفضل أن تلتزم بسرد الحقائق والأفعال بدلًا من الانتقاد الشديد للشخص.

فالمراهقون في بداية مرحلة المراهقة يكون لديهم شعور متزايد بالولاء، وسيدافعون عن سلوك أصدقائهم وإن شعروا بعدم الراحة بشأن هذا السلوك، فالتزم بما تعرفه عن سلوك ابنك، وإذا تصرف بحكمة في مواجهة موقف خطير أو صعب، فاحرص على الثناء على قراره وشجاعته، كأن تقول له على سبيل المثال: "لا بد أن رفضك الذهاب إلى تلك الحفلة في الأسبوع الماضي؛ لعلمك أنها ستحتوي على مشروبات كحولية، كان أمرًا صعبًا بالنسبة إليك، أنا فخور حقًّا باتخاذك قرارًا ناضجًا مثل هذا"، أثنِ على شخصيته وفكره الناضج.

وحين أعلنت عن مخاوفي ذات مرة بشأن ترك ابني المراهق ليواجه العالم بمفرده، كانت هناك أم تكبرني سنًّا، تستمع إلى حديثي، وحرصت على مشاركتي تجربتها الشخصية؛ تلك التجربة التي كنت أكررها في كل مرة أشاهد فيها ابني يخرج من المنزل، حيث قالت:

كان ابني المراهق ذاهبًا ذات مرة إلى مكان ما، ولم أكن أعلم إلى أين يتوجه، فقلت له وهو في طريقه إلى الباب "كن حذرًا"، مثلما كنت أخبره دائمًا، ثم سمعت زوجي يقول له: "استمتع بوقتك"، وللمرة الأولى أدركت الاختلاف في النهج الذي أتبعه في تربيته عن النهج الذي يتبعه والده؛ فكثيرًا ما كان طفلي حذرًا، وسواء قلت كلماتي أم لا، فهي لن تحميه، ولن يكون لها تأثير خارق في

تجربته؛ فكل ما سمعه كان أنني لا أثق بكونه حذرًا، في حين أن أباه يثق بكونه كذلك. وكانت تلك المرة الأخيرة التي قلت له فيها: "كن حذرًا"، حين خرج من المنزل برفقة أصدقائه.

علينا أن نثق بأطفالنا أكثر حين نتركهم يخرجون إلى العالم، وعندما يرتقون إلى مستوى ثقتنا، ونجدهم يفعلون أشياء صحيحة، علينا أن نثني عليهم. ربما يتطلب هذا الأمر تغييرًا في طريقة تفكيرك، ولكن استمر في مراقبة قراراتهم السديدة، وشخصياتهم، وقدرتهم على التغلب على الفشل والمشكلات كذلك، ودعهم يعرفوا أن ذلك هو ما تقدره أكثر من أي شيء آخر. واحرص على أن يعرفوا أنك ستساعدهم إذا تصاعدت الأحداث وخرجت على السيطرة، أو إذا وجدوا أنفسهم في موقف خطير أو يهدد حياتهم، ولن تسألهم عن تلك الأشياء ... حتى اليوم التالي. واحتفظ بتعليقاتك فيما يتعلق بقيامهم بأمر مخزٍ كوجودهم في حفل مدرسي راقص، وهم يدخنون السجائر، أو ركوبهم السيارة برفقة سائق مخمور، وتحدث معهم في وقت لاحق. وبمجرد أن يصبحوا في حالة من الاسترخاء والأمان بعد قضاء ليلة نوم هادئة، ناقش معهم تفاصيل ما حدث وسبب حدوثه. وسوء التقدير يعد جزءًا من عملية النمو، فإذا تمتعوا بالحس السليم وطلبوا منك المساعدة، فركز على حقيقة أنهم احترموك ووثقوا بك كفايةً لرفض موقف يشعرون بالخطر فيه؛ لذلك ارتقِ الآن إلى مستوى ثقتهم بك، وساعدهم على معرفة كيفية عدم التورط في ذلك الموقف مرة أخرى.

واعرض على أبنائك نماذج الصداقات الإيجابية التي تجلب المنفعة المتبادلة. وحدثهم عن صفات الصديق الجيد والأسباب التي تجعلك تعتبر أصدقاءك مؤثرات إيجابية في حياتك. واسألهم وفق اعتقادهم عن كيفية وصف أصدقائهم إياهم. وتخلص من الأشخاص السيئين والضارين الموجودين في حياتك قبل أن تحث أطفالك على التخلص من الأشخاص السيئين الموجودين في حياتهم؛ لأن المثال الذي ستقدمه إليهم سيعلمهم أكثر من الحديث فيما يتعلق بتحليل علاقات الصداقة الجيدة التي تعود بالنفع على الجميع.

ومع ذلك إذا ذهبت كل أساليب التواصل الحذرة والمخططات سُدى، وظلت مشاعر القلق تحيط بك بشأن علاقات الصداقة في حياة ابنك، فربما يكون حان الوقت المناسب للتدخل، ولكن أولًا تفقد دوافعك. هل أنت مهتم حقًّا بسلامة ابنك، أم أنك تبحث عن أدلة تدين بها الأطفال الذين تخشى أن تكون لهم تأثيرات سلبية في حياة ابنك؟ فلو كان الأمر كذلك، فتنحَّ جانبًا، واسترخِ، ولا تتدخل في هذا الأمر.

وإذا كان القلق لا يزال يساورك، فجرب هذه البدائل المتمثلة في النقاط التالية قبل التدخل وكسر ثقة ابنك بك:

- تحدث مع الأشخاص البالغين الآخرين، المعلم، والمديرين، والمدربين، واعرف هل الطفل المعني له تأثير سلبي على ابنك فعلًا وأنه يتصنَّع حسن الخلق وهو ذئب شرس.
- التقِ بأبوي هذا الصديق شخصيًّا وشاركهما مخاوفك. وتأكد من إيضاحك قواعد منزلك لهما أيضًا، وحاول بصورة غير مباشرة معرفة التزاماتهما في الحفاظ على صحة طفلهما وسلامته.
- تحدث مع ابنك بشأن التصرف الذي شاهدته، أو سمعته عن الطفل ويجعلك متوترًا. وقم بتوجيه الأسئلة إليه، وفي أثناء ذلك وضح توقعاتك منه مرة أخرى عن الأمور المحظورة، مثل تعاطي المخدرات والمشروبات الكحولية.
- وإذا اتضح أن لذلك الطفل تأثيرًا سلبيًّا في طفلك، وكان ذلك مبنيًّا على دليل ملموس وليس مجرد مخاوف وشكوك، فحد من الوقت الذي يقضيه طفلك مع هذا الصديق. وتذكر أن هذا التصرف يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية، ومن الممكن جدًّا أن يكون رد فعل ابنك سيئًا تجاه مساعيك للسيطرة على حياته الاجتماعية.
- ابحث عن أشياء أكثر أمنًا وأفضل صحةً ليقوم ابنك بفعلها، فإذا رتبت بعض الأنشطة الأخرى التي تعرف أن ابنك سيستمتع بها، فستنتهي صداقته بهذا الطفل المثير للمتاعب بسبب الإهمال.

وإذا كنت لا تزال قلقًا، وقمت بعمل وقفة لتقييم دوافعك للتأكد من مدى صدقها، ومن أنها تدور حول صحة ابنك وسلامته فقط، فإليك بعض الأمثلة على الحالات التي تستحق التدخل:

- التغيرات المفاجئة في سلوكه، وشخصيته، أو وزنه، أو نمط نومه، أو صحته العامة.
- التغيرات في نمط تواصل ابنك معك. فإذا كان ابنك يرغب في مشاركتك أخباره في العادة ويطلعك عليها، فهل توقف عن فعل ذلك؟ وعلى النقيض من ذلك، إذا لم يكن ابنك محبًّا للتحدث قط، فهل بدأ يحاول فجأة أن يخبرك بشيء ما؟ إذا كان الأمر كذلك، فاحرص على الإصغاء إليه.

- إذا كانت هناك أدلة على تعاطيه المخدرات أو المشروبات الكحولية، مثل (الأدوات المستخدمة في تناول المخدرات، أو الاشتباه في أن ابنك مخمور أو منتشٍ).
- تغيرات في درجاته أو عادات مذاكرته.
- دليل قاطع يدعم شكوكك في أن أصدقاء ابنك لهم "تأثير سلبي" فيه.

إذا ظهرت أية حالة من الحالات السابقة في منزلك، فربما يكون الوقت قد حان لإلقاء نظرة على غرفة ابنك، أو حسابات التواصل الاجتماعي الخاصة به، أو ببساطة قم بكتابة اسم ابنك على متصفح جوجل، وشاهد النتائج التي ستظهر لك. وتؤيد الأم، والكاتبة، والمدعية العامة "لوني كومبس" تجسس الأبوين على أبنائهما، الذي يطلق عليه في القانون الجنائي بـ"التلبس"، حيث تقول:

المصدر الآخر المحتمل للمعلومات الذي لا يشكل انتهاكًا غير مقبول للثقة، هو الأشياء التي تركها ابنك في مكان واضح. ويسمى هذا في القانون الجنائي "التلبس"؛ فرجال الشرطة مسموح لهم بأن ينظروا إلى أي شيء يجدونه في موضع واضح في أي مكان يكون لهم الحق القانوني الوجود فيه. فإذا ذهبت، باعتبارك الأم والقائمة على تدبير أمور هذا المنزل، إلى غرفة ابنك للتنظيف، أو لوضع الملابس في الخزانة، أو وضع أي شيء في الغرفة، ورأيتِ أشياء غير مخبأة، وإذا كان لديك قلق مشروع٣، فلن يكون من الخطأ تفقد الأمر.

وإذا قررت في النهاية أن تبحث في أغراض ابنك، ففكر في ماذا تنوي فعله فيما ستجده؛ فإذا عثرت على معلومة، يجب التعامل معها فورًا، على سبيل المثال معلومة تفيد بأن ابنك أو صديقه ربما يكونان في خطر، فتصرف بالتأكيد وفقًا لتلك المعلومة، ولكن إذا كانت تلك المعلومة غير ملحة ولا تهدد حياته، فلتخفِ معرفتك بها فترةً. وامنح ابنك الوقت لربما يثق بك، ولا تستبعد أيضًا أنه من الممكن أن تسيء فهم ما يحدث، ولو مع وجود إثبات؛ فاستخدم ما حصلت عليه من معلومات لإرشادك في تربية ابنك، وليس دليلًا للهجوم عليه.

وإذا وقع ابنك في مشكلة، أو كان في خطر جراء قيامه بتصرفات خطيرة، مثل تعاطي المخدرات، أو تعرضه للاكتئاب، أو الاضطرابات الغذائية، أو أي مأزق من المآزق التي تظهر في حياة المراهق، فتذكر أن لديك القوة لتتسق مع ابنك، وتساعده على مواجهة الصعاب. وحافظ على التربية القائمة على الاعتماد على الذات، والحب، والدعم في وضعها في مقدمة أولوياتك، حتى لا

تخاطر بإبعاد نفسك عن ابنك وتخسر فرصة حمايته من المخاطر. وعند ظهور الإشارة الأولى التي تدل على أن ابنك يتعاطى المخدرات أو المشروبات الكحولية، أو ظهور أية اضطرابات غذائية لديه، أو علامات على إلحاقه الأذى بنفسه، ابحث عن مساعدة متخصصة بدلًا من محاولة التعامل مع الوضع بنفسك.

وأولًا وقبل كل شيء، لا تعد ابنك بأنك يمكنك "حل" مشكلاته، سواء كانت اجتماعية أم غير ذلك؛ فربما لا تستطيع ذلك، ومن المهم أن يعي ابنك أن والديه لا يستطيعان حل كل المشكلات التي يتعرض لها، فهما لا يملكان عصا خارقة بمجرد أن يلوحا بها تُحل كل المشكلات؛ فبعض المشكلات أكبر من ذلك، وبعضها يتطلب حلولًا معقدة وغير كاملة.

ولحسن الحظ، إذا قام الآباء بتأدية وظيفتهم بشكل جيد، فسيتمتع الأطفال بالكفاءة والشجاعة لمواجهة هذه الحلول المعقدة وغير الكاملة. وكثيرًا ما وددت أن أكون مثل شخصية "آن" في رواية آن في المرتفعات الخضراء، وتكون صديقتي هي "ديانا باري" ذات الشعر البني، لكن ذلك لم يحدث؛ حيث كانت لديَّ صداقات معقدة، وفي الأغلب مؤلمة مع الأطفال في الحي الذي كنت أسكن فيه. وكنا لا يفارق بعضنا بعضًا، وكنا سعداء بذلك، فنحن من كنا نضع معاهدات وحدودًا فاصلة تريحنا داخل نطاق وجودنا الضيق. هذه هي مرحلة الطفولة، فتلك القيود التي أثارت اعتراضًا شديدًا، والمليئة بالنجاحات والإخفاقات لا تضع حدود مرحلة الطفولة فقط، بل تحدد الأشخاص الذين سينضج أبناؤنا ليصبحوا على شاكلتهم، وإننا ندين لهم بالوقت والمساحة المطلوبة لاستكشاف تلك الآفاق.

٧: الألعاب الرياضية: الخسارة باعتبارها إحدى التجارب الأساسية في مرحلة الطفولة

عندما تُوجد مجموعة من الآباء في أي تجمع، يتحول موضوع المناقشة بسرعة ليشمل أبناءنا، وهكذا سار الإفطار الأخير الذي قضيناه مع أصدقائنا. حيث تناولنا موضوع العام الدراسي فقط في البداية، وما لبثنا أن تحولنا إلى موضوع الألعاب الرياضية، لقد سمعت قصصًا مخيفة متداولة عن الألعاب الرياضية من قبل، فالألعاب الرياضية تنافسية جدًّا، حيث تتعالى صرخات الآباء في أبنائهم من الخطوط الجانبية للملعب، ويوزع المدربون الكئوس من أجل الظهور فقط. عندما تحولت نبرة الحديث من السخط إلى القلق والانزعاج، وأخذت القصص منحنى لم أتوقعه، أدركت أخيرًا من هم الخاسرون الحقيقيون في عصر الألعاب الرياضية شديدة التنافسية؛ إنهم الأطفال الذين يرغبون فقط في اللعب. إليك إحدى القصص المأساوية التي أخبرتنا بها إحدى الأمهات في ذلك الإفطار:

لطالما أحببت الرياضة، فعندما كنت صغيرة، كانت الرياضة هي ما شكلت هويتي؛ لذلك شعرت بسعادة غامرة حين أقنعت ابنتي أخيرًا بممارسة الرياضة، ولكن بدلًا من إيجاد المتعة وممارسة الرياضة التي تساعد على تحديد الهوية، وجدت أنها قد تأخرت كثيرًا، حاولنا الالتحاق ببعض الألعاب الترفيهية – مثل كرة السلة أو البيسبول – ولكن المنافسة فيها كانت شديدة لدرجة أن المدربين لم يتمكنوا من مساعدتها، أو تركها لتلعب، فجربنا رياضة الجمباز، ولكن الأطفال الذين كانوا يمارسون لعبة الجمباز يتدربون منذ أن كانوا صغارًا، لذلك لم يفلح هذا الأمر أيضًا، فأرادت أن تجرب ممارسة بعض الألعاب الرياضية المختلفة لترى أيها تحب، ولكن كل الألعاب الرياضية الآن أصبحت شديدة التنافسية وجدية للغاية، فأصبح لا يمكنها تجربة أي منها؛ فهي في عمر التاسعة. ألا يفترض بك في عمر التاسعة ممارسة العديد من الألعاب الرياضية المختلفة، واكتشاف أية رياضة تفضل ممارستها؟

أجهشت هذه الأم بالبكاء بعد أن أنهت حديثها، وخيم الصمت على الغرفة. لم تكن لدى أي من الحاضرين اقتراحات جيدة من أجلها، فالجميع يعلم أن ما تقوله كان صحيحًا، وأيدتها أم أخرى قائلةً: "إنه أمر محبط؛ لأنني أود أن يجرب أطفالي العديد من الأشياء، ويتعلموا أساسيات بعض الرياضات

أو بعض الأنشطة الترفيهية، ويحظوا بالمرح، ولكن أصبح من الصعب جدًّا الاشتراك في إحدى الرياضات الخاصة بالأطفال الصغار".

إننا لا نحيا في مجتمع متشدد للغاية أو تنافسي، وعلى الرغم من ذلك فإن الأطفال عند بلوغهم سن التاسعة أو العاشرة يكونون متخصصين في ممارسة رياضة ما منذ بضع سنوات؛ فدوري كرة القدم المحلي الذي يقام في الصالات المغطاة يبدأ في عمر الثالثة مع دوري الأشبال.

ماذا عن تأسيس بطولة دوري تسمى "أود أن ألعب فحسب"؟

في صباح اليوم التالي، رويت قصة هذه الأم على مدير إحدى المدارس الخاصة المرموقة في ولاية ماساتشوستس.

فقال وهو يهز رأسه: "أوه، هذا هراء، ليست لديك فكرة عن مدى الحدة التي أصبحت عليها قوانين الرياضات الشبابية".

أمضى الساعتين التاليتين في إخباري بشأن حالة الألعاب الرياضية في عالمه؛ فأخبرني بقصص عن طلاب الصف التاسع الذين التزموا مع الجامعات بلعب رياضة كرة القدم ولعبة لاكروس؛ الأمر الذي كان يمثل انتهاكًا واضحًا لقواعد اللعب التي وضعتها الرابطة الوطنية لرياضة الجامعات، فوصف لي مباريات المدارس الثانوية لاختيار المواهب، حيث يحضرها اللاعبون ليس من باب الولاء للفريق، ولكن لكي يبرزوا **أنفسهم** أمام مدربي الجامعات. وروى لي قصص آباء كان عليه مواجهتهم حين يعود هؤلاء الطلاب الملتزمون شفويًّا إلى المنزل بدرجة جيد، وتوسلوا إليه لتغيير الدرجة؛ لأن "جامعة براون]أو ديوك أو هارفارد، ضع جامعة من اختيارك[لن تقبل به إلا إذا كانت درجته جيد جدًّا أو أعلى". توسل إليه أحد الآباء لـ"إحضار مجموعة من المعلمين المناسبين" الذين لن يعطوه درجات متدنية، مثل درجة جيد التي لا تساعده في الالتحاق بالكليات الكبيرة.

واستطرد هذا المدير قائلًا: "كثيرًا ما اعتدت القلق بشأن طلابي في المرحلة الثانوية حين يتعلق الأمر بالالتزامات المبكرة بالرياضات"، ثم تم استهداف طلاب المرحلة الإعدادية بصورة متزايدة لهذا الالتزام المبكر. بدأ دوري المدارس المستقلة – المكون من ست عشرة مدرسة من مدارس نيو إنجلاند الإعدادية – في تنظيم بعض المباريات لطلاب المدارس الإعدادية لاختيار المواهب؛ ليتسنى

لمدربي المدارس الثانوية اصطياد المواهب من الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين أحد عشر وثلاثة عشر عامًا. وكل ما وجدته عندما تحدثت إلى مديري المدارس الأخرى ومعلميها للحصول على تغذية راجعة بشأن تفاصيل قصته، كان كل ما قالوه تأكيدًا إضافيًّا بأن الرياضات في مرحلة الطفولة لم تعد لها علاقة باللعب، ولا تتم ممارستها من أجل اللعب. وأعرب مدرب كرة السلة في إحدى المدارس الثانوية عن أسفه قائلًا: "ليت هؤلاء الطلاب يكون لديهم حماس آبائهم نفسه". لقد أصبحت الرياضات بالنسبة إلى العديد من الأطفال، كما هي بالنسبة إلى آبائهم –وإن لم تكن أكثر– تتعلق بالتخطيط للالتحاق بالجامعات أكثر من تعلقها باللعب والاستمتاع والتدريب؛ فالمنافسة من أجل الوصول إلى المراكز الأولى في الألعاب الرياضية في المدارس الثانوية والجامعات أصبحت شديدة للغاية، ولا عجب في شعور الأطفال بالتوتر الشديد، ووقوعهم تحت ضغط كبير للأداء بشكل جيد في أعمار مبكرة.

يتساءل الطبيب "لويس بروفيتا" –الكاتب وطبيب الطوارئ في ولاية إنديانا، الذي يعالج الإصابات المتكررة لهؤلاء الرياضيين الصغار الناتجة عن الإجهاد الحركي– عن سبب فرض هذا الضغط على أطفالنا والتضحية بالكثير من الأمور التي كانت تثري الأوقات العائلية، حيث يقول:١

تشتتنا في مرحلة، وأصبحت ساحة التدريب طاولة عشاء جيل الألفية الجديدة. فبدلًا من الالتفاف حول طبق كبير من الدجاج المشوي، والبطاطس المهروسة، وسلطة الفواكه، نمضي أمسياتنا في استنزاف طاقات أبنائنا من تدريب البيسبول إلى التشجيع، ومن دروس السباحة إلى التدريبات الشخصية، أصبحنا الجيل المستمر "طيلة ساعة" من الخامسة إلى السادسة، ومن السادسة إلى السابعة، ومن السابعة إلى الثامنة، مهملين قيمة عائلتنا من أجل تجارب أداء لعبة اللاكروس.

قيمة اللعب من أجل اللعب، وإفساد وقت العائلة، والضغط غير الضروري المفروض على الأطفال من مختلف الأعمار، كلها مسائل إشكالية إلى حد كبير عندما يتعلق الأمر بالرياضات في مرحلة الطفولة، ولكننا ننسى أن أحد أهم الجوانب في ممارسة الرياضة هو أنها ساحة للتعلم وتقبل الفشل.

يشير "تيري أورليك"، الطبيب النفسي في مجال الألعاب الرياضية، إلى برامج الرياضات الشبابية كأنها "مصانع لتصنيع الفشل"، وإذا كان الأمر كذلك، فلِمَ ندعي أنه لا بد من أن يفوز كل

واحد من إجمالي ٤٠ مليون طفل أمريكي يشاركون في الرياضات الشبابية؟ إذا كان لا مناص من مواجهة الأطفال للفشل والخسارة في البرامج الرياضية، فلمَ لا نتقبل الأمر؟ تخيل لو كانت الرياضات مكانًا آمنًا لتجربة الفشل، حيث يمكن للرياضيين والفرق الخسارة، ويتم تقبل النتيجة بروح رياضية بدلًا من النزاع بسبب الإنذار الأخير في المباراة، أو الرعب الشديد الذي ينتاب الأبوين بشأن مستقبل الطفل. لا بد للرياضات من أن تكون بمثابة المكان والزمان اللذين يمكن فيهما تجربة الشعور بخيبة الأمل والفشل في بيئة ليست عالية المخاطر، وأن تكون هي الفترة الوجيزة من الوقت لإرساء الأساس الذي سيحتاج إليه أبناؤنا؛ لكي يصبحوا بالغين يتمتعون بشخصية جيدة.

أخبرتني "ميليسا أتكينز واردي"، مؤلفة كتاب *Redefining Girly: How Parents Can Fight the Stereotyping and sexualizing of Girlhood, from Birth to Tween*، بقصة انهيار ابنتها بسبب فشلها في اليوم الأول من تمرين البيسبول، حيث تقول:

ظهرت "أميليا" في الليلة السابقة لليوم الأول لها في تمرين البيسبول، واكتشفت أنها إحدى فتاتين في فريق يتألف من بنين لا تعرف أحدًا منهم. كانت خائفة للغاية، ولكنها ارتدت خوذتها، واختارت مضربها، وذهبت إلى ملعب البيسبول. لم ندرك أن "مدرب رمي الكرة" هو "آلة قذف الكرات". كنا نعتقد أن على أحد الآباء أن يقذف الكرات عبر الملعب للأطفال. ولم تزل "أميليا" تستدعي ما يكفي من الشجاعة للدخول إلى الملعب، وتتلقى رمية كرة. تلقت كرة واحدة قبل أن تجهش باكية، ولكن هكذا تبدو الشجاعة أحيانًا. إنها تتشابه في أيام كثيرة مع الفشل، لكنها على العكس تمامًا.

تعلمت "ميليسا" كيف تكشف لابنتها عن الجانب المشرق للفشل، فتلك اللحظات الرهيبة والمهينة التي نمر بها عندما نخسر المباراة، أو اللحظات التي نحتفل فيها بإحراز هدف في شباك الفريق المناسب، هي لحظات الشجاعة والتطور، وينبغي لنا تعليم أطفالنا أن يكونوا فخورين بها. وسواء اختارت "أميليا" العودة إلى تمرين البيسبول أم لا، فهي وجدت شيئًا ذا قيمة في تلك التجربة المخيفة التي لم تحقق فيها أية أهداف.

فوائد الألعاب الرياضية خارج الملعب

يمكن للرياضات التنافسية أن تكون مكانًا رائعًا لاكتشاف لحظات الشجاعة ولحظات الفشل والتعلم منها. يشرح الطبيب النفسي "ريتشارد ويسبورد" مؤلف كتاب *The Parents We Mean to Be:*

How Well–Intentioned Adults Undermine Children's Moral and Emotional Development، مشاعر التعاطف والتقدير التي يمكن أن تنشأ في نفوس الأطفال من خلال ممارستهم للرياضة، حيث يقول:

تحفز المنافسة الأطفال على تقدير مهارات اللاعبين في الفريق المنافس، حتى يظهروا لهم كأنهم ألد الأعداء، وإيجاد مواطن القوة في زملائهم الضعاف في الفريق، حتى إن كان هؤلاء اللاعبون يهددون فرص الفريق في الفوز بالمباريات النهائية، وأن ينظروا من منظور الحكم، على الأقل بعد المباراة، حتى حين يتخذ قرارًا سيئًا في لحظة حاسمة. هذه هي الأخلاق المطلوبة التي تساعد على تطور قدرة الأطفال مع الوقت على النظر إلى ما هو أبعد من مشاعرهم القوية، كما تعلمهم مسامحة الآخرين على أخطائهم، وتفهم وجهة نظر الآخرين، ووضع احتياجات هؤلاء الأشخاص على قدم المساواة مع احتياجاتهم٢.

توفر الرياضة أيضًا إلى الآباء هدية تتمثل في الوقت الذي يمضونه مع أبنائهم. تتطلب أغلب المشاركات الرياضية قدرًا لا بأس به من التنقل بالسيارة للوصول إلى أماكن التدريبات والمسابقات الرياضية، ومن واقع خبرتي، تحدث هناك بعض أصدق المناقشات وأكثرها تلقائية مع ابني المراهق. يتعلق قدر كبير من التربية بالوجود مع أبنائنا حين يقررون التحدث إلينا. ووجدت أيضًا أنه كلما كانت الأجواء في السيارة مريحة وأكثر إيجابية، يغتنم الأطفال الفرصة للتحدث بشأن موضوعاتهم الشائكة، موضوعات لن تظهر على الأرجح في اليوم المكتظ بالأعمال، والمشحون بالتوتر، والذي يأخذ من أداء المهام محورًا له؛ فهذا هو المكان المناسب للتحدث بشأن التقلبات التي تحدث في المباراة أو في التدريب، مكان للاعتراف بخيبات الأمل، أو الإرهاق، أو الشغف، أو عدم الاكتراث.

وللأسف اكتشف "بروس براون" و"روب ميلر"، مدربان سابقان يديران الآن شركة برو أكتيف كوتشينج، وهي شركة ذات مسئولية محدودة، أن هذا الوضع لا ينطبق على أغلب العائلات؛ فعلى مدار اثني عشر عامًا، أجرى "براون" و"ميلر" دراسة استقصائية غير رسمية على الرياضيين عما يجعل الآباء داعمين لأبنائهم وفعَّالين في أنشطة المجال الرياضي. وحين سأل "براون" الرياضيين الجامعيين سؤالًا، هو: "ما أسوأ ذكرى لديكم من ممارسة الرياضات الشبابية ورياضات مرحلة الثانوية؟" جاءت إجابتهم قوية وصادمة، حيث أجاب بعضهم قائلًا: "طريق العودة إلى المنزل بعد

المباريات مع آبائنا"٣. من الواضح أن المراهقين في جميع أنحاء البلاد يتشاركون استياءهم من رحلات العودة بالسيارة من أماكن اللعب إلى المنزل برفقة آبائهم التي غالبًا ما تكون مشحونة بالتوتر؛ حيث يستغل الآباء ساعات السفر لانتقاد اللاعبين، وتقييم المدربين، والسخرية من الحكام؛ فهذه فرص كبيرة للتربية يهدرها الآباء، ساعات يمكن استغلالها في إجراء الأحاديث واستمتاع بعضنا برفقة بعض.

توصلت هذه الدراسة في ضوء هذا الاكتشاف إلى نتيجة منطقية توضيحية عن الأشخاص الذين يود الأطفال **فعلًا** أن يصحبوهم في مبارياتهم – ومن المفترض أيضًا– في السيارة في طريق عودتهم إلى المنزل وهم: أجدادهم؛ فالأجداد لا ينتقدون أو يدققون في أدق تفاصيل كل لحظة من لحظات المباراة. ولا ينتقدون إستراتيجية المدرب أو قرار الحكم. ويدعم الأجداد أحفادهم حتى حين يواجهون لحظات الفشل في الملعب من دون دوافع أو نيات خفية؛ لذلك إذا أردت أن تكون ذلك الشخص الذي يرغب ابنه في الوجود معه بعد المباراة النهائية، فتصرف مثل الأجداد. فعندما يرزق أطفالك بأطفال، هل تتصور أن رد فعلك تجاه هدف ضائع سيكون انتقاد أحفادك أو توبيخهم، أم ستستمتع ببساطة برفقتهم؟ كانت أمي دائمًا ما تخبرني بأن أروع شيء في مرافقة الأحفاد هو أن الأجداد يستمتعون بالأوقات الجميلة برفقتهم (مثل مشاهدة تدريباتهم الرياضية) دون الشعور بالقلق والتوتر بشأن أدائهم. فسواء حاول الأحفاد، أم فشلوا، أم نجحوا، فهم لا يكترثون لذلك، كل ما يرغبون فيه هو أن يكونوا برفقة أحفادهم، وتشجيعهم خلال كل هذا. ألن يكون من المريح الاستمتاع بالأوقات الممتعة **الآن** مع الأبناء –بدلًا من انتظار جيل الأحفاد– وترك المدرب يكون المسئول عن أداء ابنك وفريقه في المباراة النهائية؟ فهذا الأمر ليس حلمًا صعب المنال. دع المدرب والحكم يؤديا وظيفتيهما، وعندما يحين وقت ابنك لكي يلعب، اجلس في المدرجات وكن الأب.

الآباء المتوترون على الخطوط الجانبية للملعب

لا يستفيد أحد مما يفعله الآباء في أثناء المباراة، حين يشعلون أجواء المنافسة عن طريق الصراخ والتوبيخ والجري حول الملعب، وانتقاد اللاعبين والمدربين والحكام. يشعر الأبناء بالبؤس، ويستشيط المدربون غضبًا، ولا يجعل كل هذا التوتر الآباء سعداء. فإذا كنت واحدًا من هؤلاء التعساء، فعليك أن تعلم أن الوحش الذي يظهر في المدرجات يعيش في داخلنا جميعًا، وهو جزء من

تكويننا البيولوجي، ولقد أشارت "ويندي جرولنيك"، الطبيبة النفسية، إلى هذه الاستجابة بوصفها "ظاهرة الآباء المتوترين".

فهذه الظاهرة تنتج عن القلق، النابع من احتدام المنافسة – سواء كانت أكاديمية، أم رياضية، أم اجتماعية، أم فنية – التي يواجهها أطفالنا في وقتنا هذا، وتحفز استجابتنا الفسيولوجية الفطرية؛ فهو ضغط داخلي قوي للغاية، لدرجة أننا لا نستطيع الشعور بالراحة إلا بعد أن نشعر بأن ابننا في أمان، وقُبِل للالتحاق بتلك المدارس المميزة (التي توفر وسائل التعليم المتطورة) أو التحق بفرقة المدرسة الموسيقية٤ أو انضم إلى الفريق الرياضي الجامعي.

تشرح "جرولنيك" المشكلة الكامنة في الشعور بتلك المشاعر الطبيعية بالكامل، وهي أنها "تؤدي إلى عزل أبنائنا عنا، وهو عكس ما كنا ننشده تمامًا؛ لأن – ومن عجيب المفارقات هنا– غياب هذا الضغط هو ما يسمح لأطفالنا بأن يظلوا بالقرب منا، وأن ينجحوا على حد سواء"٥. وعلى الرغم من ذلك، حين نرى أطفالنا يتعرضون إلى الضغط، حتى إن كان هذا الضغط نتيجة ضربهم كرة البيسبول الطائرة، فإن استجابة الكر والفر تبدأ الحدوث. ربما يدرك مخك أن ابنك ليس في خطر، ولكن جسدك يدخل في حالة التأهب القصوى، ويرتفع مستوى الكورتيزول إلى مستوى عالٍ للغاية. وفور حدوث هذه الظاهرة، تبدأ هرمونات التوتر لدينا في التدفق، وحينها يكون من الصعب للغاية أن تهدأ وترى الدروس المستفادة من الفشل، فهذه الظاهرة تزيد من انفعالاتنا وإحساسنا بالأزمات، لذا عندما نشعر في هذه الأوقات بأن قلقنا الأبوي، وتنافسنا بدآ التصاعد، فمن المهم بشكل خاص إدراك حقيقة الظروف التي نعيشها، وهي: أنها مجرد مباراة. فاسمح لنفسك بالشعور بالحزن إن كان عليك ذلك، ولكن يجب ألا تنفعل وتتوتر، واهدأ فحسب؛ فالسبب وراء بدء ممارسة الأطفال الرياضة في المقام الأول هو أن يحظوا بالمرح، ويتدربوا، ويتعلموا دروسًا لا تقدر بثمن عن الروح الرياضية وروح الفريق. ولا بد من أن يظل هذا الأمر هو الهدف، حتى حين تزداد المخاطر وتكون التطلعات إلى المجد على المحك.

يمكن أن تكون التربية والمنافسة مزيجًا مريعًا، خاصةً حين يضع الآباء أبناءهم بعضهم في منافسة ضد بعض. ويوصي "دانيال بينك" في كتابه **الحافز**_* "بعدم وجود منافسة" بين فرق العمل، حيث يقول: "إن خلق منافسة بين زملاء العمل على أمل أن تحفزهم تلك المنافسة على الأداء بطريقة

أفضل، لا يجدي نفعًا، وغالبًا ما يقوض التحفيز الداخلي"٦؛ فالعائلات مثل –الشركات والفصول المدرسية – تُدار بشكل أفضل في ظل غياب التوتر الناتج عن المنافسة.

ومن ثمَّ، تشجع المنافسةُ الرعايةَ المفرطة، حتى إن كانت المنافسة لمجرد نيل الاستحسان، وليس للحصول على الجوائز والمنح الدراسية. وفي إحدى الدراسات التي أُجريت على مجموعة من الثنائيات التي تضم الأمهات وأطفالهن، طُلب من الأطفال إكمال استبيان تحت عنوان "معلومات شخصية". وطلب من نصفهن إكمال النموذج "على سبيل التسلية". بينما تم إخبار الجزء الثاني من الأمهات بأن أبناءهن سيقابلون مجموعة من الأطفال الذين سيستخدمون النموذج الذي قاموا بملئه لـ"تقييم" أبنائهن، جلست مجموعة الأمهات الأولى –اللائي لا يتوقعن أن يُقيَّم أبناؤهن من خلال النموذج – وشاهدن أبناءهن يملأون النموذج بأنفسهم، في حين أن الأمهات – اللائي يعرفن أن أبناءهن سيتم تقييمهم والتدقيق بشأنهم – ضغطن على أطفالهن لكتابة إجابات توضح مدى كفاءتهم، وتساعدهم على نيل إعجاب الأطفال الآخرين؛ ففكرة أن يتم تقييم أطفالهن أو مقارنتهم بأطفال آخرين دفعت هؤلاء الأمهات إلى اتباع أسلوب الرعاية المفرطة٧. والآن تخيل هؤلاء الأمهات –بعد خمس أو ست سنوات، في مباراة كرة القدم لإظهار المواهب – يشاهدن المدربين، وهم يدونون الملاحظات على مهارات أبنائهن في الملعب، أو عندما يكون أمر قبولهم في الجامعات أو فوزهم بالمنح الدراسية، أو ربما استكمال مسيرتهم المهنية في الرياضة على المحك، حيث تحتدم المنافسة بين اللاعبين. ومن ثم، حين تفتح أبواب المنافسة، يصب هؤلاء الآباء قلقهم على المدربين، وغيرهم من الآباء، واللاعبين، وأبنائهم كذلك.

بعدما رأت إحدى الأمهات أبناءها الخمسة يتمتعون بحياة رياضية ناجحة في رياضات الناشئين، اعترفت لي بأنها صرفت ابنها السادس عن المضي في الطريق نفسه؛ فقالت لي: "لم أعد أستطيع تحمل هذا الأمر. لقد أمضيت أعوامًا أشجعهم وأدعمهم، وأعلم أن الرياضة وسيلة رائعة للحفاظ على اللياقة البدنية، ولتعلم العمل الجماعي، ولكنني لم أعد أتحمل حضور مباراة تنافسية واحدة في رياضة القنص في المدرجات. إن ما يتعلمونه من دروس وما يحصدونه من جوائز يعد أمرًا رائعًا، وسعدت لأن أبنائي قاموا بتجربة ذلك الأمر، ولكنني اكتفيت من كل ذلك".

ستسعد تلك الأم عندما تعلم أن تلك الإيجابيات التي حصلت عليها – مثل الجوائز والمكافآت – ربما لا تكون أمورًا إيجابية بالقدر الذي اعتقدنا أنها عليه؛ فالجوائز، والميداليات، والمنح الدراسية التي نمنحها أبناءنا بوصفها مكافآت على جهودهم الرياضية لا تزيد فقط من حس المنافسة والقلق لديهم، بل أيضًا تقوض حافزهم. مثلها مثل المكافآت التي نمنحها إياهم للسلوكيات الإيجابية التي تقتل التحفيز الداخلي لديهم على الصعيدين الاجتماعي والدراسي، وأيضًا تثبط روح المشاركة والحماس في الرياضة وغيرها من الأنشطة الترفيهية. وفي إحدى الدراسات، طلب الباحثون من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة والحادية عشرة اللعب على جهاز "ستابيلوميتر"، وهو جهاز لقياس التوازن، وأثبت أن الأطفال في ذلك العمر يستمتعون به كثيرًا. تلقى نصف الأطفال مكافأة نتيجة لعبهم على هذا الجهاز، أما النصف الآخر فلم يتلقَّ شيئًا. وبعد عدة أيام، طُلب من هؤلاء الأطفال العودة واللعب مرة أخرى، وتم إعطاؤهم مجموعة متنوعة من الخيارات للعب، ومن ضمنها اللعب على جهاز ستابيلوميتر، فقضى الأطفال الذين تم منحهم مكافأة في المرة الأولى وقتًا أقل في اللعب على الجهاز من الأطفال الذين لعبوا عليه من أجل استمتاعهم الشخصي في جلسة اللعب الأولى. وهذا مثال جيد على كيفية تقليص المكافآت للمتعة والتحفيز، ولو في الأنشطة الترفيهية غير التنافسية التي ليس لها هدف واضح أو نقطة نهاية.

لا أقترح أن نقضي على المنافسة والمكافآت نهائيًّا، ولكن منح مكافآت لكل الأطفال لمجرد مشاركتهم في الملعب يعد مضرًّا لشعور الطفل بقيمته الذاتية. على الآباء إيجاد طريقة وسط لبث السعادة في نفوس أبنائهم ما بين الجوائز التي يحصدها الأبناء لمجرد المشاركة، والدافع التنافسي الباعث على التوتر، الذي من أجله يضحون بالروح الرياضية لابنهم، وبأدائه الجيد، وحافزه كذلك. طلبت من "هانا كيرني"، الحاصلة على الميدالية الأوليمبية مرتين في التزلج الحر على الجليد، أن تصف لي سمات الأب المثالي في مجال الرياضة، فقالت:

الآباء المثاليون في مجال الرياضة هم الآباء الذين لا تسمع صوتهم أبدًا من المدرجات, ولا بد من أن يكونوا حاضرين بعد اللعبة لتقديم الدعم حين تحدث الأمور التي قد تحزن أطفالهم، مثلًا عندما يتم طردهم من الفريق، أو حين يتعرضون للإصابة، فهذا عادة ما يحدث في الرياضة، ولكن الأب المثالي هو من يوجد بعد حدوث الأمور المحزنة؛ ليستمع إلى الطفل ويساعده على استخلاص الأمور الإيجابية من تلك الأمور المحزنة. وعليَّ أن أعترف بأن أبويَّ قدما لي سروال كرة قدم

مكافأةً لي حين كنت في العاشرة من عمري من أجل الالتزام بالتدريب في الأسبوع الأول، وأذكر الحماس الناتج عن الهدف الأول الذي أحرزته. ومنذ ذلك الهدف فصاعدًا، كرست حياتي للرياضة، وكانا موجودين دائمًا من أجلي. ضحت أمي وأبي بكل شيء من أجل مستقبلي في التزلج على الجليد، ومستقبل شقيقي في رياضة الهوكي. كانت أمي تقوم بتوصيلي ذهابًا وإيابًا من ووترفيل فالي وإليها]منطقة للتزلج على الجليد في نيو هامبشير[، وكانت تحمل جهاز مسجل الأغاني الضخم في سفح الجبل الجليدي كي أتمكن من سماع الموسيقى التي أفضلها وأنا أتدرب على حركاتي واستعراضاتي المعتادة، وكانت تنسخ لي فروضي المدرسية؛ كي أنجزها في أثناء رحلة ذهابي وعودتي. كانا داعمين لي، ولم يضغطا عليَّ قط. فبعد أن يجد الطفل الرياضة التي يحبها، يجب أن تكون تلك الرياضة دافعة له ليتقدم في حياته، وإلا ستكون كارثة بالنسبة إلى الجميع.

الدليل إلى التربية الناجحة غير المباشرة

من أجل أن تكون ذلك الأب الذي يمكنه مساعدة طفله على إيجاد الأمور الإيجابية في الأمور المحزنة، شددت "كيرني" وغيرها من الرياضيين، والمدربين، والآباء في مجال الرياضة الذين أجريت معهم حوارات، على المبادئ التوجيهية الآتية، التي توضح لك كيف تكون ذلك النوع من الآباء الذين يرغب أطفالهم في قضاء رحلات العودة من المباريات إلى المنزل معهم، سواء كانت من مباراتهم الأولى في رياضة البيسبول المخصصة للأطفال، أم من المباراة النهائية في بطولة العالم.

كن الأب، وليس المدرب.

ما لم تكن سلامة ابنك معرضة للخطر، فلا تصرخ من المدرجات، ولا تنتقد قرارات المدرب، أو قرارات الحكم في السيارة بعد المباراة، ولا تصدر أية قرارات لها علاقة بالتدريب وأنت جالس في منزلك على مقعدك في غرفة المعيشة. لا تتردد في التحدث مع المدرب بشأن الوسائل التي تساعد ابنك على تطوير نفسه، أو بشأن سلوكياته في أثناء التدريبات والمباريات، أو سبل حل المشكلات المتعلقة بالإصابات، ولكن **لا** تتناقش معه بشأن الأطفال الآخرين في الفريق، أو إستراتيجية الفريق، أو وقت مشاركة ابنك في المباراة.

لا تسب المدرب أمام ابنك أبدًا.

فهذا يدمر ثقة ابنك بمدربه، واحترامه إياه، وإيمانه به، ويخلق مشكلة نفسية حقيقية لابنك. فإذا اتفق معك، فهو بذلك يخون ثقة مدربه به، وإذا اتفق معه، فهو بذلك يخون ثقتك أنت. فلا تعرضه لذلك الموقف. تحدث إلى المدرب أو عنه فقط عندما لا يكون ابنك بجوارك، حتى لا يتمكن من سماعك.

لا تطلب من ابنك تحقيق أحلامك الرياضية.

لا يهم كم كنت موهوبًا في لعبة الكرة اللينة، أو كرة القدم، أو الشطرنج حين كنت طفلًا؛ فطفلك يختلف عنك. فلا تكن الأب الذي يحاول العيش في أمجاد الماضي مرة أخرى، أو يحاول تحقيق أحلامه التي لم يستطع تحقيقها من خلال ابنه. ربما تحب البيسبول من كل قلبك وروحك، وجهزت ملابس طفلك مطبوعًا عليها شعار فريقك المفضل ريد سوكس قبل ميلاده، ولكن بما أننا لم نتوصل قط إلى الاستنساخ البشري، فإن طفلك ستكون له رغباته، وأمنياته، وأحلامه الخاصة به. فامنحه فرصة لاكتشاف تلك الأحلام بدلًا من فرض أحلامك عليه.

ازرع في طفلك عقلية النمو مع توفير مجال واسع لتجربة الفشل.

الرياضة صعبة، وتزداد صعوبة حين يحصل الأطفال على مراكز متقدمة. وقد أوضحت "كارولين جلايش" –المتزلجة المحترفة ولاعبة رياضة المغامرات – أن التحول من كونها رياضية تمارس الألعاب الرياضية الترفيهية إلى أن تكون رياضية محترفة كان أمرًا صعبًا بالنسبة إليها في البداية؛ لأنها كانت تعتمد العقلية الثابتة حينها، حيث تقول:

كان عليَّ حقًّا تغيير طريقة تفكيري، فدائمًا ما كان أبواي يخبرانني بأنني رائعة، وأنني لن أضطر أبدًا إلى الاجتهاد في رياضتي، ولكنني فكرت في أن هناك أشياء لا أستطيع القيام بها في الرياضة التي أمارسها مثل قفزات التزلج. كنت أرى الآخرين يقومون بعمل حركات مدهشة، بينما لا أستطيع أنا القيام بها، وعندما فكرت في الأمر اكتشفت أنني لم أكن أحضر صفوف الرياضة البدنية، فكان عليَّ التحول مما لا أستطيع القيام بعمله إلى ما أستطيع القيام به، وكان عليَّ الاجتهاد في هذا الأمر. وأصبح ذلك جزءًا من المرح، أن أستمر في التركيز على الهدف، وإن ازدادت صعوبة الأمور.

تفوقت "جلايش" في رياضتها؛ لأنها أدركت أن إخفاقاتها المبدئية هي خطوات مهمة نحو تحقيق إنجازاتها النهائية، تلك الخطوات التي تجعل الانطلاق النهائي إلى قمة جبل، أو أعلى كتلة ثلجية

أكثر جدوى من ذي قبل.

اعرف الفرق بين الاستسلام والفشل.

من السهل على الرياضيين الناجحين والمحترفين تذكر إخفاقاتهم ولحظاتهم الصعبة بإعزاز وحماس، ولكن ماذا لو كانت الصعوبات يستحيل التغلب عليها، وحان الوقت لتقبل حقيقة أن المسيرة المهنية، أو المشاركة في رياضة ما أيضًا لا يمكن لها الاستمرار؟ يشير "مايكل تومسون" – الطبيب النفسي والكاتب – إلى أن هناك وقتًا يجب علينا جميعًا أن نقرر فيه إن كان الكفاح – سواء أكان كفاحًا في رياضة، أم في علاقة، أم غير ذلك من الدروب التي اخترنا أن نسلكها– يستحق المعاناة أم لا. "بمفهوم أوسع، كل أشكال التعلم والنمو تتطلب كفاحًا، ولكنَّ هناك فرقًا بين تجربة الكفاح التي تفضي إلى النجاح وتجربة الكفاح التي تفضي إلى كفاح أكبر"٨. ليس مقدرًا لكل طفل أن يصبح رياضيًّا محترفًا، وبينما يمر الطفل بسلسلة من الإخفاقات وصولًا إلى المرحلتين الثانوية والجامعية بما فيهما من أجواء تنافسية صعبة فيما يتعلق بالألعاب الرياضية، سيتحتم عليه تقريبًا أن يقرر متى يستسلم. وعندما يحدث هذا الأمر، يكون الآباء مكلفين بواجب مساعدة أبنائهم في معرفة قيمة ممارسة الرياضة، سواء كانت هي المرح، أم اللياقة البدنية، أم الدروس التي تعلموها كالشجاعة، والفشل، والتغلب على الصعاب، وروح الفريق، والعمل الجماعي؛ فتلك الدروس لن تضيع بمجرد توقفهم عن ممارسة اللعبة. سمعت العديد من الآباء يستخدمون عبارات –مثل "لن أسمح بأن يكون طفلي مستسلمًا" أو "عليَّ أن أُعلم ابني أن يتابع التزاماته تجاه الفريق"– باعتبارها أسبابًا لإرغام الأطفال على اللعب، حين يتوقفون عن حب الرياضة التي يمارسونها، لكن هذا النهج يمكن أن يكون خاطئًا كما أخبرني "كيه. سي. بوتس" مدرب كرة السلة ومعلم اللغة الإنجليزية، حيث يقول:

من الأمور السيئة في الرياضة الشبابية أن الأطفال كثيرًا ما ينعتون بأنهم صغار، أو بعدم معرفتهم ما تقتضيه ممارسة الرياضة، وحين يدرك الطفل حقيقة الأمر، ويأتي إلى والديه يقول لهما: "أنا لا أحب هذه الرياضة"، حينها يردد الوالدان عبارة من قبيل: "لا يمكنك الانسحاب في أثناء الموسم"، ويرغمان الطفل على البقاء في الفريق؛ فهناك شرف في التمسك بـ"الالتزام" الذي ألزمنا أنفسنا بإتمامه، ولكن الأطفال الصغار غالبًا لا يعدون بالالتزام، ويجلب إصرار الآباء التعاسة إلى الجميع: إلى المدرب الذي يجب أن يجد وقتًا للاعب لا يرغب في اللعب، وإلى الآباء الذين يصدقون بشكل ما أنهم يشكلون شخصية طفل هو في نظرهم لا يملكها، والأهم من كل ذلك إلى طفل لا يلعب بغرض

المتعة، ولكن من أجل الوفاء بالالتزام. لا أحد يحظى بالسعادة، ولا أحد يحقق الفوز.

على أية حال من المفترض أن تكون الرياضة ممتعة. كانت هذه المشاعر الأولى التي سمعتها في كل القصص التي أخبرني بها الرياضيون الناجحون. وقبل كل شيء، فهم يحبون رياضتهم التي يمارسونها ويستمتعون بممارستها، كذلك في وقت التدريب. عد بذاكرتك إلى مباراة ابنتك الأولى في رياضة البيسبول المخصصة للأطفال، هل تتذكر كيف كنتَ تُذكر ابنتك بالانتباه في أثناء اللعب عندما كانت تلعب بشكل عشوائي، وتضرب الأرض بقدمها، فتثير عاصفة من التراب تعوقها عن رؤية ضارب الكرة؟ وهل تذكر كيف ترك كل لاعب ساحة الملعب من أجل الركض وراء كرة خاطئة خارج الملعب؟ وكيف ضحكت أنت من الأمر بعد ذلك؛ لأن التجربة والذكريات كانت أهم من النتيجة النهائية؟ هكذا يجب أن تكون الرياضة ومرحلة الطفولة، حتى إن كان أبناؤنا يحلمون بالمجد الأوليمبي، أو بمنحة كاملة في جامعة ديوك؛ فبينما يحرزون تقدمًا وينتقلون من فريق إلى فريق، ومن دوري إلى دوري، أو يتوقفون عن ممارسة الألعاب الرياضية تمامًا، يعتمد الأبناء على الآباء لإرساء أسس فريقهم العائلي، ولإمدادهم بذلك النوع من الدعم الثابت الذي بإمكانه مساعدتهم على التغلب على إخفاقاتهم المذلة والمهينة. وفي هذه الأوقات يكونون بحاجة إلى أن نذكرهم بأنهم ما داموا يظهرون في الساحة، ويبذلون قصارى جهدهم – سواء كان في الرياضة أم في غيرها– سنبقى بجانبهم إلى النهاية، وسنكون في المدرجات لتشجيعهم.

---

* متوافر لدى مكتبة جرير

٨: المرحلة الإعدادية: وقت ذروة الفشل

"هل تقومين بالتدريس للمرحلة الإعدادية؟ حقًّا؟".

عادة ما يتخلل هذا السؤال المطروح اندهاش المتسائل ونظرة شفقة منه.

أجل. هذا صحيح؛ فأنا أمضي ثماني ساعات يوميًّا بصحبة "المراهقين" في سعادة، وهم مجموعة من الأشخاص يُفْهَمون على نحو خاطئ في كثير من الأحيان، ويتم تشويه سمعتهم، وهم خبراء في الإخفاقات اليومية على الصعيدين الدراسي والاجتماعي كذلك. حتى أقراني من المعلمين الذين يدركون البهجة والمكافآت الكامنة في التعليم، غالبًا ما ينظرون إلى الصف المدرسي للمرحلة الإعدادية بوصفه عذابًا تعليميًّا ومهنيًّا. وحينما سألت الآباء عن مشاعرهم الإيجابية بشأن المرحلة الإعدادية، عرضت إحدى الأمهات أن تتحدث بالنيابة عن المجموعة، فقالت: "أعتقد أنني في حاجة إلى الابتعاد قليلًا عن هذه المرحلة، وأن يتخرج أبنائي منها؛ كي أجد حكايات ممتعة أخبرك بها".

ولكنني أختلف معها تمامًا.

بالطبع، طلاب المرحلة الإعدادية صعبو المراس، ويتطلب التعامل معهم مجهودًا كبيرًا، فهم في مرحلة انتقالية في حياتهم؛ إذ إنهم يبدون أكبر من عمرهم، ولكنهم ما زالوا غير ناضجين. لا يمكنني التخيل أحيانًا أن هؤلاء الأطفال سيكونون مستعدين لمجابهة العالم وفقًا لشروطه؛ حيث إنهم كثيرو المطالب، وفضوليون، ومتهورون، ومتقلبو المزاج، ويمكن أن يكونوا مثيري الغضب، وذلك ما يساعدهم على التعامل مع المواقف الشائكة التي تقابلهم في المرحلة الإعدادية، والظهور باعتبارهم أشخاصًا ذوي خبرة.

إليك الحقيقة الرائعة والمُرة في الوقت نفسه بشأن المرحلة الإعدادية: إنها مرحلة تأسيس وإعداد؛ حيث يطلب معلمو المرحلة الإعدادية من الطلاب أن ينجحوا في مهام لا تستطيع عقولهم غير الناضجة، وغير المستعدة، إتقانها بعد، ومن ثم، فإن الفشل لا يكون مسألة افتراضية، بل يكون مسألة وقت. هذه إحدى الحقائق الأولى التي أخبر بها آباء الطلاب الذين سأدرس لهم في عشية يوم

العودة إلى المدرسة؛ لأنه كلما تقبلوا هذه الحقيقة في وقت مبكر، كانت حياة الجميع سهلة أكثر على مدى السنوات الثلاث التالية. ويحب بعض الأطفال هذا التحدي، ويزيدون من جهودهم للتصدي له، كأنهم كانوا ينتظرونه طوال حياتهم، حيث كانوا ينتظرون فرصة؛ ليحظوا أخيرًا ببعض الاعتماد على الذات، ويتحملوا مسئولية أفعالهم:

إن فكرة أن تكون مسئولًا عن أفعالك هي أفضل شيء في الانتقال إلى المرحلة الإعدادية. ففي المرحلة الابتدائية، دائمًا ما كان يذكرك معلموك بأن تسلم فرضك المدرسي، وتعلق معطفك، وتنتبه إليهم، وتظل منظمًا، فقد كان الصف الخامس وما قبله مجرد سنوات أمضيناها في تحضير أنفسنا لتلك الأحداث المستقبلية المحتملة التي كانت تخيفنا، وتتمثل في المرحلة الإعدادية؛ لذا كان الوصول إليها أخيرًا بعد فترة من الترقب يعد مكافأة في حد ذاته.

هذه فرصة رائعة بالنسبة إلى هؤلاء الأطفال المستعدين لتولي زمام أمور حياتهم، أما بالنسبة إلى الأطفال الآخرين، فإن الانتقال إلى المرحلة الإعدادية ليس أمرًا سهلًا؛ فالمرحلة الإعدادية تتطلب المزيد من التنظيم، والتخطيط، وإدارة الوقت، والتركيز على الأمور المهمة لتحقيق النجاح في هذه المرحلة، وهي الأمور التي لا يستطيع المراهقون إتقانها كلها، على الأقل ليس في آنٍ واحد؛ فبعض الأطفال يمكنهم القيام بمهارة واحدة أو اثنتين من تلك المهارات في الوقت نفسه، ولكن بالنسبة إلى أغلب طلاب المرحلة الإعدادية، فإنهم لا يستطيعون إتقانها جميعًا بشكل حقيقي إلى أن يصلوا إلى المرحلة الثانوية. فكر في الأمر على النحو التالي: لا يمكن للرضع التحدث بعد؛ لأن مخهم لم يتطور بالشكل الكافي لإتقان المهام المعقدة المتمثلة في صياغة الجمل والتلفظ بها. ولا يمكن للأطفال في بداية مرحلة المشي التخطيط للمشروعات طويلة الأجل وتنفيذها؛ لأن الروابط العصبية لم تكتمل داخل مخهم بالشكل الذي يسمح لهم بالتخطيط على المدى الطويل وتنفيذ مهام معقدة متعاقبة، فنحن لا نتوقع من الأطفال الصغار أن يكونوا قادرين على فعل تلك الأمور، ولكننا نتوقع من طلاب المرحلة الإعدادية أن يكونوا قادرين على التعامل مع الأمور الصعبة التي تواجههم في المرحلة الإعدادية، على الرغم من أن روابطهم العصبية أيضًا ما زالت غير مكتملة بالشكل الكافي الذي يسمح لهم بتنفيذ مطالبنا التي نلقيها على عاتقهم.

قد يكون من الصعب تذكر هذه الحقيقة بشأن المرحلة الإعدادية، خاصة حين يبدو بعض الطلاب كأنهم أشخاص بالغون بنهاية الصف الثامن نتيجة تلك التقلبات التي تحدث لهم في مرحلة البلوغ. لقد

قمت بالتدريس لأطفال لهم ملامح طفولية، يجلسون إلى جانب فتية لهم حجم الرجال، ولا بد لهم من حلاقة شواربهم كل يوم, فعلى الرغم من المظهر الذي يبدون عليه، فإن هؤلاء الأطفال الذين يبدون أكبر من عمرهم ما زالوا أطفالًا؛ لأن عقولهم لم تكتمل بعد، ومن المهم تذكر هذا الأمر، ونحن ننتظر بصبر أن تواكب خلاياهم العصبية مظاهرهم.

يستعد أعضاء هيئة التدريس لمساعدة طلاب الصف السادس الذين يتعثرون في يومهم الأول في المدرسة؛ فيمضون أول شهرين يراقبون الطلاب وهم يدفعون بالورق المجعد داخل خزائنهم، ويساعدونهم على تنظيم الفوضى الناتجة عن تناثر الأوراق حين تقع من حافظاتهم أحيانًا، ويقترحون عليهم أساليب لتذكيرهم بالحصص التي تلي حصة اللغة الإنجليزية ولتذكيرهم بالمعدات التي يجب أن تكون معهم في حصة مادة العلوم. تصف إحدى الأمهات الفوضى التي تحدث في المرحلة الإعدادية بهذه الطريقة، إذ تقول: "أشعر بالخوف في كل مرة تمتد يدي فيها إلى حقيبة ابني المدرسية؛ فأنا لا أعرف ما الذي يمكن أن يكون في داخلها، وهو لا يعرف أيضًا".

فتعلم التنظيم، والتخطيط، والتغلب على العقبات الناتجة عن الفوضى يتطلب جهودًا متضافرة من الطلاب، والآباء، والمعلمين، فحتى أنا عادة ما تساورني المخاوف أحيانًا بشأنهم، حيث أشعر بالقلق على مستقبلهم. وأشعر بالقلق حيال الوقت الثمين الضيق المتاح أمامي لتجهيزهم من أجل مرحلة الثانوية الأكثر تعقيدًا وصعوبةً، ولا أتصور أن يكون هناك ما يكفي من الوقت لإعدادهم، ولكنَّ هناك دائمًا ما يكفي من الوقت؛ فطالب الصف السادس – المتأخر بشكل مزمن، وغير المنظم الذي لا يستطيع المواظبة على السير وفق مخطط ما يومين على التوالي– يمكنه بشكل ما إدارة حياته الأكاديمية في الوقت الذي يتخرج فيه من المرحلة الإعدادية، وينتقل إلى المرحلة الثانوية.

لذلك لا تخف؛ فالفشل أمر طبيعي في المرحلة الإعدادية، لذلك تقبل الأمر؛ فالجميع يتقبله، حتى الأطفال المتفوقون، وكذلك الأطفال الذين يتسمون بوعي شديد؛ فما زالت المخاطر منخفضةً، ومعدل الفشل مرتفعًا، والمعلمون يدركون أن الكوارث الصغيرة تقع كل ساعة يوميًّا، لذلك استفد من كل تجارب التعلم خلال الإخفاقات التي تتعرض لها بشكل يومي، والتي تعد جزءًا لا يتجزأ من المرحلة الإعدادية.

السر يكمن في الوظيفة التنفيذية للمخ

المهارات المحيرة التي سيحتاجون إليها من أجل الصمود في المرحلة الثانوية والحياة هي جزء لا يتجزأ مما يطلق عليه المختصون النفسيون **الوظيفة التنفيذية،** أو مجموعة المهارات والعمليات العقلية التي تسمح لنا بإدارة وقتنا، ومواردنا، وانتباهنا من أجل تحقيق هدف ما. وهناك العديد من المهارات التي تشكل الوظيفة التنفيذية، وسأزعم أن تشخيص "قصور الوظيفة التنفيذية" ما هو إلا مرادف لـ"المراهقة المبكرة"؛ فالفشل في الانخراط أو الوصول إلى مهارات الوظيفة التنفيذية هو ما يسبب أغلب الكوارث التي تقع في المرحلة الإعدادية، ومنها تسليم المهام في موعد متأخر، ونسيان الفروض المدرسية، وفقدان الكتب المدرسية. وإدراك الأسباب الجذرية هو الخطوة الأولى نحو اكتساب منظور متعمق لهذه الفترة المثيرة للإحباط والغضب في حياة ابنك الأكاديمية، وهذا الإدراك أيضًا يجعلك متقدمًا بخطوة على الآباء الآخرين كلهم؛ حيث إنهم يشعرون بالقلق، ويبحثون عن إجابات عن مكمن خطئهم. والأفضل من كل ذلك، أنك ستكون قادرًا على التعامل مع الإخفاقات الحتمية التي سيواجهها ابنك نتيجة قصور الوظيفة التنفيذية، وستعلمه أساليب التغلب على المشكلات التي يجب أن يعرفها ليتجنب تكرار أخطائه.

وفي حين يبدو من المغري بالنسبة إليك أن تلقي باللوم في نقص الذكاء على قصور الوظيفة التنفيذية، لا تبدأ بهذا الأمر؛ فالأمران غير مرتبطين أحدهما بالآخر. وتتطور مهارات الوظيفة التنفيذية، بينما يتطور مخ المراهق، وكل ما يمكننا فعله باعتبارنا معلمين وآباء هو دعم الأطفال وهم يتعلمون من أخطائهم. وتتطور مهارات الوظيفة التنفيذية بمعدلات مختلفة، وبينما يكتسبها بعض الأطفال بسرعة، يستمر آخرون في مواجهة مشكلات تمتد إلى المرحلة الثانوية وما بعدها. وليس من قبيل المصادفة أن الطلاب الذين ينقذهم آباؤهم من المشكلات والمآزق، ولا يسمحون لهم بتحمل عواقب تلك الإخفاقات، يقومون بتطوير هذه المهارات بشكل أبطأ. والسبيل إلى مساعدة الأطفال في وضع الأنظمة التي يحتاجون إليها لاكتساب الوظيفة التنفيذية هو أن تدعهم يقومون بتجربة الفشل، دعهم يشعروا بالألم والانزعاج الناتجين عن أخطائهم، ثم ادعمهم في محاولتهم لتصحيح الأخطاء. ودعهم يحاولوا، ويفشلوا، ويعانوا قليلًا، ويصححوا أخطاءهم، ويحاولوا مجددًا، ومرارًا وتكرارًا إلى أن يتعلموا؛ فنسيان ابنك وجبات غدائه، أو حصوله على درجات متدنية نتيجة نسيانه الفرض المنزلي على طاولة المطبخ، سيعزز تلك المهارات بشكل أفضل من إبدائك تذمرك، أو إغداقك بالنصائح عليه؛ فكل تدخل في شئونه أو إنقاذ له يعد درسًا مهدرًا لم يستفد منه شيئًا؛ فالأبناء في

حاجة إلى كل دقيقة، وكل فرصة تعلم كامنة في إخفاقاتهم يمكننا منحهم الفرصة للتعلم منها قبل أن يواجهوا الصعوبات والعقبات الأكبر التي تنتظرهم في المرحلة الثانوية.

وبينما تنتظر تطور مخ ابنك، إليك ملخصًا لمجموعة المهارات والعادات التي تشكل تعريفًا شاملًا للوظيفة التنفيذية، بالإضافة إلى نصائح لتعزيز تلك المهارات ودعم ابنك، وهو يكافح من أجل الوصول إلى حلول قد يفشل في تنفيذها.

صعوبة ضبط النفس

ذات يوم من أيام الربيع الجميلة، بينما كنت أعد الملاحظات الخاصة بصف اللغة الإنجليزية، وكان الطلاب جالسين في مقاعدهم، شعرت بشيء سريع مر بجانب رأسي، وضرب في السبورة من خلفي, فتلفت حولي، لأحاول معرفة سبب الهجوم عليَّ، وأدركت أن شخصًا ما قذفني بقلم رصاص. وبمجرد أن نظرت نظرة واحدة للطلاب، عرفت مَن الفاعل, فقد كان واضحًا؛ حيث اتسعت عيناه، وكان فمه مفتوحًا، ويحاول جاهدًا أن يتجنب نظراتي. وبعد انتهاء الصف، انفردت به جانبًا وسألته عن سبب قيامه بذلك، فأجابني قائلًا:

"حسنًا، لم أكن **أستهدف** رأسك، كنت أستهدف سلة المهملات".

فأجبته قائلةً: "ولكن القلم الرصاص ذا السنون ليس بالشيء الذي يمكن التخلص منه... لا. انتظر. دعنا نتروَّ. فيم كنت **تفكر** قبل أن تقذفني بالقلم مباشرةً؟".

فنظر إلى قدميه وحركهما قليلًا، وقال: "لا شيء"، ثم نظر إليَّ مرة أخرى، ورفع كتفيه بلا مبالاة، واستطرد قائلًا: "لم أكن أعرف أنني سأقذف بالقلم إلى أن قذفته بالفعل، وحينها كان الأوان قد فات".

كانت إجابته صادقة؛ فالوسيلة الأساسية لمساعدة الأطفال على كبح سلوكياتهم المتهورة هي تعليمهم كيفية إدراك أنماط السلوك واللغة الجسدية التي تؤدي إلى الإتيان بهذه السلوكيات. فعلينا تنبيه المراهقين **قبل** أن يقذفوا بالقلم أو بالطائرة الورقية، أو تنبيههم إلى أرجلهم التي يهزونها أو أصابعهم المرتعشة، لكي يتمكنوا من ملاحظة هذه العلامات التي تنذر بمشكلات سلوكية؛ فالمراهقون معروفون بعدم إدراكهم الذاتي لتصرفاتهم وسلوكياتهم بشكل كبير، ولكن إذا نبهناهم إلى

العلامات التي تنذر بالمشكلات السلوكية بشكل كافٍ، فسيتعلمون إدراكها بمفردهم واستعادة تركيزهم قبل الإتيان بها. الأمر ليس سهلًا، بل هو إحدى الصعوبات الكبرى التي يواجهها المعلمون حين يهتمون وينظمون ما يحتاج إليه عشرون طفلًا أو أكثر في الوقت نفسه، ولكن تعليم الإدراك الذاتي يمثل جزءًا مهمًّا في مساعدة الطلاب على السيطرة على سلوكهم.

حتى بالنسبة إلى ذلك الطفل الذي ألقى بالقلم الذي مر بجانب رأسي، لقد تطلب تقويم سلوك هذا الطالب كل المرحلة الإعدادية، حتى عندما تمكن من الانتقال إلى المرحلة الثانوية متمتعًا بقدر جيد من ضبط النفس وبالقدرة على تمييز الأوقات التي يفقد فيها السيطرة على نفسه، كان هناك العديد من الإخفاقات التي واجهها طوال مسيرته، ولكنني أتمنى أن يكون معلموه وأبواه قد ساعدوه على تعلم درس في كل مرة تعرض فيها إلى إخفاق من تلك الإخفاقات.

إليك بعض الأساليب التي بإمكانها مساعدة الأطفال على التمتع بضبط النفس، وإدراك أنماط سلوكياتهم المزعجة والمشتتة للانتباه.

- الاتفاق على إشارة: كل ما يحتاج إليه بعض طلابي لاستعادة تركيزهم ورباطة جأشهم هو تنبيههم من خلال التربيت على أكتافهم؛ فقبل بداية الصف، حين تكون الأجواء مناسبة ويشعر الطالب بشعور إيجابي، أنفرد به جانبًا، وأعرض عليه إشارة يتفق عليها كلانا. يمكن أن تكون كلمة أو ضربة خفيفة على الكتف أو على الرأس، أو نظرة، أو أية إشارة يرغب فيها الطالب، وعندما ألاحظ أن الطالب يفقد انتباهه، أو يبدي علامات سلوكيات متهورة وشيكة الحدوث، أتجول بشكل طبيعي في الفصل وألجأ إلى إشارتنا المتفق عليها؛ فهي إستراتيجية فعالة للغاية، وبإمكانها أن تجدي نفعًا في المنزل أيضًا؛ فهي تقي الطفل من الشعور بالخجل، ويمكن أن تكون وسيلة تواصل دون اللجوء إلى إزعاجه أو الصراخ في وجهه.

- لعبة القلم الرصاص: علمني الطبيب النفسي للأطفال "وليام هيودنكو" أسلوبًا بإمكانه مساعدة الأطفال على إدراك علامات حدوث السلوكيات المتهورة الوشيكة، وتنبيه عقولهم بأن عليهم استعادة تركيزهم،

ومضمونها أن تعطي الطفل قلمين أو ثلاثة أقلام رصاص، وتعلمه أن يستخدمها بالتبادل حين يشعر بأن عقله بدأ يتشتت. الأمر الآن لا يتعلق بالقلم الذي سيستخدمه، بل إن تبديل الأقلام

الرصاص يعطي المخ إشارة فورية، مفادها: "لقد تم تشتيتي، عليَّ استعادة تركيزي مجددًا"، ويصبح تبديل الأقلام إشارة لمخه من أجل استعادة التركيز.

وبنهاية المطاف، لن يحتاج بعد ذلك إلى الأقلام الرصاص لتمييز تشتته؛ لأن المخ سيتعلم تمييز التشتت بمفرده، وسيبدأ بشكل أوتوماتيكي باستعادة تركيزه، ولكن في البداية، ستقدم الأقلام الرصاص سبيلًا، لكي يصبح الطفل واعيًا بالإشارات الدالة على بداية تشتته.

- الطريقة الثلاثية: إذا كان ابنك يفقد تلك الأقلام، أو يتردد في اصطحاب وسائل المساعدة المادية معه، فإن "هيودنكو" يقترح أسلوبًا آخر وهو الطريقة الثلاثية المكونة من التحديد، والتواصل البصري، والتكرار؛ فـ"التحديد" وفقًا لـ"هيودنكو" يعني "أن تعرف ما المهم لتركز عليه انتباهك"؛ فعلى سبيل المثال، إذا كان المعلم يشرح في الصف، فينبغي للطالب الاستماع إلى العناوين الأساسية التي يعتقد أنها مهمة. و"التواصل البصري" بمعناه الحرفي هو أن عليه التواصل بالعين مع من يتحدث معه. وأخيرًا، "التكرار" يعني أن يكرر ويراجع النقاط المهمة في عقله، من أجل نقلها من الذاكرة قصيرة المدى إلى الذاكرة طويلة المدى, ولا تستخدم هذه العملية من أجل حل مشكلات الانتباه فقط، ولكنها أيضًا تمنح الطالب شيئًا للتركيز عليه؛ ما يساعده على ترك السلوكيات المتهورة.

وستتطلب كل تلك الأساليب الوقت، والصبر، والممارسة لتنفيذها، وسيكون هناك العديد من الإخفاقات طوال الوقت، ولكن من المهم أن تتذكر أن التحدث عن عملية ضبط النفس، والوصول إلى خطة مثل لعبة الأقلام، أو الطريقة الثلاثية، سيمهد الطريق على الأقل للوعي بهذه القضية.

التدرب على المرونة العقلية

إذا دخلت إلى غرفة ابني وهو مستغرق في بناء مملكة خيالية من المكعبات، وقلت له إننا سنغادر في غضون خمس دقائق للتوجه إلى مدينة الملاهي، فسيعترض على منعي له من إكمال لعبه بالمكعبات. وهذا ليس لأنه لا يود الذهاب إلى مدينة الملاهي، بل لأنه لم يستمع إلى ما أقول، فكل ما يسمعه ويدركه هو أنه سيكون هناك تغيير، وهو الأمر الذي لا يعجبه. وسيستغرق هذا منه دقيقة واحدة أو اثنتين للتحول من المكعبات إلى لعبة الأفعوانية.

وعدم وجود المرونة الإدراكية أمر طبيعي في عمر الخامسة، ولكن فور التحاق ابنك بالمرحلة الإعدادية، سيكون من الواجب عليه تعلم كيفية الانتقال من قدرة ذهنية إلى أخرى عدة مرات في اليوم.

إن الانتقال من المنزل إلى المدرسة هو أحد أصعب الانتقالات بالنسبة إلى طلاب المرحلة الإعدادية؛ فالمراهقون – وخصوصًا من هم في بداية مرحلة المراهقة – في حاجة إلى قدر كبير من الوقت في الصباح للاستيقاظ والاستعداد لليوم؛ فعندما يستيقظ ابنك قبل الموعد المحدد للمدرسة، سيعاني أضرارًا كبيرة، ولن يتمكن من استكمال استعداداته؛ فالأطفال حقًّا يحتاجون إلى عشر أو خمس عشرة دقيقة لإفراغ حقائبهم المدرسية، وإعادة ترتيب موادهم الخاصة بهذا اليوم الدراسي في داخلها، والتحدث مع أصدقائهم، وارتداء ملابسهم وضبطها، واستعادة تركيزهم قبل الحصة المدرسية الأولى؛ فمن دون هذه الفترة الانتقالية، تكون الحصة الأولى كابوسًا بالنسبة إليهم؛ حيث ستكون عقولهم وأجسادهم غير مهيأة، وأغراضهم غير منظمة، ولا يستطيع الكثير منهم استجماع قواهم حتى وقت الغداء، حيث يحصلون على وقت ليستريحوا، ويفرغوا حقائبهم، ويرتبوا أولوياتهم بقية اليوم.

فبمجرد وجوده داخل المدرسة، سيكون عليه الانتقال من حصة إلى أخرى، وبين مادة وأخرى، وإعادة توجيه مخه من مادة الرياضيات إلى اللغة الفرنسية، وتبديل أدواته ووضع الأغراض التي لا يريدها في خزانته، ويتكيف مع مختلف المعلمين، بقواعدهم، وتوقعاتهم، وشخصياتهم. وقد ظهر منذ بضع سنوات مثال توضيحي عن هذا النوع من عدم التحلي بالمرونة العقلية حين حضر طلاب الصف السابع الذين يدرسون اللغة اللاتينية حصتي مباشرةً إثر حصة اللغة الفرنسية؛ فحرف العطف "و" يكتب بالطريقة نفسها في اللغتين اللاتينية والفرنسية، ولكنه ينطق "*eh*" باللغة الفرنسية و"*et*" باللغة اللاتينية، فلاحظت أن الطلاب الذين لم يخطئوا قط في نطق هذه الكلمة، كانوا لا ينطقون حرف الـ "*T*"، وذلك حين كانوا يحضرون إلى حصتي مباشرة إثر حصة اللغة الفرنسية، وأصبحت دعابة مشهورة ذلك العام، وعندما انتقل الطلاب إلى الصف الثامن، ولم تعد حصة اللغة اللاتينية تأتي إثر حصة اللغة الفرنسية، اختفى هذا الخطأ كأنه لم يكن.

حتى بعد أن يتجاوزوا العديد من الفترات الانتقالية في يومهم الدراسي، ويتمكنوا من المحافظة على تركيزهم في أثناء ذلك الانتقال، يحول الأطفال تركيزهم بين الأمور الخارجة عن المناهج الدراسية؛ حيث يكون عليهم الانتقال بقدراتهم الذهنية المناسبة لكل موقف من تمرين كرة القدم، وإنجاز الفرض المنزلي، وتناول وجبة العشاء، ومشاهدة التلفاز، والقراءة، والنوم. وإذا لم يشعروا بالإنهاك جراء يومهم الدراسي، فبالتأكيد سيشعرون به حين يضعون رءوسهم على الوسادة.

إليك هذه المبادئ التوجيهية العملية لمساعدة ابنك على التعامل مع هذه الفترة الانتقالية:

- اخلق في منزلك بعض الأوضاع التي يمكنهم التنبؤ بها؛ فالاستمرارية والقدرة على التنبؤ ليست أمورًا مطمئنة للأطفال الصغار فقط، بل تهدئ من روع المراهقين أيضًا.

- حافظ على المواعيد العائلية، وحاول تذكير الأطفال بمواعيدهم وجداول أعمالهم، خاصة إذا كان هناك تغيير في الروتين.

- لا بد من أن يحتفظ الأطفال بجدول أعمالهم حالما يستطيعون ذلك، فعندما يدرك الأطفال أهمية جداول مواعيدهم ويقومون بتنظيمها، سيكتسبون حس الاعتماد على الذات، وسيدفعهم هذا نحو المزيد من الاستقلالية.

- حافظ على جدول منتظم لمواعيد نوم ابنك، ولو كان في عطلات نهاية الأسبوع والإجازات؛ حيث إن الدراسات أوضحت أن التعافي من أي تغيير في عادات النوم، ولو كان بسيطًا، يتطلب وقتًا طويلًا، والنوم الكافي أمر أساسي من أجل تطوير كل جانب تقريبًا من جوانب الوظيفة التنفيذية.

- احتفظ بهدوئك أمام أبنائك، حين تطرأ تغييرات غير متوقعة في جدول أعمال العائلة؛ فالأطفال يتأثرون بسلوكيات البالغين، كما يتعلمون كيفية التصرف في حالات التوتر من خلال رؤيتهم نماذج آبائهم؛ فإذا تعاملت مع تلك التغييرات بصبر، فعلى الأرجح سيحاكون ذلك الصبر.

الذاكرة العاملة الضعيفة

إذا كانت لديك أية فكرة عن الكمبيوتر، فاعتبر الذاكرة العاملة إذن كذاكرة الوصول العشوائي، أو كذاكرة الكلب؛ فكلب الاسترداد (الذي يعيد الطريدة إلى الصائد) الخاص بي من نوع اللابرادور يمكنه الاحتفاظ بمهمة واحدة في عقله ("كاسترداد الورقة!") خلال ثانيتين، أو إلى أن تدخل مهمة أخرى عقله ("كمطاردة السنجاب!")؛ فهذا العجز ليس خطأه، وليس لأنه غبي (على الرغم من أنه كذلك)، ولكن لأن لديه ذاكرة عاملة ضعيفة. وعلى غرار ذلك، حين أطلب من ابني إطعام الكلب, بينما يكون عقله مشغولًا بالتدريب على آلة الجيتار، فسيدخل إلى المطبخ ويحملق إليَّ ببلاهة، وأنا متأكدة أنه في الوقت الذي استغرقه في السير من غرفته إلى المطبخ، نسي ما طلبته منه. وفي حين أن هذا التصرف يبدو مزعجًا، فإنه طبيعي تمامًا؛ فتذكير لطيف منك – ويا حبذا لو كان من دون إزعاج أو انتقاد– سيعيده إلى المسار الصحيح.

فضعف الذاكرة العاملة ليس أمرًا مزعجًا في المنزل فقط، بل إنه يمثل مشكلة حقيقية للأطفال في المدرسة؛ حيث يميل المعلمون إلى إعطاء معلومات شفوية إلى الطلاب، وإذا لم يستطع الطالب الاحتفاظ بتلك المعلومات في عقله مدة طويلة بما فيه الكفاية لتدوينها في دفتر ملاحظاته أو مخططه، فستضيع تلك المعلومات إلى الأبد... أو إلى أن يطلب الطالب من المعلم إعادتها مرة أخرى، ويحصل على نظرة قاسية منه "لعدم استماعه إليه جيدًا من المرة الأولى". وحين أوكل إلى طلابي القيام بمهمة ما، أحاول أن أنظر إلى أعينهم، وأنتظر إلى أن يعيروني كامل انتباههم. حتى بعد أن أفعل ذلك، لا أجد مفرًّا من أن أكرر المهمة مرتين، وبخاصة إذا كانت تحتوي على تفاصيل دقيقة كأرقام الصفحات. ومن أجل الحفاظ على سلامتي العقلية، أقوم بتدوينها لهم على السبورة. وبين الأوامر الشفوية والمكتوبة التي أوجهها لهم، سينتهي بهم الأمر عادة بتسجيل هذا الفرض المدرسي في دفتر المهام الخاص بهم.

وإليك بعض الإستراتيجيات العملية للتعامل مع طلاب المرحلة الإعدادية ذوي الذاكرة العاملة الضعيفة:

- قم بعمل اختبار قياس سمع لابنك. السمع والذاكرة العاملة كل منهما غير مرتبط بالآخر، ولكن عادة ما يتشابه الأطفال الذين لديهم قصور في السمع مع الأطفال الذين لديهم ضعف في الذاكرة العاملة؛ لذلك اذهب وتحقق من هذا الأمر أولًا قبل أي شيء.

- كن صبورًا, فالتكرار أمر أساسي، على الرغم من أن هذا الأمر قد يبدو مزعجًا، ولكن تذكر أنك تتعامل مع مخ ما زال في مرحلة التطور.

- دوِّن المهام، لكي يتسنى لابنك الرجوع إلى تعليماتك. علق على الثلاجة جداول الأعمال المنزلية أو قوائم مرجعية بالمهام التي يجب إنجازها؛ فأنا أشجع كثيرًا القوائم التي يكتبها الأطفال؛ لأنه إذا قام الأطفال بكتابة هذه القائمة بأنفسهم، فإن ذلك سيرسخ عناصرها في ذاكرتهم. وإذا كنت تحب ألعاب الكلمات ولديك بعض الوقت، فقم بتطبيق فنون الاستذكار لمساعدة الأطفال على تذكر المعلومات، مثل ترتيب الخطوات الخاصة بعملية غسل الثياب أو ملء غسالة الأطباق. واطلب مساعدة ابنك على ابتكار فنون الاستذكار تلك؛ فالأمر أكثر إمتاعًا بهذه الطريقة – وأذكرك مرة أخرى – كلما أشركته في صياغة هذه الخطوات، زاد اعتماده على ذاته وتحمله مسئولية إنجاز المهمة.

- ابحث عن الصفوف التي يسمح فيها بالتسجيل الصوتي، إذا كانت مدرسة ابنك تسمح بذلك، وخصوصًا في أيام مراجعة الاختبار، أو في الصفوف التي تعتمد على نظام المحاضرات لتوصيل المعلومات.

- بسط تعليماتك. إذا كنت تحاول تعليم ابنك كيفية القيام بغسل الثياب، فقم بجلسة واحدة بشأن تصنيف الملابس ومراحل الغسيل، وأرجئ درس إزالة البقع منها إلى وقت لاحق. وإذا كان الأمر ضروريًّا، فعلق قائمة مرجعية على الحائط بجانب الغسالة، واجعله يتحقق من الخطوات في أثناء إنجازها.

- علِّم ابنك مهارات الإنصات والتعليق على ما سمعه؛ حيث إن ترشيح الأمور التي لا يحتاج الأطفال إلى تذكرها هو جزء من تطوير الذاكرة العاملة, فإذا كنت تستمع إلى الأخبار في المذياع في طريقك إلى المدرسة، فاسأل ابنك: "ما أهم فكرتين في القصة في رأيك؟"؛ فهذه المهارة ستؤتي ثمارها بعد ذلك حين يكبر الأطفال، وتزداد كمية المعلومات المنتظر منهم استيعابها.

اليقظة لا تعني بالضرورة الإدراك

يعاني المراهقون الكثير من المشكلات فيما يخص تقييم جهودهم، وقياس النتائج التي توصلوا إليها بالمقارنة مع ما هو مطلوب منهم؛ فمعلمو المرحلة الإعدادية يعلمون أنه من أجل الحصول على النتائج التي نرغب فيها من طلابنا، علينا أن نكون واضحين بشأن ما نتوقعه منهم. وإنني أحاول مرارًا وتكرارًا أن أكون دقيقة بشأن كل جانب من جوانب توقعاتي، وأفصلها تفصيلًا كاملًا؛ لأنني إن لم أكن كذلك، فسوف أتعرض إلى الشعور بالإحباط وبالانهيار العصبي في النهاية في مواجهة الفوضى التي ستلي تواريخ الاستحقاق؛ فحين أتسلم المهام التي لا تستوفي تعليماتي الواضحة، أجلس مع الطالب وأعطيه أمثلة فيما يتعلق بأوجه التقصير لديه، وكيف قام بها؛ فأنا محددة بشأن توصيل توقعاتي، ومحددة بشأن كيفية تقييمي تلك التوقعات.

أما في المنزل، فربما تظهر أوجه القصور في الإدراك الذاتي والمراقبة من خلال التنظيف السيئ للمرحاض، أو الغداء المعبأ مع الكثير من رقائق البطاطس، أما المهمة الصعبة في منزلي فهي تكديس الحطب, وهي مغامرة كثيرًا ما أدت إلى خيبة الأمل؛ ما دفعني إلى وضع قاعدة منزلية، وهي أنه حال وقوع كومة الخشب، فعلى الشخص الذي كدسها أن يعيد عمله مرة أخرى, فتكديس الأخشاب هو عمل مرهق ومتعب؛ لذا تطلب الأمر انهيار كومة الخشب مرة أو مرتين، حتى طور ابني أسلوبه في تكديسها ورصها، ولكن دعني أكرر: المراهقون في حاجة إلى إرشادات مفصلة وواضحة عن قيامهم بتنفيذ مهمة معينة، فأنا لم أضع لابني تعليمات جاهزة، أو توجهات شفوية غير محددة، بل كنت أساعده في عملية التكديس، فعلمته كيف يقوم بتدعيم قاعدة الكومة بشكل مناسب، ويضع الألواح الخشبية بما يتناسب مع زوايا الأرض تحت الكومة، وأن يوازن تقسيمات الأخشاب غير المتساوية كذلك, فتعلم كيفية تكديس الأخشاب، وفزت بقضاء يوم مع ابني، وأنا أراقبه يكتسب الشعور بالكفاءة في إتمام مهمة صعبة ومعقدة.

إليك بعض النصائح لتعزيز الإدراك الذاتي لدى المراهقين، وزيادة قدرتهم على قياس تقدمهم في المهام:

- اجعل توقعاتك واضحة تمامًا من البداية. والحل الأمثل، هو أن تقوم بعمل المهمة معهم في المرة الأولى التي يحاولون فيها إنجازها، وحدثهم عن النصائح والأساليب التي يجب عليهم اتباعها للقيام بالمهمة بالطريقة الصحيحة.

- حين يزعم الأطفال أنهم أتموا المهمة، ساعدهم على مقارنة النتائج التي تتوقعها (أو يتوقعها معلموهم) بنتائجهم الفعلية.

- إذا ارتكبوا أخطاء في أثناء قيامهم بالمهمة أو فشلوا فيها، فعلِّمهم خطوةً خطوةً كيفية معالجة الوضع؛ فطريقة الاستفادة من الإخفاقات هي أن تحولها إلى دروس متعلمة في سعة الحيلة والمعالجة؛ فالفشل يصبح أحيانًا درسًا في حد ذاته في مهارة أخرى، وسِر مع التيار، وعلِّمهم الدروس المستفادة لدى وضوحها أمامهم، وتحلَّ بالصبر وبحس الفكاهة.

- أثنِ على جهودهم وأنت تدعم تطورهم المستقبلي، وانظر إلى الأخطاء باعتبارها فرصًا للتعلم؛ فكلما تعلم الأطفال كيفية تقييم أعمالهم وقياسها بالمقارنة مع التوقعات الخارجية، أصبحوا أفضل في قياس تقدمهم وارتقائهم إلى تلك التوقعات.

فشل الشروع في أداء مهمة جديدة

يكافح الأطفال في جميع الأعمار من أجل بدء مهام جديدة والاستمرار فيها، وبينما يشبه إهدارهم الوقت وعدم اتخاذهم خطوات فعلية في أثناء مواجهة شيء جديد المماطلة، فإن المختصين النفسيين يطلقون عليه "البدء"، وهو مهارة أساسية من مهارات الوظيفة التنفيذية. إن البدء يعني أن تشرع في القيام بشيء ما، وأن تتغلب على الفوضى، وتضع خطة، وتباشر القيام بمهمة ما. ولا يعد هذا الكلام جديدًا بالنسبة إلى أي أب لديه ابن مراهق، ولكن يمكن أن يواجه صغار المراهقين مشكلة في صياغة الفكرة، ووضع خطة من أجل إنجاز المهمة، وبدء تنفيذ تلك الخطة، وكل هذا جزء من الوظيفة التنفيذية. ويبدو أن الإزعاج له تأثير عكسي؛ فهو لا يحقق التأثير المنشود، ولقد أدى هذا العجز عن بدء المهام إلى تأجيل العديد من المشروعات المدرسية؛ فأحيانًا يتعلق الأمر بعدم القدرة على تحديد الوقت الذي ستستغرقه المهمة بالقياس إلى الوقت المتبقي لإنهائها, وأحيانًا تكون ببساطة مسألة قصور ذاتي.

فمعظم الأطفال الصغار لا يبدأون مهمة إلى أن يخبرهم البالغون بأن عليهم ذلك، ولكن بينما يكبر هؤلاء الأطفال، سيكون من المهم أن ندفعهم نحو الاستقلال، حيث يبدأون ويتمون المهام بأنفسهم دون مساعدة.

إليك نصائح عملية لمساعدة الأطفال على بدء (ومتابعة) إنجاز المهام:

- وضع جدول زمني يومي، وأسبوعي، وشهري، والمحافظة عليه بدقة وبصورة واضحة هو أمر حيوي. إن الإدراك الجيد لكيفية إدارة الوقت ينتج عنه وضع تصور واضح للوقت المتاح في اليوم والمهام المحددة التي يمكن إنجازها خلاله مع وضع مواعيد نهائية واقعية، وتذكر الضغط الزمني الناتج عن ضيق الوقت المتبقي لإنجاز المهمة.
- التحدث عن إدارة الوقت هو أمر فعال؛ فإذا كان على الطفل إتمام ثلاث مهام قبل موعد نومه، فتحدث عن الوقت الذي قد تستغرقه كل مهمة، والوقت المتبقي من اليوم.
- يمكن للمؤقتات والساعات المنبهة عمل المعجزات. اضبط المؤقت على الوقت الذي يجب أن تنتهي فيه مهمة واحدة، وتبدأ الأخرى. وبذلك لن يكون الوالدان هما مصدر "الإزعاج"، بل المؤقت. وإذا تمكن الطفل من إدراك أن الوقت ينفد منه، فسيكون هذا الأمر أيضًا عاملًا مساعدًا على جعل الوقت عنصرًا حقيقيًّا بالنسبة إليه، وليس مفهومًا مجردًا.
- مرة أخرى، كن نموذجًا لما تأمل أن تعلمه لأبنائك. أظهر لأطفالك كيفية موازنة وقتك، ودعهم يروا القوى الخارقة التي لا يرونها، ويدركوا كيفية إدارة المنزل والحياة العملية، وساعدهم على إدراك أن وجبات الطعام المطهوة بشكل كامل لا توجد فجأة خلال نصف الساعة الذي يسبق العشاء. واشرح لهم العملية، وعرِّفهم كم من الوقت يستغرق التخطيط لهذه الوجبة، وشراء محتوياتها، وتركها فترة لإذابة التجمد عنها، وتحضيرها، وطهوها، ثم بعد ذلك ادعُهم لحضور مراحل هذه العملية.

التنظيم من أجل التعلم والحياة

حسنًا، فهذا أمر مهم. ينتقل معظم الطلاب إلى المرحلة الإعدادية مصطحبين معهم عادات تنظيمية لم تتشكل بعد، وتصف إحدى الأمهات هذا الأمر فتقول: "تتمثل فكرة ابني الذي في الصف السابع فيما يتعلق بتنظيم أوراقه المدرسية في أن يجمعها في خزانته أو حقيبة ظهره، فيفقد ورقة مهمة من حين إلى آخر، ويأخذ في التنقيب عنها وسط الأوراق والاختبارات المجعدة، والممزقة والمهترئة التي من الأفضل أن يتم استخدامها في مشروعات الورق المعجن وليس في التحصيل والمذاكرة".

وهناك بعض الإستراتيجيات العملية التي يمكنك تجربتها لمساعدة ابنك المراهق على أن يصبح أكثر تنظيمًا، ولكن حتى إن كنت تعمل منظمًا محترفًا، فإن إتقان مهارة الوظيفة التنفيذية هذه هي عملية، وليست عنصرًا في قائمة مرجعية يجب عليك التعامل معه على المدى القصير؛ فالعديد من هذه المهارات يتعلمها المرء على مدار الحياة، لهذا سيتقن المراهقون على الأرجح المهارات الأولية في البداية؛ فالهدف هنا ليس تحقيق الكمال، ولكن اكتساب المهارات والإستراتيجيات الأساسية التي ستسمح لهم بالحفاظ على أوراقهم مرتبة، ومعرفة مكان ورقة مراجعة اختبارهم، وإدراك الوقت المتبقي للمذاكرة من أجل اختبار القواعد في اللغة اللاتينية يوم الجمعة المقبل. وهذا يحدث من خلال التجربة والخطأ، مع التشديد على الأخيرة (الخطأ).

وإذا لم تكن المدرسة التي يتعلم فيها ابنك المهارات الدراسية، فسيكون عليه تعلم هذه المناهج الدراسية المهمة في المنزل. وتعاون مع ابنك للتوصل إلى طريقة من أجل التنظيم والتخطيط. فعلى سبيل المثال، يُطلب من طلابي كل أربعاء تفريغ خزائنهم وتفحصها، وتنظيم أوراقهم. ويُطلب من بعض الطلاب غير المنظمين أخذ مجلداتهم إلى الصف وقضاء عشر أو خمس عشرة دقيقة في فرز الأوراق المنفصلة ووضعها في ملفات، وإعادة تدوير الأوراق المكررة التي تبدو مكدسة في الجزء الأمامي من الملف. فعادة ما يجد الطلاب أن لديهم ثلاث نسخ من فرض مدرسي واحد، الفرض الأصلي، ونسختين أُعطوا إياهما كبدائل حينما ادعوا أنهم **متأكدون** أنهم قد فقدوا النسخة الأصلية إلى الأبد؛ لأنهم بحثوا عنها في **كل مكان**. في حالة عدم تشجيع مدرسة ابنك هذا الإجراء، فعليك أن تجعله يخصص خمس عشرة دقيقة أسبوعيًّا في المنزل لتنظيف الأوراق المنفصلة وترتيبها ووضعها في ملفات. وبينما يتعلم ابنك تنظيم مواده، لن يحتاج إلى هذا الوقت الإضافي بعد ذلك، ولكنَّ خمس عشرة دقيقة في البداية كافية. وقد ذكرت إحدى طالبات المرحلة الإعدادية هذا العمل الأسبوعي الذي تقوم فيه بترتيب أوراقها بوصفه جزءًا مهمًّا من روتينها التنظيمي، حيث تقول:

كان الفحص الأسبوعي لخزائن الطلبة هو أكثر أمر ساعدني على أن أكون منظمة، وكان هذا يتم في الوقت الأسبوعي الذي يتم إرغامي فيه على تنظيم نفسي وخزانتي بالكامل وحقيبة ظهري. كان الأمر مفيدًا للغاية؛ لأن هذا الوقت من كل أسبوع كان يتم تخصيصه لتنظيف الخزانة، والتخلص من الأوراق المفردة الموجودة في حقيبة الظهر، والعثور على ورقة الفرض المنزلي الغريبة التي لم تكن قد سلمتها. عادةً، لم نكن نتمتع مطلقًا بالانضباط الذاتي الذي يدفعنا إلى قضاء بعض من وقتنا

في تولي مسئولية ترتيب أغراضنا.

وإضافة إلى التنظيم الأسبوعي للأغراض، نقوم أيضًا بإدراج بعض الخطط في جدول زمني مرة كل أسبوع؛ حيث نمضي بعض الوقت صباح كل سبت في ملء دفاتر التخطيط، ونقل المهام من أوراق المعلمين الأسبوعية إلى الجدول الخاص بهم. وتقوم مدرستي في بداية كل عام بتسليم الطلاب دفتر تخطيط مخصصًا لجدولنا الزمني، ويُطلب من طلاب المرحلة الإعدادية استيفاؤه بأحدث المعلومات، مسجلين فيه جميع الفروض المدرسية والفعاليات الخاصة. وسينجح أي جدول زمني في استيفاء الغرض منه، ومع ذلك عليك التحقق من الأمر أولًا؛ لكي تتأكد أن الفروض المنزلية يتم تسجيلها. واحرص دائمًا على التأكد من أن طلابي يكتبون أسماء صفوفهم في الخانات المخصصة لذلك في القائمة، أو الأفضل من ذلك أن يكتبوا اختصارًا لها؛ ما يتيح مساحة كبيرة لتدوين مزيد من الملاحظات، لذا عندما يودون الانتقال إلى صف اللغة الفرنسية في الثلاثاء المقبل لإتمام أحد الفروض المدرسية يستطيعون إيجاده؛ والأمر الأهم هنا هو أن يكون الطلاب مسئولين عن جداولهم في الوقت الذي يلتحقون فيه بالصف السادس. وسيستغرقون بضع سنوات لاعتياد هذه العملية، وبعض الوقت لتجربة أنظمة مختلفة لرؤية ما سيجدي نفعًا معهم؛ لذلك امنحهم ذلك الوقت؛ حيث إن تأجيل مسئولية إدارتهم وقتهم حتى المرحلة الثانوية أو الجامعة ليس من مصلحتهم؛ فهذه ليست قدرة تظهر فجأة لديهم حين يحتاجون إلى تولي زمام أمور حياتهم، بل هي مهارة تتطلب الممارسة، والمحاولة والخطأ، والصبر.

وسواء كانت لدى مدرسة ابنك إستراتيجية لتعليمه التنظيم، أو كنت تعمل على هذا الأمر بمفردك في المنزل، فاختر وقتًا محددًا كل أسبوع لينظم ابنك أغراضه. وفي أسوأ حالات التنظيم، كنت أتحقق من المجلدات مرتين أسبوعيًّا في المدرسة، ولكن التحقق مرة واحدة أسبوعيًّا في المنزل يجدي نفعًا كذلك. وفي حين أن هذا الأمر يتيح فرصة للنزاع، حاول أن تجعله مجرد طريقة لترى ماذا كان يفعل طفلك على مدار الأسبوع. وإذا باءت كل الأمور بالفشل، فوضِّح لطفلك أن عليكما فعل هذه المهمة المزعجة معًا إلى أن يتمكن من تولي قدراته التنظيمية بمفرده؛ فإذا لم يكن عدم تدخل الأم في أمور ابنها المراهق مكافأة فعالة للعادات الإيجابية، فلا أعرف ما الذي يمكن أن يكون غير ذلك.

حس الدعابة أمر أساسي في التعامل مع هذه المهمة؛ فقد كان لديَّ طالب يطلب مني فحص خزانته كل أسبوع، وكان واثقًا بأنه سيُمنح الاستحسان والموافقة منذ المحاولة الأولى، ليكون حرًّا في الخروج والذهاب للعب في ملعب كرة السلة. لا أعلم من أين أتى بهذا الشعور المزيف من الثقة بالنفس، فقد كان تفقد خزانته كل يوم أربعاء هو كارثة حقيقية على مدار العامين الماضيين. بينما كنت أتفقدها، أشير إلى ما في داخلها وأقول له: "وماذا عن تلك الأوراق؟ ما هذه الأوراق؟"، أو أتناول كتاب العلوم الخاص به من الخزانة وأمسكه من أعلى وأهزه؛ لتقع الأوراق المنفردة متناثرة على الأرض بجانب قدميه, وهذا هو روتيننا المنتظم. فهو **يعلم** أنني سأمسك بالمجلد من الطرف الذي به السلك وأدع الجاذبية تكشف أيًّا من الأوراق مثبتة وأيها طليقة، ولكنه في كل أسبوع كان متأكدًا أن لديه مهمة ملقاة على عاتقه. صدِّق أو لا تصدق، أصبحت مواعيد الفحص الأسبوعية لمجلداته واحدًا من أفضل أوقاتي الأسبوعية. حيث عثرنا على أوراق تالفة، وأدركنا أنها كان من المفترض أن يتم تسليمها في اليوم السابق، وابتكرنا معًا خططًا للتأكد من أنه لن يرتكب الخطأ نفسه في الأسبوع المقبل. وبينما كان يتعلم ببطء، ويفشل، وبعد ذلك يتعلم مرة أخرى من التوقعات، كنا نضحك أحيانًا وننزعج أحيانًا. وعلى الرغم من أنني سأشعر بسعادة غامرة حين يتقن أخيرًا تنظيم مجلداته، فإنني سأشتاق إلى تلك الفرصة الأسبوعية التي كانت تجمعنا، وكانت تبعث على المرح.

وتختلف بالطبع التوقعات من مدرسة لأخرى، ومن معلم لآخر، ولكنَّ ذلك الاختلاف هو جزء من التعلم أيضًا؛ فمعظم المعلمين يحددون إن كانوا يرغبون في أن يكون لدى طلابهم مجلد لكل مادة أو مجلدان كبيران مقسمان إلى مواد رئيسية ومواد "ترفيهية"، مثل الموسيقى والرسم، ولكن بعد الكثير من التجربة والخطأ، وجد طلابي أن مجلدًا صغيرًا لكل مادة يؤدي الغرض. وبعد الانتهاء من تصحيح الاختبارات في الفصل الدراسي الأول، يتم تفريغ هذه المجلدات وتوضع كل الأوراق الضرورية في ملفات في صندوق في حالة احتاج إليها الطلاب من أجل اختبار نهاية العام. وتتبع "أليسون جورمان" –معلمة رياضيات في نيو هامبشير– طريقة للاحتفاظ بالأوراق المهمة؛ حيث تحتفظ بالصناديق التي توضع بها علب الحليب، وتضع واحدًا في كل صف من صفوفها وتبقيه داخل الصف نفسه، حيث يمكن للطلاب بكل حرية الاحتفاظ بملفاتهم الشخصية، ومنها الاختبارات القصيرة المهمة، والأوراق الخاصة بالمعمل، أو الاختبارات، إلى أن يكونوا مستعدين للمذاكرة من أجل اختبار نهاية العام. فاحرص على أن يكون لدى ابنك صندوق للملفات في المنزل، إذا لم يكن

المعلم مستعدًّا لتخصيص حيز من أجل هذا النظام، وشجع ابنك على فرزه من حين إلى آخر؛ لكي تفسح مجالًا من أجل الأوراق الجديدة.

ضع داخل كل مجلد مجموعة من الفواصل للفصل بين الأوراق الخاصة بـ"الملاحظات"، و"الفروض المنزلية"، و"المعلومات الخاصة بالمواد"، و"الاختبارات النهائية/ الاختبارات القصيرة"، والأوراق المنفصلة. والأوراق المنفصلة المقواة هي أحد أفضل الاختراعات على الكوكب. فإذا كنت تستطيع تحمل تكلفة الارتقاء من الأوراق المنفصلة العادية إلى الأوراق المقواة، فاحصل على رزمتين منها، وسيسعد معلم ابنك بهذا الأمر؛ فواحدة من كبرى المشكلات التي أراها صباح يوم الأربعاء من كل أسبوع في أثناء تنظيف الخزانات الخاصة بالطلبة هي الأوراق التي تحوي ملاحظات مهمة، ولا يمكن الاحتفاظ بها بسبب الثقوب التي تغطيها؛ لأن الأطفال يثقبون الجانب الآخر للورقة أو يثقبون أطرافها. ولا يمكنني فرض هذه الإستراتيجية بقوة، وهي: تشجيع طلاب المرحلة الإعدادية على إدراج الأوراق المقواة على قائمة أغراض العودة إلى المدارس.

السر في تنظيم أمور شخص ما وحياته هو تجربة إستراتيجية ورؤية مدى جدواها. فإذا أفلحت، فهذا أمر رائع؛ التزم بما يفلح معك. وإذا فشلت، وإذا فقدت الأوراق، ولم تتمكن من الوفاء بالمواعيد النهائية للتسليم، وضاعت الفرص نتيجة الإستراتيجيات الخاطئة، فمن المهم حينها أن تشعر بالألم الناجم عن هذا الفشل؛ حيث إن ذلك الألم، سواء شعرت به بوصفه خيبة أمل، أم إحباطًا، أم حزنًا، أم غضبًا، هو ما يحفز على التغيير والنمو، وهو ما يحفز على تشكيل إستراتيجيات جديدة، ويحفز على التعلم. وأكره أن أرى طلابي أو أبنائي مستائين، ولكن على الجانب الآخر من ذلك الاستياء هناك جانب مشرق يبشر بالتطور، وأخذ خطوة واحدة نحو ذلك اليوم الذي سيتمكنون فيه من تولي زمام حياتهم بنجاح, فعند رؤية هذا الأمر من هذه الزاوية، سترى أن الفشل هو خطوة إلى الأمام وباعث على التقدم.

وبالنسبة إلى بعض الأطفال، ربما يستغرق تطور وظيفتهم التنفيذية سنوات (تتمكن الفتيات بشكل عام من تطوير وظيفتهن التنفيذية مبكرًا بشكل أكبر من الفتيان في مرحلة المراهقة). وأعرف أشخاصًا بالغين ما زالوا يجدون صعوبة في إتقان هذه المهارات، وبالنسبة إليهم، تنبيهات التقويم، وقوائم الأعمال التي يجب القيام بها هي الأدوات التي تحميهم من خسارة وظائفهم وعقولهم. وهذا ما

يقدمه الفشل في المرحلة الإعدادية، الاختبارات منخفضة المخاطر، والتجارب بالإضافة إلى الأدوات التي ستحقق أفضل النتائج في المرة التالية. ولأن مهمة اكتساب مهارات تنظيمية ممتعة بقدر قضاء يوم لدى طبيب الأسنان، ابدأ بمساعدة الأطفال على تنظيم أدوات وجداول الأنشطة الأهم بالنسبة إليهم.

وبإمكان الآباء والمعلمين مساعدة المراهقين على تطوير مهاراتهم للتغلب على أوجه العجز في تلك المجالات، ولكن ما يحتاجون إليه خلال المرحلة الإعدادية هو الصبر والاستعداد للسماح لهم بالتعامل مع فشلهم وعواقب أخطائهم، سواء كانت تلك العواقب هي الاحتجاز بسبب نسيان الفرض المنزلي، أو الاستبعاد من مباراة كرة القدم بسبب نسيان واقي الأسنان، أو نقص في الدرجات بسبب التأخير، بينما يتعلمون تنظيم أمورهم والخروج من المنزل في الموعد. دعهم يفشلوا، دعهم يستاءوا حين يرتكبون الأخطاء، ولا تنقذهم حينها؛ فكل عاقبة سيتعرض لها ابنك ستعجِّل باكتسابه مهارة جديدة. والعكس صحيح، في كل مرة تنقذ فيها ابنك، تمد قلة حيلته وعجزه يومًا آخر. وتذكر مدى ضيق الوقت لدى طلاب المرحلة الإعدادية لارتكاب الأخطاء في هذه المرحلة الدراسية قبل أن يلتحقوا بالمرحلة الثانوية، ويقعوا في مخاطرها الأعلى نسبيًّا.

في كل مرة تشعر فيها برغبة قوية في توصيل ذلك الفرض المنزلي إلى المدرسة، أو تقوم بإعداد ذلك الغداء، تصور فقط هذا السيناريو الجميل: يحزم ابنك حقائبه – حقيبة المدرسة وحقيبة تدريب كرة القدم– ويتذكر أن يعد غداءه ويأخذه معه إلى المدرسة، ويكتب ملاحظة لتذكره بتسليم تلك الاستمارة التي وقعتها أنت ليلة أمس، ويدون بعض الملاحظات عن مشروع طويل الأجل في الجدول الزمني، ويركب السيارة مصطحبًا أدواته دون أن يذكِّره، أو يطلب أحد منه ذلك. ألن يكون ذلك أمرًا رائعًا؟ أن يصل أطفالك إلى هذه المرحلة، كم سيكون عالمنا جميلًا حين يقومون بفعل هذا.

٩: المرحلة الثانوية وما بعدها: نحو الاستقلالية الحقيقية

بينما كنت أقوم بالإجابة عن أسئلة الآباء بعد عرض تقديمي للمرحلة الثانوية عن التحفيز الداخلي والاعتماد على الذات، ظلت إحدى الأمهات جالسة في مكانها، حيث كانت تجلس في آخر المجموعة مترقبة، تنتظر بصبر أن ينتهي الآخرون من أسئلتهم. وعند رحيل آخر الآباء عن القاعة، اقتربت مني، وانحنت، وهمست إليَّ قائلة:

"يبلغ ابني السابعة عشرة من عمره، وأقوم بعمل **كل شيء** له".

توقفت، ونظرت مباشرة إلى عينيَّ، وأمسكت بذراعي، وكررت آخر كلمة لها لتأكيدها:

"**كل شيء**".

فأومأت، وانتظرتها لتكمل.

فاستطردت قائلة: "لم أدعه يفشل قط، مطلقًا، وأرغب في... أعني، هو في السابعة عشرة من عمره. هل لو توقفت الآن عما أفعله معه... هل أكون قد تأخرت؟".

وبينما كانت تنهي كلماتها، كانت تضغط على ساعدي بقوة، كنت متأكدة تمامًا أنها كانت على وشك البكاء، ولكنني تمكنت من رؤية إصرارها، لهذا جلسنا ووضعنا خطة بإمكانها تحقيق أقصى استفادة من عام ابنها الأخير في مرحلة الطفولة.

اعتدنا الاحتفال بنهاية مرحلة الطفولة في عمر الثامنة عشرة، سن البلوغ، حين يتحرر الأطفال من حمايتنا إياهم، ويخرجون إلى العالم باحثين عن استقلالهم وغايتهم، لكن على مدار الجيلين الماضيين، امتدت مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة التي دامت طويلًا، ومن ثم امتدت حدود الطفولة إلى درجة أبعد من ذي قبل. ونتيجة ذلك، لم يكن لدى العديد من صغار الشباب فكرة عن مدى صعوبة التعامل مع عالم يتوقع منهم أن يتحدثوا ويتصرفوا بالأصالة عن أنفسهم، وأن ذلك العالم بدأ يلاحظهم. وتخبرنا "جينيفر هارتستيين", الطبيبة النفسية بأنها ترى بشكل متزايد أبناء

هؤلاء الآباء في عملها، إذ يجدون صعوبةً في العثور على طريقهم باعتبارهم قد وصلوا حديثًا إلى مرحلة البلوغ؛ حيث تقول:

فحين لا يُسمح لهؤلاء الأطفال بالفشل، وباستجماع قواهم للنهوض والنجاح مرة أخرى، لن يتعلموا كيفية التسامح مع خيبات الأمل التي يتعرضون لها، أو إدارة علاقاتهم، أو تحمل مسئولية أنفسهم، أو التغلب على قلقهم من عدم الحصول على ما يرغبون فيه. وكثيرًا ما أطرح هذا السؤال على الآباء الذين يخشون من إفساح المجال لأبنائهم لتولي زمام أمورهم: "كيف تنتظر من ابنك أن يصبح شخصًا بالغًا إذا لم تعلمه كيف يكون بالغًا؟".

ويرافق الآباء والأمهات أبناءهم إلى الجامعة، ومقابلات العمل، والمفاوضات بشأن الراتب. وكما أشارت مؤخرًا مجلة **جورنال أوف أدولسينس** فإن "محاولات السيطرة الأبوية مرتبطة بنتائج الابن السلبية في مرحلة البلوغ الجديدة"، حيث يقول مؤلفو الكتاب التابع لهذه المجلة:

يبدو أن الأبناء الذين وصلوا إلى مرحلة البلوغ حديثًا يجب أن يتم استثمارهم بشكل شخصي من أجل نموهم وتطورهم من خلال قيامهم بأنفسهم بحل مشكلاتهم مع رفقاء السكن، واتخاذ قراراتهم بشأن العمل، والسعي إلى طلب العون من أساتذتهم، ولكنهم كبالغين إن لم يقوموا بذلك، فإنهم يحرمون أنفسهم من خوض التجارب اللازمة لتطوير المهارات الأساسية للنجاح في الزواج، والمسيرة المهنية، والتفاعلات الاجتماعية١.

وبتعبير آخر، لن يحظى المراهقون بفرصة لتجربة شعورهم بالكفاءة؛ تلك الكفاءة التي يحتاجون إليها من أجل النجاح في وظائفهم، ومع عائلتهم، أجل، وفي زواجهم، إلى أن نتراجع ونسمح لهم بعيش حياتهم، وبالتغلب على فشلهم، وتحقيق النجاحات الخاصة بهم. حين سألت الآباء الذين كبر أبناؤهم عن تجاربهم، أقر الكثير منهم بمدى صعوبة ترك أبنائهم يتولون زمام أمورهم بأنفسهم، حيث قال أحدهم:

مررت بوقت عصيب عندما تركت أبنائي يجربون الفشل، لدرجة أن ابني (الذي يبلغ الآن الخامسة والثلاثين) أخبرني بأسلوب رشيد في بداية مراهقته بأن عليَّ أن أدعه يفشل. وهذا كان يعني بالنسبة إليه أنه يجب عليَّ أن أكف عن الخوف حين يفشل؛ لأنه بعد ذلك شعر بأن فشله (بدلًا من كونه دلالة على أنه كان يوسع من حدوده) كان دلالة على أنه لم يرقَ إلى توقعاتي؛ فكبر مؤمنًا بأن

عليه أن يكون "مثاليًّا"، وكانت كلمة "مثالي" تعني بالنسبة إليه عدم بذل مجهود، أو التعرض للفشل.

لقد بدأت عملية فصل أبنائنا عنا في اللحظة التي أجلسناهم فيها على أرضية المطبخ، وخطوا خطواتهم الأولى بعيدًا عنا. كل حدث مهم مثل – الخطوة الأولى لهم، والكلمة الأولى، واليوم الأول في المدرسة، والخِطبة الأولى – يمثل مرحلة من مراحل رحلتهم نحو حياة مستقلة؛ فوظيفتنا ليست حماية أبنائنا من الإخفاقات على طول الطريق، بل مساعدتهم على التغلب على العقبات حال حدوثها؛ لأنهم حين ينتقلون من المنزل الذي أمضوا فيه فترة طفولتهم، ويبدأون في شق طريقهم، سيحتاجون إلى كل الموارد والأدوات التي يمكننا إعطاؤهم إياها؛ فالطريق الذي أمامهم هو طريقهم – وليس طريقنا – وبقدر رغبتنا في تمهيد الطريق أمامهم, لكي يتسنى لنا العيش بالنيابة عنهم من خلال نجاحاتهم، فإن الوقت قد حان لندعهم يعيشون حياتهم، ويكشفون عن أولوياتهم واحتياجاتهم منها. اعترفت أم صادقة للغاية بمدى صعوبة القيام بهذا الأمر قائلةً: "أنا متفوقة. فأنا من جيل كله من المتفوقين الذين حققوا إنجازات كبيرة. نحن ولدنا في فترة طفرة المواليد, وحين يتفوق أبنائي، أرى نجاحي فيهم؛ فأخلط بين ما أريد إنجازه وما يريدون هم إنجازه".

تمنح المرحلتان الثانوية والجامعية الآباء فرصة أخيرة؛ كي يقوموا بحل تلك الروابط التي تؤدي بأطفالهم إلى العجز، ولكنني لن أجمل الصعوبات الكامنة في تغيير المسار متأخرًا. فإذا كنت أبًا توجه ابنك، وتسيطر عليه فترة طويلة، فإن كليكما أنت وطفلك اعتدتما هذا الوضع، وسيتطلب الأمر بعض العمل لإلغاء أعوام من العادات والتوقعات الاعتمادية. ويحتاج المراهقون – مثلهم مثل الأطفال في مرحلة المشي– إلى إدراك واضح للتوقعات والحدود، وربما يكون من الصعب إزالة الحدود التي أسسناها مسبقًا؛ فعندما يبدأ الآباء طلب المزيد من الأمور من أطفالهم الأكبر سنًّا، ويكفون عن إنقاذهم من عواقب أخطائهم، ستكون هناك نوبات غضب وانزعاج واستياء من قبل أطفالهم، ولكن الخبر الجيد أنه بمجرد أن تخف حدة الصدمة وردود الفعل الأولية السلبية، يصبح من السهل تسليم تحمل المسئولية والعواقب إلى الأطفال الأكبر سنًّا مرة أخرى؛ لأنهم قادرون على عمل الكثير. ومن الصعب معرفة أي المهام يمكن لطفل في الخامسة أو العاشرة من عمره تولي مسئوليتها، ولكن المراهقين بإمكانهم القيام بكل شيء يمكنك القيام به، وأحيانًا يقومون به بشكل أفضل، إذا منحتهم الفرصة.

وربما تكون مرحلة المراهقة مرحلة صعبة في الحياة بالنسبة إلى الآباء من ناحية التغيرات النفسية والهرمونية التي تحدث لأبنائهم، ولكن من ناحية تطور التعلم والمعرفة، فهذا هو الوقت الذي يجني فيه الابن المكاسب العقلية والجسدية الكبيرة، والوقت الأمثل للانطلاق بدفعة كاملة نحو كفاءة البالغين. وينغمس المراهقون فيما يعرف بـ"مرحلة التفكير المجرد"، وتحدث تلك المرحلة حين يطورون قدرتهم على التفكير بشكل أكثر منطقية، ويستنتجون النتائج استنادًا إلى التجارب السابقة، ويربطون المفاهيم المجردة بواقعهم بطريقة لم يكونوا يستطيعون القيام بها قبل بضعة أعوام. والأهم من ذلك، أن مهارات الوظيفة التنفيذية لديهم أصبحت أكثر تطورًا، فاكتسبوا قدرةً جديدةً على التخطيط من أجل المستقبل، وابتكروا أنظمةً وطرقًا لتحقيق النتائج التي يصبون إليها. والأمر الممتع حقًّا في هذه المرحلة الحياتية هو مشاهدة الانتقال من طرق التجريب والفشل التي اعتاد الأطفال استخدامها لتحقيق هدف منشود، إلى أسلوب تفكير أكثر إستراتيجية. ويمكن للمراهقين الاحتفاظ بالعديد من الاحتمالات والأفكار في عقولهم في الوقت نفسه، والتفكير بشأن احتمالية نجاح تلك الأفكار قبل البدء دون استعداد في وضع خطة, وكما يشرح "ديفيد بينبريدج" في كتابه *Teenagers: A Natural History* حيث يقول: "ربما يكون الأطفال وهم في عمر صغير جذابين، ويمكنهم التحدث والتفكير قليلًا، ولكننا لا نصبح بشرًا نتمتع بكامل قدرتنا العقلية إلا حين نصبح مراهقين"٢.

وحين أتحدث مع الآباء بشأن منح الأطفال المساحة لتجربة الفشل في المرحلة الثانوية، يدعون أنهم يودون ذلك، ولكنهم لا يستطيعون، ويؤكدون أنه من المستحيل القيام بهذا الأمر هذه الفترة؛ فالمخاطر أصبحت غاية في العلو، حيث يقولون: "الأمر قاسٍ جدًّا، وكل درجة تشكل فارقًا كبيرًا!"، و"لا يمكنني أن أدع ابني يفشل؛ لأن لديه فرصة واحدة في المرحلة الثانوية، وهناك الكثير ليخسره". ويؤكد هؤلاء الآباء أن ابن كل منهم يمكن أن يخسر فرصة حصوله على المنحة الدراسية إذا فشل ولو مرة واحدة، كما يمكن أن يخسر كتابة اسمه على لوحة الشرف، أو أن يكون له سجل لا يمحى من عقوبة الاحتجاز، أو أن يخضع للمراقبة الأكاديمية، أو الإيقاف. أوافقهم على هذا الأمر، فهو أمر صحيح، ولكن الخطر الأكبر يكمن في حماية الأبناء ووقايتهم من الإخفاقات التي يتعرضون لها، وهم ما زالوا يعيشون في المنزل؛ لأن الإخفاقات التي يتعرضون لها عادة ما تكون خارج هذا المنزل – في العالم الحقيقي – وتحمل مخاطر أعلى. وقد أشارت إحدى الأمهات –التي

كبر أبناؤها الآن وأصبحوا بالغين– إلى أنه من الواجب أحيانًا على الآباء التنحي جانبًا، والتفكير بشأن نوع "النجاح" الذي يرغبون فيه لأبنائهم.

والمفارقة أن هناك سبلًا كثيرة لتحقيق النجاح، وعلى الأغلب هي ما تختصر الطريق نحو سعادتك، ولكن إذا سلبنا أبناءنا فرصتهم في تجربة الفشل، فإننا نسلبهم فرصتهم – في نهاية المطاف – في أن يكونوا سعداء بغض النظر عن واقع العالم الاقتصادي والسياسي الذي سيعيشون فيه؛ لأنهم لن يطوروا ثقتهم بأنفسهم، والقدرة على الصمود اللازمين للعثور على حلول مبتكرة للتحديات التي يواجهونها في حياتهم بناءً على الواقع الذي يعيشونه.

وفي مؤتمر عقد مؤخرًا حضره المرشدون التربويون للمدارس الخاصة، طلبت إحدى المرشدات مساعدتها على توضيح لأحد الطلاب الذين كانت توجه إليهم النصيحة سبب رسوبه نتيجة غشه في اختبار الفصل الدراسي في مادة العلوم. وكان الطالب غاضبًا من معلمه ومن المرشدة التربوية كذلك، ورأى أن درجة الرسوب عقاب غير عادل، يعرض منحته الدراسية للخطر، واستشاط والداه غضبًا، وهددا بمقاضاة المدرسة بسبب هذا الموقف.

وقد وجهت حديثها إلى مَن في الغرفة، قائلةً: "إنني لا أستطيع استيعاب هذه العقلية، فالجميع يلقون باللوم عليَّ، وعلى معلمته، وعلى المدرسة، ولا يبدو أن أحدًا سيتحدث بشأن حقيقة أنه اختار أن يغش. ولا يبدو أن أحدًا سيهتم بأن هذا درس يجب على الطالب تعلمه؛ فهذا الطالب يود أن يصبح عالمًا. تخيلوا فقط إذا غش في أثناء قيامه ببحث علمي في عمله بعد عشرة أعوام؛ فهذا سيعني نهاية مسيرته المهنية. ألن يكون من الأفضل له أن يتعلم عواقب غشه في المرحلة الثانوية بدلًا من أن يتعلمها لاحقًا؟".

كانت محقة تمامًا؛ لأننا إذا فشلنا في تعليم أطفالنا هذه الدروس الآن، فعلى الأرجح سيرتكبون الأخطاء نفسها مرة أخرى, ففي مرحلة البلوغ، تكون العواقب أكثر قسوة من الرسوب في الامتحان، أو قضاء مساء في الاحتجاز المدرسي؛ فالمرحلة الثانوية هي الفرصة الأخيرة التي لدينا قبل أن يواجه أطفالنا العالم الحقيقي، بعواقبه الحقيقية.

وفور أن يصبح أطفالنا في المرحلة الثانوية، ويكونوا قادرين على الإدراك والاستدلال كالبالغين، فإن ذلك هو الوقت المناسب لمنحهم الثقة، والإيمان، والمسئولية التي يستحقونها، فوفقًا لأحد معلمي

ومديري المرحلة الثانوية،

يتعلم الأبناء المسئولية بشكل أفضل حين يتنحى الآباء جانبًا في المرحلة الثانوية، ويفسحون المجال للطالب؛ لكي يتولى شئونه بنفسه من خلال التجربة والخطأ، والدفاع عن نفسه، وتحفيز نفسه بنفسه. ويجب أن يكون هناك مستوى من الاعتماد على الذات يتراوح بين مستوى معتدل نسبيًّا إلى مرتفع للطالب في المرحلة الثانوية؛ لكي يبدأ إيجاد طريقه للعيش وتجربة الخيارات المتاحة أمامه، والتعرض لعواقب تصرفاته الشخصية بأمان. والأمر المهم هو أن الأم والأب موجودان إلى جانبه لدعمه بشكل غير مباشر، لا ليكونا مستشارين رئيسيين. فحين يتولى الآباء دور الداعم، ولكن يوازنون بينه وبين القدرة (وهي مهارة يكتسبها الآباء) على التنحي جانبًا ومشاهدة ما يختاره ابن كل منهم في طريقه، ويرحبون به، ويتوقعونه، يتخذ الأبناء أفضل قراراتهم بشكل أسرع نسبيًّا إن لم يكن أوتوماتيكيًّا. ويود الطلاب أن يبلوا بلاءً حسنًا. ويودون اتخاذ القرار الصائب... ولكنهم يودون أيضًا أن يتمتعوا بالقدرة على الاختيار.

وبعد هذه النصيحة الحكيمة، لقد حان الوقت للتنحي جانبًا، وتخفيف القيود، والسماح للأطفال بالتغلب على العقبات التي يواجهونها خلال تلك الأعوام الأربعة الأخيرة من مرحلة الطفولة؛ فكل عام من المرحلة الثانوية تكون له تحدياته وفرصه، ومن المهم أن تشجع ابنك على الاستفادة منها جميعًا.

الصف التاسع: عام الرعب والصدمة

يعتبر العام الأول من المرحلة الثانوية مخيفًا بشدة بالنسبة إلى العديد من الطلاب؛ فقد كانوا منذ بضعة أشهر مضت متربعين على عرش مرحلتهم الإعدادية، ولكن انقلبت الأوضاع، وسرعان ما نزلوا من فوق عرشهم في المرحلة الثانوية؛ فهم مجرد طلاب جدد. وكثيرًا ما وجدت صعوبة بالغة في التدريس إلى الصف التاسع؛ لأن خوف الطلاب من الوقوف أمام زملائهم للإجابة، أو ارتكاب خطأ ما، يشكل قوة مؤثرة في عملية اتخاذهم القرارات. واعترف لي أحد الطلاب الجدد، قائلًا: "لم يكن الصف التاسع مخيفًا بقدر ما كان قاسيًا؛ حيث كنت أشعر بالتوتر طوال الوقت، قلقًا من أن يحدث شيء ما؛ لم أكن متأكدًا من ماهية هذا الشيء".

ويمكن للقلق العام – بشأن الكوارث التي يتوقع الطالب حدوثها، وتتربص به عند كل زاوية في حياته اليومية الجديدة– أن يخلق لديه خوفًا شديدًا من الفشل في مرحلة مبكرة من المرحلة الثانوية. وبينما يعي معظم معلمي المرحلة الثانوية هذا القلق، فإن العام الأول لطالب المرحلة الثانوية يمكن أن يكون الوقت الأمثل للتخلص من مخاوفه والسيطرة عليها من خلال نقاط القوة الرئيسية لديه, فساعد ابنتك على إدراك أن معلميها –خاصةً من يحيطون بها فترة– يدركون أن الطالب الجديد في العام الأول من المرحلة الثانوية يعاني حالة قلق وارتباك مستمرة، ومن المحتمل أن يثيروا الفوضى هنا وهناك؛ فهم يعرفون أن ذلك العام للطالب الجديد يتطلب الصبر، والمرونة، والتفهم، وهم موجودون لمساعدة الطلاب على إدراك ما هو متوقع منهم في المرحلة الثانوية وما بعدها. ويتفق معي في الرأي المعلم "ديفيد بي. كوهين"، حيث يقول:

نحن نضع توقعًا بالأخطاء التي سيرتكبها الطلاب، أو بطريقة أخرى نحن لا نفترض الكثير بشأن معرفتهم الكثير من الأمور، ولا امتلاكهم المهارات؛ فهذا الوقت هو بالتأكيد وقتهم لإيجاد طريقهم. وجزء من هدفي هو مساعدة الطلاب على تعلم كيفية التعاون مع المعلمين، وليس تعلم محتوى الدرس فقط.

شجِّع أطفالك على الاستفادة من مشاعر التعاطف هذه، ومصادر الدعم المحتملة من خلال التحدث إلى معلميهم كلما أمكن ذلك. أخبرهم بأن يطلبوا الحصول على المزيد من التوضيح. وأن يخبروا المعلمين حين يكون الفرض المنزلي مربكًا ومحيرًا. وأن يسعوا إلى طلب المزيد من المساعدة من المعلمين. وأن يكوِّنوا المزيد من العلاقات الإيجابية؛ فالمعلمون يحبون الطلاب الذين يتحلون بروح المبادرة. وقد استشهد أحد معلمي المرحلة الثانوية بهذه الفرص للمساعدة على تشكيل طريقة تعلم الطلاب باعتباره الجزء المفضل لديه في وظيفته، فيقول: "السبب في عملي في مجال التعليم هو أنني أحب اكتشاف الطريقة التي أجعل بها المدرسة مصدر نفع لهذا الطفل الجالس أمامي". بإمكان المعلمين أن يصبحوا حلفاء أقوياء ومطمئنين في عالم الثانوية المربك، ويمكن لتلك العلاقات أن تسفر عن خطابات توصية مفيدة ومؤثرة من الناحية النفسية عندما يحين وقت الالتحاق بالجامعات، أو الحصول على المنح الدراسية.

وبالنسبة إلى العديد من طلاب الصف التاسع، فإن الاختبارات الطويلة، والاختبارات السريعة القصيرة، والأبحاث في العام الأول في المدرسة الثانوية ستكون مثل لحظة استفاقة بعد السهولة

النسبية للمرحلة الإعدادية، ومن المهم للغاية بالنسبة إلى الآباء أن يستجيبوا بهدوء يبعث على الاطمئنان وبتقديم الدعم، بدلًا من الذعر. وصور مرحلة الصف التاسع لابنك باعتبارها فترة التعرف على شخصيته، فالمعلمون وأعضاء هيئة التدريس يتوقعون أن يفشل طلاب العام الأول من المرحلة الثانوية، ويرغبون في مساعدتهم على اكتشاف الأمور الخاطئة التي قاموا بها، والأمور الصائبة كذلك، وكيفية القيام ببعض التعديلات وفقًا لذلك. فإذا كان الحصول على درجة سيئة تشكل تجربة يمكن التعلم منها، فالتجربة ليست فشلًا. ومع ذلك، إذا لم يتم تعلم أي شيء من خلال الحصول على تلك الدرجة السيئة، ولم تكن سوى أمر يدعو الآباء إلى الفزع وتضييق الخناق، وزيادة القلق وزيادة الشعور بالفشل، فإنها بذلك تصبح فرصة مهدرة.

وسيحل الاعتياد والراحة محل القلق والارتباك بمرور العام الدراسي، ولكن كلما تعلم الطلاب الاستفادة من نظام الدعم المتاح المحيط بهم في هيئة معلمين، ومستشاري التوجيه، والطلاب الأكبر سنًّا، كان الوضع أفضل بالنسبة إليهم. وهؤلاء الموجهون متمكنون للغاية فيما يتعلق بالطرق العديدة التي يمكن الاستفادة بها من إخفاقات الطالب الجديد، وتعديلها إلى نجاحات لامعة، ومشرقة؛ لذا شجِّع أطفالك على الاستفادة من هؤلاء الأشخاص، وهذا العام القيم لصالحهم.

الصف العاشر: عامي المفضل

حين بدأت بالتدريس للمرحلة الثانوية للمرة الأولى، طُلب مني التدريس لطلاب السنة الثانية، وكنت سعيدة للغاية بهذا الأمر؛ حيث اختفى الخوف والقلق الناجمان عن السنة الأولى، ولم تبدأ بعد حالة الرعب والهوس التي تحدث في السنة الثالثة؛ فالصف العاشر هو وقت السكينة والاستمتاع بالمرحلة الثانوية، قبل أن تتسارع وتيرة الأمور، وينتهي حب التعلم على أعتاب الدورات التدريبية، واختبارات القبول في الجامعات.

في معظم المدارس، تقدم السنة الثانية الخيار المتعلق بالمواد الاختيارية، وهي الفرصة الأولى التي تتيح للطلاب تجربة اختيار ما يريدون تعلمه ومتى. تذكر أن الخطوة الأولى نحو التحفيز الداخلي هي الاعتماد على الذات، وهذه هي المرة الأولى التي سيعتمدون فيها على ذاتهم بشأن المحتوى الدراسي. فلا تمحُ هذه الاستقلالية التي اكتشفوها حديثًا: دع أطفالك يختاروا مناهجهم

الدراسية؛ فإذا شعروا بأنهم غير مستعدين لدراسة مقررات المتفوقين، فتحدث معهم، وناقشهم. وإذا أرادوا دراسة مقررات أكثر صعوبةً في بعض المواد؛ لأنهم يحبون هذه المواد، فاستمع إليهم أيضًا.

وقد أخبرتني إحدى الأمهات بالصدمة التي تلقتها في الليلة التي تسبق عودة ابنتها التي تدرس في الصف العاشر إلى المدرسة. حيث اجتمع الآباء في صف اللغة الإنجليزية الخاص بالمتفوقين، وقبل أن يقدم المعلم نفسه إليهم، قال:

هذا الصف هو صف صعب للغاية، وإذا التحق أطفالكم بهذا الصف؛ لأنهم يرغبون في الالتحاق به، فسيكون عامًا رائعًا؛ حيث إنهم سيعملون بجد ويتعلمون الكثير، ولكن إذا التحق أطفالكم بهذا الصف؛ لأنكم تودون لهم أن يلتحقوا به، فسيكون هذا العام أحد أصعب الأعوام بالنسبة إليهم.

وأسهب هذا المعلم فيما بعد، موضحًا أن الطلاب الذين اختاروا الدراسة في هذا الصف الصعب سيتمكنون من التعامل مع النقد البناء، والفشل الذي قد ينتج عن التعامل مع تلك الصعوبة، بينما لن يجني الطلاب –الذين أجبروا على الالتحاق به – الفائدة نفسها، ولن يتمكنوا من الاهتمام بالصف أو بمواده، فبعد ثلاثين عامًا أمضاها في تدريس صف برنامج التنسيق المتقدم الصعب للغاية هذا، رأى الاختلاف الذي بإمكان الاهتمام الشخصي تحقيقه بشأن كلٍّ من الدرجات – نتائج اختبارات برنامج التنسيق المتقدم– ونوعية حياة الطلاب، فمثلما يشعر الأطفال بمتعة قراءة الكتب التي اختاروها بأنفسهم أكثر من الكتب المفروضة عليهم، فإنهم على الأرجح سينخرطون في منهج اختاروه هم بأنفسهم. فدعهم يختاروا لغتهم التي يودون دراستها، وآلتهم الموسيقية، ورياضتهم المفضلة. وإذا أرادوا القيام ببعض التغييرات، وتجربة شيء جديد، فهذا رائع. أجل، دع أطفالك يتوقفوا عن القيام بنشاط ما، أو رياضة ما إذا شعروا بأنهم لا يحبونها؛ لأن التوقف سيحررهم (ويحررك!) ويساعدهم على إيجاد فرصتهم الأكبر؛ شيء ربما يشكل شخصيتهم، ويلهب حماسهم؛ فحقيقة أنهم درسوا اللغة الفرنسية منذ الصف الرابع الابتدائي، واستثمروا خمسة أعوام في دراستها ليس سببًا كافيًا للاعتراض على رغبتهم في التغيير. وبناءً على ذلك، فإن الأعوام العشرة التي أمضوها في العزف على البيانو ستدفعهم للنجاح إن اختاروا التغيير إلى آلة الجيتار، أو البوق، أو حتى آلة إيقاعية؛ حيث إن المعرفة في أحد التخصصات تؤدي إلى البراعة في التخصص الآخر؛ لذلك دعهم يوسعوا معرفتهم المسبقة في اللغة الفرنسية أو البيانو من خلال تطبيق ذلك التعلم في مكان آخر، إذا كان ذلك

هو اختيارهم. فكلمة السر هنا هي **الاختيار**، ويجب أن يكون نابعًا منهم، إذا أردتهم أن يشعروا بالمسئولية، والفخر في أثناء تعلمهم ونموهم.

الصف الحادي عشر: وقت الحسم

غالبًا ما تكون السنة الثالثة – وهي السنة السابقة لسنة الالتحاق بالجامعة – سنة مدمرة بالنسبة إلى الطلاب، بفضل المفهوم الشائع والمتكرر عن أن ذلك الوقت يُهدر في استيفاء سجل الطالب المدرسي والاستعداد للجامعة. وكثيرًا ما كان طلاب السنة الثالثة طلابي الأكثر رعبًا وقلقًا؛ لأن الضغوط شديدة عليهم منذ اليوم الأول لهم في الصف الحادي عشر، لأن المعلمين ومستشاري التوجيه يحبون تذكير الطلاب بأن "الدرجات المهمة" هي درجات السنة الثالثة، وإذا رغبوا في فرصة الالتحاق بالجامعة التي يختارونها، فهذه هي **أهم سنة في حياتهم كلها**. وهذا هراء. فالسنوات السابقة للسنة الثالثة والمؤدية إليها هي سنوات مهمة، أجل، الصف الحادي عشر مهم، ولكن ليس لأنه الفرصة الأخيرة للاشتراك في نادٍ للمناظرة، وإضافة ذلك إلى سيرتهم الذاتية. إنني معجبة بوجهة نظر "ديبورا إل. سبار"، رئيسة كلية برنارد، بشأن جهود الآباء في ملء السجلات الدراسية لأبنائهم طلاب المرحلة الثانوية بكل برامج التنسيق المتقدم التي شاركوا فيها، ومجموعات الخدمات المجتمعية التي انضموا إليها، والأنشطة الخارجية التي قاموا بها بعيدًا عن المناهج الدراسية فتقول:

بوصفي رئيسة إحدى الكليات، أي أنني الشخص الذي يتولى الإشراف على عملية استعراض قُرابة الستة آلاف طلب، المصاغة بعناية، والمقدمة من الطلبة الراغبين في الالتحاق بالكلية سنويًّا، دعني أؤكد لك أمرًا: إننا لا نهتم بذلك، فما نهتم به حقًّا هو أن يعرض الآباء مدى تفوق ابن كل منهم في الرياضيات، أو حبه الشديد للعزف على آلة التشيللو، أو قيامه بتحرير المجلة الأدبية في المرحلة الثانوية، أو أن لديه مخزونًا كبيرًا من روايات القرن التاسع عشر الروسية التي اطلع عليها، وليس استعراضك للرحلات المكلفة التي قام بها إلى الأماكن الفقيرة مترامية الأطراف؟ أو الأنشطة الاثنين والخمسين المتفرقة التي يقوم بها عبر الأسبوع؟ إنني أخبرك بكل صدق بأن هذه الأمور لا تفيد. فقدم إليَّ طفلًا لديه شغف بالتعلم، طفلًا أظهر قدرًا من الاعتماد على الذات والتحفيز. وقدم إليَّ طفلًا يعرف ما يريد، ومتأكدًا منه، ولكن تلك الأمور يكون تحققها أكثر صعوبة إذا كان الآباء يسيطرون على ابن كل منهم سيطرة كاملة، ويحمونه منذ ولادته[٣].

ما الـدرس المستفـاد من رئيســة الكليــة؟ تأكيـد عـدم المسـاعدة والحماية، وتأكيد منح الابن كل فرصة لزرع الاعتماد على الذات والتحفيز. ولحسن الحظ، توفر السنة الثالثة فرصًا كبيرة لكلا الأمرين. أجل، فالطلاب الملتزمون بالالتحاق بالجامعة سيؤدون الاختبارات المطلوبة هذا العام. وأجل، صفوف السنة الثالثة صعبة، خاصةً بالنسبة إلى هؤلاء الطلاب الذين اختاروا (أو الذين اختار لهم آباؤهم) تجاوز تسلسل الحيز الزمني، وحضور عشرة صفوف في تسع ساعات من اليوم الدراسي العادي. وعلى الرغم من ذلك، فإن السنة الثالثة أيضًا هي وقت للتمتع بالمزيد من الاعتماد على الذات فيما يخص الدراسة، والقدرة على دراسة المواد الاختيارية في الفنون، والعلوم، والأدب التي من الممكن أن تشعل حماسه وتثير روحه. بعض المدارس توفر لطلابها فرصة الدراسات المستقلة، والمزيد من فترات الراحة، والحرية للقيام بالمجازفات الدراسية خارج المدرسة بأنفسهم.

السنة الثالثة هي أيضًا المرة الأولى التي يمكن فيها للعديد من الطلاب شغل بعض الوظائف بشكل قانوني، وقد قابلت العديد من الطلاب الذين نجحوا في تحقيق الاعتماد على الذات والتحفيز من خلال العمل، فهناك طالبة قد تطوعت في متحف الفنون المحلي، تقدم المساعدة أينما احتاجوا إليها بين اللوحات والمنحوتات التي تحب. وطالبة أخرى تعمل مرشدة في معرض الأحياء المائية، تدرس للأطفال الأصغر سنًّا وتمدهم ببعض المعلومات عن نجم البحر وقنافذ البحر، بينما تشبع شغفها بعلم الأحياء البحرية. وآخر يتدرب مع نجار بعد المدرسة، ويتعلم فن تشييد المباني الخشبية؛ فهؤلاء الطلاب لا يتعلمون كيفية إضافة المزيد من المعلومات غير الضرورية إلى طلباتهم للالتحاق بالجامعات، بل أخذوا يجنون ما يكفي من مصروفهم الشخصي؛ فقد وجدوا طرقًا لتحويل التعلم إلى غاية وهوية. وتصف إحدى الطالبات –التي تعمل في معمل بعد المدرسة – المتعة التي وجدتها هناك، حيث تقول: "كان هذا المكان أشبه بغرفة للتأمل بالنسبة إليَّ، ففور انخراطي في القيام بتجاربي، كنت أنسى أي شيء آخر، وتتضاءل أهميته بالنسبة إليَّ، فأشعر بإيقاع هادئ، ويختفي كل الضغط والقلق. وأشعر بأهميتي في المعمل، فلديَّ مهمة. وقد شعرت للمرة الأولى في حياتي بأن بإمكاني استخدام كل ما تعلمته، وأكون جيدة فيه".

تقدم التجارب المماثلة للتجارب التي خاضوها بيئةً مناسبةً للمجازفة والتعرض للفشل؛ فالأطفال المزودون بهوية قوية وشعور قوي بالغاية والهدف، يمكنهم التعامل مع خيبة الأمل على المدى القصير التي تصحب الفشل الشخصي، ويخرجون منها أكثر قوةً. فشجع ابنك على الوصول إلى

الأمور التي ربما لا يحاول الوصول إليها، مثل: الانضمام إلى دورة تدريبية، أو الكتابة في مجلة أو جريدة، أو أداء دور في مسرحية. وحث ابنك على المجازفة وخوض غمار هذه المحاولة؛ فإذا ما تم رفضه ٩٩ مرة من ١٠٠ مرة، فإن الفرصة الوحيدة المتاحة أمامه للقبول يمكن أن تكون هي الفرصة التي تؤدي إلى إذكاء شغفه باستمرار مدى الحياة.

وتنقضي السنة الثالثة بسرعة فائقة، وبينما تلوح المرحلة الجديدة في الأفق أكثر وأكثر، حيث تتضمن الجامعة والعمل، يصبح من المهم أكثر من أي وقت مضى أن تشجع ابنك على اختبار حدوده، ومنطقة راحته في كل فرصة، بينما تظل أنت على مقربة منه، وتدعم جهوده.

الصف الثاني عشر: السنة النهائية

منذ اليوم الأول في سنة التخرج، والجميع يعلم أن لحظة التخرج آتية لا محالة، فسواء كنت تترقب أنت وأبناؤك المراهقون يوم التخرج بخوف، أم بحماس، أم بذعر كالمعتاد، فإن ما يفصلك عنها فقط ١٨٠ يومًا دراسيًّا؛ فهي في أذهان الطلاب والمعلمين كل يوم، حتى إنني أعرف طلابًا يحتفظون بالتقويم في خزانتهم للاحتفاء بالعد التنازلي اليومي حتى الوصول إلى اليوم المنشود.

ويوفر الصف الثاني عشر حتى الآن آفاقًا مجهولة من الاستقلالية، وفي كل مرة أقوم فيها بالتدريس لطلاب سنة التخرج، يذكرونني بحاجتهم إلى هذه الاستقلالية في كل فرصة؛ فهم يحاولون إبعادنا نحن معلميهم عنهم، وفي الوقت ذاته يتشبثون بنا لتقديم الدعم إليهم، وهذا الشد والجذب لا ينتهي حتى آخر يوم. وبعض الطلاب ينخرطون في دراستهم مباشرة، ويقطعون علاقتهم بالمعلمين في الأشهر السابقة للتخرج من أجل إنهاء هذا الشد والجذب، والآخرون يتشبثون بنا جيدًا، حتى يحين وقت تخرجهم. أعرف أن هذا الشد والجذب يحدث في المنزل، حيث يشتكي الآباء من انسحاب أبنائهم من المشاركة في الأمور العائلية، في حين أنهم يعتمدون عليهم من أجل الحصول على دعمهم وحبهم في الوقت نفسه.

وأهم وقت تبدأ فيه منح أبناءك قدرًا من السيطرة، هو خلال البحث عن جامعة؛ حيث إن اختيار ابنتك للجامعة هو القرار الأول – بل هو الأهم – الذي ستتخذه في مرحلة الشباب. فقاوم إغراء التحدث عن الجامعات التي تمنيت أنت الالتحاق بها، أو الجامعات التي التحق بها جميع أفراد العائلة على مدى الأجيال الثلاثة السابقة؛ فاختيار الجامعة يتعلق بملاءمة هذا الاختيار للشخصية – ويجب

أن يكون نابعًا من اختيار الشخص نفسه – وأنا أتحدث هنا عن ابنك وليس عنك أنت. فكن متفتحًا، وشجع ابنك على أن يكون متفتحًا كذلك، وأن يتجاوز في بحثه عن الجامعة التي يريد الالتحاق بها القائمة السنوية لأفضل خمسين جامعة، التي تتصدر المواقع الإلكترونية والمجلات. وامنح ابنك بعض السُّلطة لاختيار جامعته، وهو على الأرجح سيقوم باستثمار وقته، وطاقته، وذكائه.

طلبت من نائب مدير إحدى المدارس الثانوية أن يخبرني بشأن الاختلافات التي يراها بين الطلاب الذين تم تشجيعهم على التمسك بالاعتماد على الذات، والطلاب الذين تم حرمانهم من هذه الفرصة؛ حيث قال:

يتخرج الطالب المعتمد على ذاته في مرحلة الثانوية مستعدًّا بشكل أفضل لمواجهة العالم؛ حيث إنه يتخرج فيها وهو شخص أقوى يتمتع بمهارات اجتماعية ومهارات تكيف قوية. يتخرج الطالب الذي يتمتع بدرجة أكبر من الاعتماد على الذات وهو لديه إدراك عميق بما يفيده بوصفه طالبًا، وبوصفه أيضًا عضوًا في المجتمع بوجه عام، فتكون لديه إستراتيجية لاستكشاف العالم. وعلى الصعيد الآخر، فإن الطالب الذي يتخرج في المرحلة الثانوية باعتباره شخصًا تابعًا اعتماديًّا يكون أقل استعدادًا لمواجهة العالم بوجه عام وأقل جاهزية.

وبينما توشك سنة التخرج على الانتهاء، يكون الطلاب قد وجدوا فرصة رائعة لإيجاد المتعة في عملية التعلم. وحين يدرك الطلاب ضآلة الوقت المتبقي لهم في المدرسة، وأن الحمل الثقيل للمرحلة الثانوية أوشك أن ينتهي، فإنهم يتمكنون من الاسترخاء ويتخلصون من مخاوفهم. الآن، وبعد أن أصبحت النتائج معروفة بالنسبة إلينا، دع طفلك يستمتع بجمع ثمار عمله في تلك اللحظات الأخيرة قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية في رحلته.

بعد الاحتفال بمراسم التخرج

تشكل المرحلة الثانوية والحياة التي تليها – سواء تضمنت جامعة أم وظيفة – خطًّا فاصلًا. وعلى الرغم من تحول مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ، فإن العديد من الآباء لا يعرفون كيفية التصرف المناسب في هذه المرحلة، إنه أمر بسيط للغاية؛ حيث إن هناك مجالات قليلة في الحياة الجامعية يعود إليك التصرف فيها, لقد أصبح ابنك شخصًا بالغًا قانونيًّا، حتى إن كنت لا تزال تدفع له مصروفات الجامعة، وقد حان الوقت لتتوقف عن التدخل في شئونه وتدعه يتحمل عواقب قراراته

وإخفاقاته. وعليك الاتصال بمكتب المساعدات المالية، أو أمين صندوق الجامعة إذا حان وقت دفع المصروفات، وهذا كل شيء، أما كل الأمور الأخرى – ومنها اختيار المنهج الدراسي، والتحدث إلى الأساتذة بشأن الدرجات، والتفاوض مع زميل السكن بشأن الخلافات، والتعامل مع الفوضى في المسكن– ينبغي لابنك التعامل معها، حتى إن لم يكن قد تعامل معها من قبل، الآن حان الوقت لتدعه يبدأ ذلك.

وعندما سألت "مايكل كيمرز"، أستاذ بجامعة كاليفورنيا في مدينة سانتا كروز، أن يوضح لي تجربته مع الطلاب الذين أفرط آباؤهم في حمايتهم من الفشل، ومن ثم أصبحوا غير مستعدين لتلبية متطلبات الحياة بأنفسهم، جاء رده كالتالي:

أعلم أننا جميعًا استمعنا إلى قصص مرعبة بشأن الأطفال الذين يلتحقون بالجامعة، وليست لديهم أية خلفية ولو عن كيفية القيام بغسل ملابسهم. جاء إلى مكتبي ذات مرة طالب أخذ يذرف الدموع بسبب هذا الأمر، ولكن هذه ليست هي المشكلة؛ فالأمر لا يستغرق وقتًا طويلًا لتتعلم كيفية غسل ملابسك. والمشكلة الحقيقية تتمثل في طريقة تفكير طالب يرسل رسالة بريد إلكتروني إلى أستاذه ليطلب منه طلبًا في منتصف الليل، ويستشيط غضبًا عندما لا يجيبه هذا الأستاذ بحلول الساعة الثامنة والنصف صباحًا وقت بداية المحاضرة، وعندما يصر الطالب – لمجرد رغبته في القيام بالعمل المطلوب منه – بالحصول على الدرجة نفسها التي سيحصل عليها من قام بالعمل بالفعل، أو عندما يتلقى أستاذ الجامعة اتصالًا هاتفيًّا من أب غاضب يريد أن يعرف سبب رسوب ابنه. إنها صافرة إنذار مروعة، ليس بالنسبة إلى الأستاذ الجامعي، بل لك أنت؛ لأنه إذا كان ابنك لا يستطيع كتابة بحث جدلي مكون من عشر ورقات في عامه الجامعي الأول، فإن الأوان قد فات. معلمو المدارس الابتدائية والثانوية معلمون محترفون، والأساتذة الجامعيون أساتذة محترفون يشاركون ما لديهم من علم مع الطلاب كجزء من اتفاقهم المبرم مع الجامعة، وبقية التزاماتهم تتمثل في أبحاثهم وخدمتهم الجامعة ومهنتهم, فمن غير الممكن لأستاذ جامعي يدرس في محاضرة تضم ٣٠٠ طالب أن يقضي ساعة أسبوعيًّا مع كل طالب يحتاج إلى مساعدة، وليس من المنطقي أن تنتظر من أستاذ أن يتواصل مع كل ولي أمر بعد كل مشكلة يتعرض لها الطالب، أو عندما يكون لديه حاجة إلى شيء ما. في الواقع، ويمنعنا القانون بشكل صريح من فعل ذلك من دون موافقة صريحة من الابن. وفي المناسبات العديدة حين يردني اتصال من أب غاضب، أقول بكل بساطة: "إنني أدرس لابنك؛ وليس لك أنت. عليك التحدث إلى ابنك".

ومن أجل مواجهة الكم الكبير من طلبات الآباء القلقين بشأن أبنائهم ومخاطبتهم، قامت العديد من الجامعات والكليات بإضافة صفحات مرجعية للآباء على موقع عميد شئون الطلبة لديها، وأتاحت العديد من الجامعات الأخرى للآباء التوجه إلى الحرم الجامعي ومناقشة مشكلات ابن كل منهم، ولكنَّ توافر هذا النوع من البرامج والعروض يعني أن عليك الاستفادة منها حتى إن لم تكن في حاجة إليها. ففكر في أي الرسالتين تود توجيهها إلى ابنك وهو يواجه العالم: "لم أقم بوظيفتي التي كان من المفترض عليَّ القيام بها معك حين كنت في منزلي، لذا سأتبعك الآن في مرحلة بلوغك للتأكد أنك لا تخطئ"، أو "أصبحت الآن شخصًا بالغًا، وأنا أثق بقدرتك على النجاح في الجامعة".

تسعى الكليات والجامعات جاهدةً إلى الوصول إلى الآباء، وتطلب منهم توصيل هذه الرسالة إلى الطلاب بشكل صريح وقاطع قبل وصولهم إلى الحرم الجامعي. وتقدم الصفحة المخصصة للآباء على الموقع الإلكتروني لجامعة نورث وسترن الإلكترونية، هذه النقاط التذكيرية بشأن ما يحتاج إليه الأبناء من آبائهم خلال سنوات الجامعة:

- يحتاجون إلى أن تدعهم ينطلقون بمفردهم.
- يحتاجون إلى التمتع بالقدرة على ارتكاب الأخطاء.
- يحتاجون إلى أن يعرفوا أنك تؤمن بهم.
- يحتاجون إلى أن يعرفوا أنك مهتم بشأنهم، ولست متطفلًا عليهم.

أتمنى أن تكون قد عززت جيدًا اعتماد ابنك على ذاته، وشعوره بالكفاءة قبل مغادرته للالتحاق بالجامعة، ولكن إذا كنت ستبدأ متأخرًا، فإليك بعض المحادثات الداعمة للاعتماد على الذات التي يمكنك إجراؤها في الشهور السابقة للالتحاق بالسنة الأولى من الجامعة، محادثات يمكنها مساعدة الطلاب على الشعور بالسيطرة على حياتهم الجامعية.

تحديد أهداف السنة الأولى.

اسأل ابنك عن تصوراته بشأن ما قد تبدو عليه السنة الأولى في الجامعة، ثم اسأله عما يمكن فعله لتحويل تلك السنة الخيالية المثالية إلى حقيقة. وبعد ذلك، قلِّص عدد الأهداف. وحدد معه الأمور التي

ربما يستطيع عملها في شهره الأول في الحرم الجامعي من أجل التمهيد لقضاء سنته الأولى بشكل جيد، وتذكر أنه يجب أن تكون هذه المناقشات داعمة وفي سياق الإرشاد، وليست مناقشات تتسم بالأمر والسيطرة.

تحديد الحلفاء في الحرم الجامعي.

إذا لم يكن يعرف كيفية تحقيق أهدافه، فاقترح عليه أن يتحدث إلى شخص بإمكانه تقديم الإرشاد إليه, ويساعده على التعرف بمستشارين وأساتذة في المواد المهمة بالنسبة إليه، وعمداء مستعدين للمساعدة. وتأكد من إدراكه فوائد التعرف بأساتذته، وأن يحاول التعرف بأشخاص من الحرم الجامعي يمكنه طلب نصيحتهم ومساعدتهم؛ لكيلا يضطر إلى الاتصال بك وهو يعاني حالة ذعر في شهر نوفمبر قبل الإعلان عن نتيجته النهائية مباشرةً. وإذا كان له توجه فكري معين، فليبحث عن المؤسسات الدينية التي ربما تلبي احتياجاته الدينية. ويبحث عن عناوين البريد الإلكتروني لأساتذته، ومستشاريه، ورئيس قسمه، ويبحث عن مكاتبهم من خلال خريطة الحرم الجامعي. وتحديد أماكن مراكز الخدمات الصحية، وخدمات الصحة العقلية للطالب. وفي خضم فوضى الشهور الأولى من الجامعة، سيستفيد ابنك من الأفكار التي سيقدمها إليه بعض الأشخاص الرئيسيين الموجودين حوله إذا احتاج إليهم.

الاطمئنان عليه.

كرر محادثتك معه خلال العطلات. واسأله هل المستوى الذي قدمه خلال عامه الأول يرتقي إلى مستوى توقعاته؟ لِمَ ولِمَ لا؟ ما الذي ربما يكون فعله بشكل مختلف؟ يمكنك إشراك أشقائه الأصغر سنًّا في هذه المحادثة؛ لأن ذلك ربما يوفر عليهم الكثير، حين يحين دورهم للالتحاق بالجامعة.

التحلي بالصمت.

احتفظ بأفكارك التي تتعلق بالطريقة التي يجب أن يسير عليها مستقبله الجامعي لنفسك؛ فهذه العملية تتعلق بتعليمه كيفية تسوية مشكلاته بنفسه، وكيفية وضع خطة واتباعها. وإذا كان عامه الأول في الجامعة, مثل العام المثالي النموذجي الذي تخيله، فتصور مدى فخره بأنه حقق ذلك، فإذا توليت زمام الأمور، فستحول إنجازاته في الجامعة إلى إنجازات من صنعك – وليس من صنعه – ومرة

أخرى سيقوض ذلك من شعوره بالاعتماد على الذات وشعوره بالكفاءة، ويعوقه عن أن يصبح شخصًا بالغًا في نهاية المطاف؛ فهو في سباق مع الزمن وفي أقل من أربعة أعوام، سيكون عليه مواجهة العالم الكبير الشرس والدفاع عن نفسه بنفسه. ولن يستطيع تحمل حرمانه من أية خبرة من تلك الخبرات التكوينية.

عدم التدخل في المشكلات التي تحدث مع زميل السكن.

فكما رأينا، إن تعلم كيفية التعامل مع الأشخاص ذوي الأفكار والعادات والخلفيات المختلفة عنك يشكل فرصة عظيمة للتعلم؛ ففور اختيار ابنك زميله في السكن (أو يتم ترشيح أحد الزملاء ليسكن معه)، لا تتصل "بذلك الزميل" هاتفيًا، أو ترسل إليه برسالة نصية، أو تضيفه على حسابك الخاص على موقع فيسبوك، أو تبحث عنه على موقع جوجل؛ لأنك لن تحيا معه، فابنك هو من سيحيا معه.

لا يرغب الأساتذة في تدخل الآباء.

لا تتدخل في الخلافات المتعلقة بالدرجات، أو أماكن الجلوس، أو بالجدول الزمني، أو الدرجات المؤقتة أبدًا، حتى إن كان ابنك خجولًا، وإن كان فاشلًا، وبخاصة إن كان مشغولًا للغاية وليس لديه وقت للتعامل مع هذا الأمر؛ لأنه في عطلة الربيع، فإنك بذلك لن تحرم ابنك من الفرصة القيمة لتعلم كيفية الاعتماد على نفسه والتحاور مع غيره من البالغين بأسلوب يتسم بالنضج والكفاءة فقط، بل سيفقد الأساتذة أيضًا احترامهم لك ولابنك في حالة تدخلك.

سيطلب الأطفال المساعدة حين يحتاجون إليها.

تأكد أن أبناءك سيتصلون بك (أو يبعثون إليك برسالة نصية) حين يحتاجون إليك، ولكن ربما لا يكون التواصل كثيرًا مثلما تريد. فتذكر أنهم سيتصلون بك كثيرًا إذا لم تكن من نوع الآباء الذين يقومون بالاستفسار مباشرة عن الدرجات، والمهام، وإن كان ابنك قد أجرى المقابلة التي طلبت منه الأسبوع الماضي مع أستاذ الاقتصاد أم لا.

وسيكتسب ابنك خلال هذه السنوات الأربع الكثير من الصداقات، والعلاقات، وسيتعلم الكثير من الدروس، والتجارب التي ستشكل حياته بوصفه شخصًا بالغًا. فادعم ابنك، ولكن اعلم متى عليك

التراجع والسماح له بمباشرة حياته بنفسه. فقد جاءت إحدى عميلات الطبيبة النفسية "هارتستيين"، وهي سيدة في الثلاثين من عمرها، تولى أبواها إدارة كل جوانب حياتها، والآن وجدت نفسها وفق وصف "هارتستيين" لها "غير قادرة على عيش الحياة كما هي"، وتحذر "هارتستيين" الآباء ممن هم مثل والدي هذه السيدة فتقول: "الدعم الزائد – كما تعلمون – ليس أمرًا جيدًا؛ فهو لا يعلمك أي شيء، مثل كيفية الصمود في هذا العالم. ويمكن أن يكون إساءة كبيرة للغاية".

فامنح ابنك الفرصة لكي ينجح, وأرسله إلى الجامعة معه حقيبة الإسعافات الأولية وبعض النقود في حالة الطوارئ، والثقة بكل ما سيتعلمه, فدعه يتمتع بحرية خلق الشخصية التي يريد أن يكون عليها، وإدراك المسارات والمؤثرات التي لا يرغب في اتباعها. فإذا فشل، وحتمًا سيفشل، فسيكون ذلك دليلًا على تجربة ليس هناك مجال للتقدم فيها، وسيتعلم عدم السير في ذلك الطريق مجددًا، لكن إذا مهدت له هذا الطريق المسدود الذي لا مجال للتقدم فيه، فلن يتعلم أي شيء جديد. فقد عِشْتَ حياتك، واستفدت من الدروس التي منحتك إياها هذه الحياة, والآن قد حان دوره.

الجزء ٣: النجاح في المدرسة: التعلم من الفشل يعد جهدًا جماعيًّا

١٠: الشراكة بين الآباء والمدرسين: كيف يُضْعِف خوفنا من الفشل جودة تعليم أبنائنا

على مدار حياتي المهنية في مجال التدريس، كنت أراسل الآباء طوال الوقت، وأتواصل معهم، وأخبرهم بآخر الفروض المطلوب من أبنائهم القيام بها، وأهنئهم على ما حققوه من إنجازات بشق الأنفس، وأبلغهم بما استجد من مشكلاتهم السلوكية، وقد كنت أواجه صعوبات – في كل مرة أراسل فيها الآباء في المنزل، سواء كان هذا عن طريق البريد الإلكتروني، أم بالاتصال هاتفيًّا– في صياغة محتويات رسائل البريد الإلكتروني، أو مضمون المكالمات الهاتفية، وبخاصة إن كانت تنطوي على أخبار سيئة، أو انتقاد أبنائهم، ولذلك كنت أبذل قصارى جهدي لجعل كلماتي لطيفة ومعتدلة، وصارمة في الوقت نفسه، وكنت أتمنى دومًا أن أهتدي إلى الأسلوب الصحيح، وأن يؤدي تواصلي معهم إلى بدء شراكة كبيرة بيننا من خلال تضافر الجهود بين الآباء والمعلمين للعمل معًا على إنجاز ما لا يمكن لشخص واحد القيام به وحده، فكان بعضهم يسير على ما يرام، أما بعضهم الآخر... فليس كذلك.

وإليك مثالًا على الشراكة الكبيرة بين المنزل والمدرسة؛ فقد حدث بعد ظهر أحد الأيام أن نشر أحد الطلاب شيئًا غير لائق عن طالب آخر عبر الإنترنت خلال ساعات الدوام المدرسي، فقام المدرسون والإداريون بالبحث في ملابسات هذا الأمر، وتوصلوا إلى الطالب المسئول عن ذلك، ثم اتصلوا بوالديه في غضون ساعات لإخبارهما بأننا سنبادر باتخاذ الخطوات التأديبية المناسبة وفقًا للقواعد المدرسية بناءً على ما اقترفه ابنهما، وشكرنا الوالدان على معالجة هذه المسألة بإنصاف وبسرعة، وكذلك على تحديد الأطراف المذنبة في هذا الموقف، وأكدا لنا أنهما سيستأنفان المناقشات التي بدأناها في المدرسة مع ابنهما في المنزل، وهكذا كان كل شيء يسير وفقًا لخطة محكمة؛ حيث شعرنا بمساندة الأب والأم، وشعر الوالدان بالدعم من قبل المدرسة، وفهم الطلاب أن المنزل والمدرسة يمثلان جبهة موحدة، وهكذا يتضح أن تلك النتيجة هي أفضل السيناريوهات؛ لأنه عندما

يحدث ذلك، تسير الأمور على خير ما يرام، ويستفيد الجميع من الجهود الموحدة، ويتحمل الطلاب المسئولية، ويُسمح لهم بالتعلم من أخطائهم.

ومع ذلك، فهناك احتمال أيضًا بأن يسير التواصل بين المدرسة والمنزل على نحو سيئ، بل قد يسفر الصراع الناتج عن ذلك عن نتائج كارثية، تؤثر في الشراكة الفعالة فيما بينهما، وتنال من اقتناع الطالب بأننا جميعًا نعمل على دعمه، وإليكم قصتي الحزينة والمهينة والمستوى المتدني الذي قد يصل إليه الحوار بين المعلمين والآباء عندما تتدهور العلاقات بينهم.

كانت الساعة تشير إلى ٨:١١، وكنت متأخرة على حصتي الأولى التي سأدرِّس فيها اللغة اللاتينية إلى طلاب الصف السابع؛ وذلك لأنني كنت عالقة في مكتب رئيسي في العمل؛ حيث كانت هناك أم غاضبة تقف خارج المكتب ويمنعني وجودها من الخروج منه، فطرأ على بالي أن أتسلق النافذة، ولكن النافذة كانت بعيدة جدًّا عن الأرض، وقد ألقى حتفي جراء هذا السقوط، فأدركت أنني على استعداد لخوض تلك المخاطرة، وبينما كنت أختلس النظر عبر الشق الموجود بين باب المكتب وإطاره إلى تلك الأم التي تقف في الخارج، والتي لم تكن تعلم أنني في الداخل، فكرت في أن أنتظرها حتى تنصرف، ولكنني فكرت أن بإمكاني أن أنسل بسرعة من خلفها، وأبقي وجهي في الأرض، ومن ثم أتمكن من الهروب سالمةً، ثم تفقدت الساعة، فوجدتها تشير إلى ٨:١٢، فانزعجت انزعاجًا بالغًا، وأخذت نفسًا عميقًا، وذكرت نفسي بأن طلابي ينتظرونني لأعلمهم قواعد اللغة اللاتينية، فتسللت خارجة من الغرفة التي كانت أشبه بالسجن، ولم تنتبه إليَّ تلك الأم الغاضبة التي كانت تشبه الأسد، وتقف حائلًا بيني وبين حريتي؛ كانت متوترة ومتأهبة لتمزيق أي شخص يحول بين شبلها والتحاقه بمدرسة ثانوية من الدرجة الأولى، ولسوء الحظ كنت أنا فريستها المستهدفة اليوم؛ لأنني المعلمة التي أرسلت إليها رسالة إلكترونية منذ ثلاثين دقيقة تنقل لها أخبار درجات ابنها المتدنية في مادة اللغة الإنجليزية.

ما الذي وضع الآباء والمعلمين في هذا الموقف؟ كيف لي أن أضطر – وأنا شخص مهني واثق بنفسه، ولديه خبرة في مهنة التدريس لأكثر من عقد – إلى الاختباء من امرأة حري بها أن تكون حليفتي في السعي إلى تعليم طفلها؟ من ناحية أخرى، كنت أظن أن هذه السنة الدراسية لن تمر بسلام وبشكل ممتع على هذه الأم، فلا بد من أن كل هذا القلق والمخاوف التي تشعر بها إزاء كل التفاصيل

الدقيقة في اليوم الدراسي لابنها، ويشكل كل الإحباط والغضب الموجهين إلى معلميه لإخفاقاتهم المتصورة وأوجه قصورهم، عبئًا مرهقًا بالنسبة إليها، فهي لا **تبدو** سعيدة بالتأكيد؛ حيث إن العديد من أولياء أمور طلابي يبدون مجهدين بشكل كبير وعلى وشك الانهيار.

والآن كفى حديثًا عنا؛ فنحن لا يلحق بنا سوى ضرر بسيط، في حين أن الضحايا الحقيقيين في هذه الحالة هم الطلاب؛ حيث يعبر الكثير من طلابي عن توترهم وخوفهم التام طيلة أسابيع قبل صدور تقارير الأداء، فضلًا عن أنهم يبدون في الأيام التي تسبق اجتماعات الآباء والمعلمين، كأنهم متوجهون ليلقوا حتفهم، حتى عندما يكونون على وفاق تام مع والديهم ويحترمون معلميهم، ويكون هناك خلاف بين الآباء والمعلمين، فإن الولاء لأحد الطرفين يقف عائقًا في طريق العلاقة مع الآخر؛ فالأمر أشبه بالآباء والأمهات الذين يتفاوضون على مسألة الطلاق، وهذا ما يجعل طلابي لا يستطيعون الثقة بي على الإطلاق، عندما أخوض معركة مع والديهم.

وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات والتوتر بين الآباء والمعلمين، فإن الأبحاث التي أجريت طيلة عقود تبين أن العلاقات الإيجابية بين الأسرة والمدرسة هي أمر حيوي من أجل نجاح الطلاب؛ حيث إن فائدة الشراكات الإيجابية بين الوالدين والمعلمين لا تعود بالنفع على الطلاب فحسب، بل تعود بالنفع على جميع المعنيين كذلك. ويصنف المعلمون الذين يشجعون على مشاركة الوالدين في المدرسة بدرجة أفضل من المعلمين الذين لا يفعلون ذلك، حتى في الجوانب التي لا تتصل بأبنائهم، مثل مدى فاعلية العملية التعليمية، كما يتعلم الطلاب بشكل أفضل عند انخراط أسرهم في تعليمهم، وكذلك يشعر أولياء الأمور بمزيد من الانخراط والاستثمار في تعليم أبنائهم، عندما يدعوهم المعلمون إلى المشاركة في هذه العملية١.

فإذا كانت هذه هي الحال، فلماذا يذكر الكثير من المعلمين التحدي المتمثل في التعامل مع أولياء أمور الطلاب كسبب رئيسي لتخليهم عن فصولهم الدراسية؟ ويدعو المعلمون والباحثون في مجال التعليم إلى إقامة شراكات بين المدرسة والمنزل، ويشيدون بقيمة مشاركة الأسرة في التعليم، ولكنهم يعربون دون تردد في مناقشاتهم مع بعض المعلمين الآخرين عن ارتيابهم في احتمالية نجاح هذه المشاركة، فأنا لست المعلمة الوحيدة التي تخاف من الاصطدام بأولياء الأمور، حتى إذا كنت أنا

الوحيدة التي أرغمت على الاختباء في مكتب مظلم. وعلى أية حال، استنادًا إلى مئات المحادثات مع المعلمين والإداريين عن هذا الموضوع، اكتشفت أنني لست الوحيدة التي تخاف من هذا الأمر.

ويفسر مدرس عمل في هذه المهنة أكثر من أربعين عامًا التحول في العلاقة بين الآباء والمعلمين بهذه الطريقة، حيث يقول:

عندما بدأت التدريس، كان الآباء والمدرسون في المدارس ومسئولو إنفاذ القانون على قلب رجل واحد، فكانت السلطة متناغمة ومتحدة، ولم يكن هناك مجال للتشكيك فيها، ثم جاءت الستينات وما خلفته من عواقب؛ فبالنسبة إلى أطفال الستينات، خاصة أولئك الذين أمضوا فترة مراهقتهم في تلك الحقبة، أصبحت العلاقة بين المواطن والسلطة أقل ثقة، ووُضعت السلطة بالفعل في موضع تساؤل وشكٍّ، فقد كان يتم الاحتفاء بالاختلافات وقبولها، وفي نهاية المطاف، كبر أطفال الستينات وأصبحوا آباء وأمهات. وأصبح أولئك الذين كانوا يشككون في السلطة ويضعونها موضع تساؤل هم سلطة التحقيق المعنية اليوم.

حتى قبل أن تكون السلطة موضع شك من قبل الثقافة المناهضة في الستينات، كانت العلاقات بين المدرسة والمنزل معقدة، ويكشف تاريخ التعليم في أمريكا عن التوازن الهش للسلطة بين المنزل والمدرسة، وبين النظام المحلي والنظام الفيدرالي، وبين المدارس العامة والمدارس الخاصة.

فخلال الحقبة الاستعمارية، كان الطلاب يتعلمون في كل من المنزل، وفي المؤسسات الدينية، فكان التعليم جهدًا تعاونيًّا بين هذه الجهات، ولم تكن تستحوذ عليه مؤسسة واحدة أو شخص واحد، وذلك لأنه عندما يتشارك الجميع في الجهد معًا، سيكون العمل وتحقيق التعاون والأهداف المشتركة أمرًا سهلًا للغاية. وفي نحو عام ١٨٤٠، بدأت الحكومة الاتحادية في وضع القواعد واللوائح المتعلقة بالنظام التعليمي الأمريكي الذي خلق انقسامًا أيديولوجيًّا بين المنزل والمؤسسات الدينية. وفي بداية تطور النظام التعليمي، كانت المناقشة المفتوحة بين المدرسين والآباء هي القاعدة، وكان الطلاب ينتقلون من تعلم مهارة إلى تعلم المهارة التالية، وليس من صف إلى آخر، ولكن نتيجة انتقالنا إلى نظام موحد يستند إلى التميز حسب العمر، وصارت البطاقات التقييمية بديلًا للتواصل بين الأشخاص، واتسعت الفجوة بين المنزل والمدرسة، فلم يعد المعلمون مجرد أعضاء واسعي الاطلاع

داخل المجتمع، بل أصبحوا يتلقون تعليمًا وتدريبًا رسميًّا، وصاروا مهنيين معتمدين يتم إحضارهم من الخارج، وتكليفهم بتعليم المجتمع كله وتطوير فكره.

بدأ الصدام بين المدارس وأولياء الأمور بشأن التعاليم المتعلقة باللغة والدين والتقاليد العرقية والأخلاق، ورأى أولياء الأمور أن المدارس تحاول انتزاع السلطة من الأسرة، وهذا ما دفع بعض الأسر إلى مقاضاة المدارس في المحكمة؛ من أجل انتزاع الحق القانوني في تربية أطفالها وفقًا لتقاليد المجتمع وقيمه. عندما قاضَى "جوناس يودر" ولاية ويسكونسن أمام المحكمة العليا في عام ١٩٧٢ بشأن حق إحدى الطوائف الدينية في إخراج أطفالها من المدرسة بعد الصف الثامن، أيدت الولايات المتحدة حقها في القيام بذلك، وبعد تدوين تلك السابقة في السجلات، تأجج الصراع بين المنزل والمدرسة كثيرًا على الأولويات المتباينة.

وفي الوقت ذاته، استمر تدني مستوى احترام المعلمين ومهنة التدريس، وفي عام ١٩٨٣، توصلت مؤسسة "جالوب" في بحث أجرته عن رغبة الآباء في أن يصبح أبناؤهم معلمين أن "أقل من نصف الذين شملهم الاستطلاع في عام ١٩٨٣ يودون أن يصبح أطفالهم مدرسين، وكانت تلك النسبة منخفضة بمقدار ثلاثة أرباع مقارنة بالاستطلاع الذي تم قبل أربعة عشر عامًا"٢. وكانت مهنة التدريس، وما زالت، مهنة نبيلة يكن لها الجميع كل الاحترام والفخر، ويشير فرار المدرسين بأعداد كبيرة من تلك المهنة إلى شعورهم بالإحباط من خضوع العملية التعليمية لإملاءات المشرعين والإداريين، ومجموعات الضغط، أو أي شخص آخر ممن يرغبون في فرض قواعد وأسلوب معين على نظام التعليم اليومي لأبناء أمتنا.

ولم ينتج عن الانتقال المهزوز إلى المعايير الأساسية المشتركة للولاية سوى تسليط الضوء على الانقسامات العميقة بين الآباء والمدارس وصانعي السياسات، ونظرًا إلى مساهمة وسائل الإعلام في تأجيج حالة الاستياء التي كانت لدى الجميع؛ حتى ارتفعت وتيرتها إلى أقصى حد، أصبح من الصعب على الطلاب أن يسمعوا (أو يتعلموا) أي شيء غير صيحات الغضب؛ فالمعلمون غاضبون بسبب عدم استشارتهم في أثناء وضع المعايير، ومديرو المدارس غاضبون كذلك لشعورهم بأنهم مغلولو الأيدي إزاء الطريقة السيئة التي نفذت بها المعايير، كما شعر الآباء بالإحباط بسبب الصعوبات التي واجهها أطفالهم في تعلمهم وفق هذه المعايير الجديدة. وكان الآباء قد ألِفُوا مجابهة

إجراءات المعلمين وممارساتهم قبل تطبيق المبادئ الأساسية المشتركة، ولكن المشكلات التي تكشفت خلال تنفيذها أعطت الآباء ذرائع للتدخل في كل جانب من جوانب تعليم أبنائهم.

إن الثقة هي أول شيء تم فقدانه في خضم هذا الصراع، تلك الثقة التي يجب أن تتوافر لدينا جميعًا، بعضنا تجاه بعض، حتى تتسنى لنا مساعدة الأطفال من خلال أخطائهم التي قد يقعون فيها خلال التعليم، ولذلك يحتاج الأطفال إلى مساحة للفشل، ويحتاج المعلمون إلى الوقت وحسن الظن لجعل هذا الفشل يخدم العملية التعليمية، ويوضح أحد المدرسين المخضرمين والمديرين، وهو يعمل في مدرسة ثانوية عامة كبيرة الفرص التي يفقدها المعلمون عندما يُحرمون من الخبرة التعليمية الوافرة التي تتولد لديهم عندما يفشل طلابهم، فيقول:

عندما يسرع الآباء إلى التدخل عند اتخاذ ابنهم قرارًا خاطئًا، أو ارتكابه خطأً، أو تعرضه لفشل، من أجل تجنيبه "عواقب" هذا القرار أو الأداء، فإنهم يغفلون حقيقة أنه إذا لم يكتسب الطالب خبرة ارتكاب الأخطاء والعيش والتعلم من الخطأ أو الفشل، فربما تكون تجربة الكلية بمنزلة تجربة صعبة جدًّا بالنسبة إليه؛ لأنه عندها سيكون بعيدًا آلاف الأميال عن نطاق الأمان المتمثل في والديه عند اضطراره حتمًا إلى التعامل مع أية تجربة بنفسه، ولذلك تعتبر الأخطاء فرصًا للنمو، وكذلك الإخفاقات أو المحاولات الفاشلة؛ لأن الطلاب في حاجة إلى المرور بتلك التجارب لتطوير مجموعة من آليات التكيف التي ترفع من شأنهم وتدفعهم إلى الأمام.

وتعتبر تلك المجموعة – وهي مجموعة المهارات المتراكمة التي يكتسبها الطلاب من خلال إخفاقاتهم، وتكيفهم، ونموهم– أكثر أهمية من أية صيغة رياضية أو قاعدة نحوية، وهذا هو السبب وراء شعور المعلمين بالإحباط عندما لا يسمح لهم بمساعدة الطلاب على اكتساب المزيد من هذه المهارات وصقلها. وقد أوضحت أم لثلاثة أطفال إستراتيجيتها الداعمة للاعتماد على الذات على النحو التالي: "إذا كنت تعرف أن هناك شيئًا يمكن أن يساعد طفلك، ويمكن أن يقدم إليه "أدوات" لمساعدته في وقت لاحق في الحياة، وأن بإمكانه مساعدته على مواجهة المستقبل بمزيد من القوة والنضج؛ لتتسنى له مواجهة تحديات الحياة، ألن تفعل هذا الشيء؟".

لذلك، إذا كنت على استعداد لإقامة شراكة حقيقية مع معلم طفلك، وإعطاء طفلك الأدوات التي من شأنها مساعدته في وقت لاحق في الحياة، فإليك بعض المبادئ التوجيهية التي تساعدك على إنشاء

شراكات إيجابية مع المعلمين والإداريين من اليوم الأول في المدرسة.

أظهروا سلوكًا يتسم بالتفاؤل والثقة بالمدرسة.

إن طفلك يستمع ويراقب، خاصة في يومه الأول في المدرسة، ومن ثم إذا كنت مطمئنًا ومرتاحًا، فسيكون طفلك كذلك، أما إذا كنت عصبيًّا وتراقب المدرس حتى تتصيد له الأخطاء، فسيكون طفلك على شاكلتك أيضًا. وقد كانت أفضل العلاقات التي جمعت بيني وبين طلابي، هي تلك العلاقات مع الطلاب الذين يفترض والدا كل منهم أنني سأعتني بهم اعتناءً كبيرًا، وسأقدم إليهم مستوى التعليم الذي يستحقونه، وعلى النقيض من ذلك كانت أسوأ العلاقات مع الطلاب الذين لا يثق آباؤهم بي منذ البداية. ولا يتعين عليك أن تقع في حب مدرس طفلك، أو أن تتغاضى عن الشائعات السلبية التي تسمعها عنه، ولكن إذا أحسنت الظن بالمعلمين، فستزداد احتمالية معاملة طفلك على النحو ذاته.

الحضور في الوقت المحدد.

لقد شاهدت مؤخرًا فيلم الممثل "جاد أباتاو" *This Is 40* واستمتعت بمشهد كانت فيه شخصية الأم توصل ابنتها إلى المدرسة، والمعلم يحييها عند الباب، ودار بينهما حوار كالتالي:

المعلم:

مرحبًا، أود أن أقول لكِ شيئًا، يجب أن تصل "شارلوت" هنا في الموعد المحدد؛ لأنها تحتاج إلى وقت إضافي للاستقرار وبدء اليوم الدراسي.

الأم:

(مرتبكة) لقد وصلنا في الموعد المحدد بالفعل.

المعلم:

(بوجه خالٍ من المشاعر) أن تأتي في الموعد المحدد يعني أن تأتي مبكرًا عن الموعد.

كان "جاد أباتاو" محقًّا تمامًا، فأن تأتي في الموعد المحدد يعني أن تأتي مبكرًا؛ لأن الأطفال يحتاجون على الأقل إلى خمس عشرة دقيقة، حتى تستوعب عقولهم، التي ما زالت في حالة من

النعاس، حقيقة وصولهم إلى المدرسة، وكذلك يحتاج أطفال الروضة إلى التواصل مع أصدقائهم، ووضع حافظات الطعام، أما الأطفال الأكبر سنًّا فيحتاجون إلى تفريغ حقائبهم، وتسليم فروضهم المنزلية، وإعداد المواد التي سيدرسونها اليوم، وتهيئة عقولهم للحصة الأولى، فقد شاهدت طلاب المدارس الإعدادية يقفون أمام خزاناتهم، ولا تزال بادية عليهم آثار النوم، ويقفون في أماكنهم لا يفعلون شيئًا مدة خمس دقائق كاملة سوى التحديق إلى كتبهم قبل أن يتمكنوا من التيقظ لاختيار موادهم. ويواجه المراهقون صعوبة في الصباح نتيجة ما يعرف بـ"تأخر مرحلة النوم"، أو تأخر إفراز هرمون الميلاتونين، وهذا يعني ببساطة أن المراهقين ينامون بعد موعد نوم البالغين بساعتين، ومن ثمَّ يرغبون في الاستيقاظ في وقت لاحق. فتخيل كيف ستؤدي المهام المطلوبة منك طوال اليوم إذا استيقظت وأنت لم تأخذ كفايتك من النوم، ثم أوقفت سيارتك، وركضت مباشرة للحاق بعرض تقديمي يتعين عليك تقديمه إلى رئيس الشركة دون أن تحتسي قهوتك، ولا وقت أمامك لخلع معطفك، ولا يسمح لك الوقت كذلك بالتقاط نفس عميق والاستعداد لهذا اليوم. وعلى هذا النحو، فإن الأطفال الذين يهرعون إلى المدرسة في اللحظة الأخيرة يظلون مرهقين خلال جزء كبير من الصباح، أما الطلاب الذين يصلون في الوقت المحدد – أعني في وقت مبكر – فتكون أمامهم فرصة لتقييم اليوم، كما يكونون أكثر استعدادًا للصف فيما يتعلق بموادهم الدراسية وحالتهم النفسية.

إذا أصبح التأخر عادة لدى طفلك، فلا تلقِ باللوم عليه، فأنت أساس هذه العادة، ولذلك لزامًا عليك أن تجعل الالتزام بالموعد المحدد أولوية لديه، ويمكنك بدء برنامجك الصباحي قبل موعده الأساسي بنصف ساعة إذا اضطررت إلى ذلك. فقد كنت مسئولة عن وضع درجات على التأخير في السنوات الخمس الماضية في مدرستي، ويمكنني الإقرار بحقيقة أن الأطفال الذين يتأخرون كانوا دون أدنى شك يعانون التوتر والقلق، خاصة إذا كان هذا التأخير ليس خطأهم. فالأطفال لديهم شعور كبير بالعدل والإنصاف، ويدركون أن حضورهم متأخرين شيء ظالم، وينم عن عدم احترامهم المدرسين والأطفال الآخرين الذين يتشتتون عند وصولهم إلى الصف، أو غرفة تجمع الطلاب في وقت متأخر؛ لذلك يتضاعف إحساسهم بالقلق جراء إلقاء اللوم على عاتقهم وحدهم بسبب تأخرهم.

اقرأ سياسة الحضور بالمدرسة والتزم بها.

لا شيء أكثر إحباطًا للمعلم من أن يعلن أحد الطلاب أنه سيتغيب منذ غد عن المدرسة مدة أسبوع، ويود أن يعرف ما سيكون عليه القيام به لمواكبة الصف؛ حيث يعاني الأطفال عدم تخطيط أولياء

أمورهم مسبقًا لغيابهم من المدرسة؛ لأن كلًّا من والديهم ليس لديه الوقت اللازم لإنجاز العمل في وقت مبكر، ولأن المعلمين يشعرون بالإحباط وتراكم الضغوط نتيجة تعطل خططهم الدراسية المحكمة عند غياب الطلاب بشكل غير متوقع، ولذلك لا تخطط لأية عطلات في الأسبوع الأول أو الأسبوع الأخير من الدراسة، ومن ثم حاول عدم إطالة مدة الرحلات؛ فلا تبدأها في يوم مبكر عن موعدها، أو تعد إلى المنزل متأخرًا بعد موعدها المحدد بيوم. وعليك أن تفهم أن الأيام الأخيرة من الفصل الدراسي أو الصفوف الدراسية قبل الإجازة أو الأيام الأولى عقب الرجوع من الإجازة هي فترة حرجة؛ نظرًا إلى أن المدرسين غالبًا ما يكونون قد وضعوا المواعيد المحددة للمناهج الدراسية بسبب ضيق الوقت والتزامهم بإنهاء الوحدات؛ ولأنهم يُنْتَظر منهم تناول المزيد من المواد الدراسية، هذا فضلًا عن أن الاختبارات ستستقطع من وقت حصصهم، ولذلك فمن الأهمية القصوى حضور الطلاب في مواعيدهم المحددة، وإثبات حضورهم في الفصل، ولا شك في أنه قد تحدث بعض حالات الطوارئ، وعندما تحدث، يحاول المعلمون أن يكونوا متفهمين قدر الإمكان؛ لذلك حاول أن تراعي ظروفهم بالقدر نفسه.

كن ودودًا ومهذبًا.

تدفعنا حياتنا المحمومة المضغوطة دفعًا إلى عدم الاكتراث بالتعامل التقليدي الودود مع الآخرين، بل إننا قد نتحول إلى كائنات غير اجتماعية، وذلك على الرغم من أن التعامل الودي لا يسهم في مرور اليوم بسلاسة فحسب، بل إنه يحدث فرقًا بالفعل في الطريقة التي ينظر بها المعلمون إلى الآباء وأبنائهم. وأود التنويه بأن المعلمين قد ينفصلون ذهنيًّا، حتى عن أحب الأطفال إلى قلوبهم إن كان آباؤهم وأمهاتهم يتعاملون بفظاظة، ولكن ذلك الأمر ليس ممكنًا على الدوام. فقد كانت "أليس" من طلابي المفضلين، فلم أدرس لطالب قط في مثل روعتها وجاذبيتها وودها وكرمها، ولكن والدة أليس كانت متعسفة في تعاملها أو غير عقلانية؛ لذا فقد أفسدت علاقتنا، وقدر ما أردت أن أفرق في التعامل بين "أليس" ووالدتها، فإن ذكرى مجيء والدتها إلى المدرسة وهي تلوح بإصبعها في وجهي أمام الفصل كله لم تغب عن بالي، بل إن تلك الذكرى أثرت سلبًا في الطريقة التي أفكر بها في علاقتي بالطفلة وتواصلي معها، حتى إذا تمكنت من إبعاد والدة "أليس" عن عقلي، وأن أفرق بين الاثنتين تمامًا، فإنني لم أكن أرغب بالتأكيد في التواصل طوعًا مع شخص قد يهينني أمام طلابي.

وعلاوةً على ذلك، عندما كان الوقت يحين لإخبار والدة "أليس" بأية أمور تقلقني بشأنها أو للثناء عليها أيضًا، كنت أجاهد نفسي في رفع سماعة الهاتف أو إرسال رسالة إلكترونية إلى والدتها؛ خشية أن تتعامل معي بوقاحة، فتلك هي طبيعة البشر الأساسية؛ فالفأر يمتنع عن الوصول إلى وجبة لذيذة إذا علم أنه سيصعق بالكهرباء عند وصوله إلى تلك الوجبة، حتى إن كان يتضور جوعًا. وقد أشار "فرويد" إلى أن طبيعتنا الإنسانية الأساسية التي تهدف دومًا إلى "تحقيق المتعة وتجنب الألم"، تعتبر الإهانة، وعدم الثقة، والتواصل العدواني السلبي بين الأفراد، وعدم الاحترام أمورًا مؤلمة للغاية للمعلمين. ومن ثمَّ، إذا كنت تنال من قدر معلم طفلك، أو لا تثق به، أو تتعامل معه بشكل سلبي وعدواني، فكن على استعداد لقطع هذا التواصل بينكما، وسوف نستمر – نحن المعلمين – في تعليم طفلك وإلزامه بالمعايير ذاتها، ولكننا متأكدون تمام التأكد أننا سنتجنب التحدث إليك عن هذا الموضوع إلا إذا اضطررنا إلى ذلك.

أظهر توجهًا ينم عن احترام التعليم.

إذا كنت تحترم العملية التعليمية، فسيكون طفلك أكثر احتمالًا لاحترام التعليم والاستمتاع به والانسجام معه، وسنتطلع لإخبارك بهذه الأخبار السارة؛ فلا يوجد شيء أحب إلى قلبي من مقابلة ولي أمر طفل وهو يوصله صباحًا إلى المدرسة، أو يصطحبه منها في نهاية اليوم؛ لمجرد أن أخبره عن مساهمة ابنه الرائعة في الصف في هذا اليوم عندما قرأت بحثه الأخير، وأدركت مدى تحسن مستواه في الكتابة عن العام الماضي، فالمعلمون يعتزون بالعلاقات الجيدة مع أولياء الأمور، ويسرون كثيرًا بالمبادرة في تلك العلاقات، وليس من المرجح أن ينزعجوا من النقد البناء أو ردود الفعل السلبية من قبل أولياء الأمور الذين تربطهم بهم علاقة طيبة واحترام متبادل، بل إن بعض التقييمات الأكثر فاعلية فيما يتعلق بأوجه القصور في طريقة تدريسي قد وجهت إليَّ من بعض أولياء الأمور، ومع ذلك، إذا صدر هذا التقييم عن أحد أولياء الأمور الذين لا أحترمهم، أو عن أولئك الذين يتهمونني بالباطل عندما يأتي ابنهم إلى المنزل يشتكي مني، فمن المستبعد أن أعتبر هذا التقييم مفيدًا أو صحيحًا.

أظهر حماسًا للتعلم

إن المواقف التي سيتخذها طفلك نحو التعليم ستشبه مواقفك، وبالمثل فإن حماستك للعملية التعليمية من أجل التعلم ستكون بمنزلة أمر حيوي لغرس الحماسة في نفس طفلك، وبناءً على ذلك اجعل طفلك يراك تقرأ مستمتعًا بالقراءة، والتقط كتابًا عن موضوع لا تعرف عنه شيئًا حتى تصير خبيرًا فيه، ربما كتابًا عن الحضارة اليونانية، أو فن النهضة، أو علم النبات. وتعلم العزف على آلة موسيقية، اذهب إلى المكتبة وتصفح كتبًا تدور حول موضوعات لم تقرأ عنها قط، أو ابحث عن سلسلة الدورات الكبرى التي تقدمها شركة تيتشنج كومباني، وخذ بعض الحصص في مادة لم تدرسها في المدرسة الثانوية أو في الكلية. اعرف ما يقرؤه طفلك في المدرسة، واحصل على نسخة سمعية من هذا الكتاب وضعها في سيارتك، ثم تحدث عن الكتاب، وعن الأفكار الكبرى، وعما تفعله شخصيات هذا الكتاب، وهذا سيتيح لك فرصة لفهم ما يقرؤه طفلك ويتعلمه، ما سيفسح لك المجال لإجراء محادثات تدور حول تحليل شخصيات بعض الروايات، مثل مناقشة ما الذي دفع "بو رادلي" (بطل قصة *To kill a mockingbird*) إلى التخلي عن عزلته، أو سبب ارتداء "هولدن كولفيلد" (بطل قصة *The Catcher in the Rye*) قبعة الصيد السخيفة.

تأكد أن أول تواصل بينك وبين المعلم يتم بشكل إيجابي.

قد تُفيد إحدى نصائحي التي أفضل العمل بها باعتباري معلمة الوالدين، فهي بمنزلة وسيلة رائعة لضمان وجود علاقة إيجابية منذ اللحظات الأولى مع معلم طفلك، وينصح أحد خبراء التعليم، وهو "رون كلارك" المعلمين في كتابه **٥٥ مبدأً ضروريًّا***_ بضرورة التأكد من أن التفاعل الأول مع الآباء والأمهات قد تم بشكل إيجابي، وهذا أمر موجه بشكل كبير أيضًا إلى الآباء والأمهات؛ لذا عليك أن تتواصل مع المدرسة في الشهر الأول أو نحو ذلك، واجعل حديثك مع المدرسين لطيفًا مثل ذكر محادثة شائقة دارت بينك وبين طفلك في وقت العشاء عن كتاب قرأه في الفصل؛ فلتقل على سبيل المثال: "لقد أجرينا محادثة رائعة الأسبوع الماضي عن قصيدة للشاعر فروست التي درستها إلى كيفن"، وبقدر ما سيكون رد الفعل حقيقيًّا وصادقًا، فإنه سيكون بداية لعلاقة مثمرة، وهذا النوع من التواصل يضع الآباء بشكل وثيق في فريق واحد مع المعلمين، ويمهد الطريق للثقة المتبادلة بين الطرفين، حتى في حالة تعثر الطلاب أو إخفاقهم، ولكن الآباء الذين يجلسون في مؤخرة الغرفة في الاجتماع الذي يُجرى في عشية يوم العودة إلى المدرسة، وهم يطوون أذرعهم، ويعربون عن استيائهم، فمن غير المرجح أن ينضموا إلى هذا الفريق، بينما الآباء الذين يتحلون بالاستعداد

والشغف والتهذيب سيكونون هم الاختيار المثالي لفريق الآباء والمعلمين، بل سيتحمس المعلمون حماسة شديدة للتفاعل مع الآباء الإيجابيين والودودين.

شجع المعلم على إعطاء تقييم.

إن تقييم المعلم أمر مهم للغاية وذو قيمة، لذلك قم بتشجيعه منذ اليوم الأول على إبداء تقييمه لطفلك، وأخبره بأنك تتفحص الملاحظات الإيجابية والسلبية على حد سواء باعتبارها جزءًا حيويًّا من تعليم ابنك والشراكة بين الوالدين والمعلمين، أما على المستوى العملي، فلتسمح للمعلم بمعرفة كيفية التواصل معك، فإذا كنت تفضل البريد الإلكتروني، فدعه يعرف ذلك، وإذا كنت تعمل ساعات طويلة أو دوامًا ليليًّا، أو تفضل أن يتصل بك هاتفيًّا في العمل، فلتعرفه ذلك أيضًا. وفي المقابل، اعرف الطريقة التي يرغب المعلم في التواصل معك من خلالها، والتزم بهذه الطريقة، عند التواصل، وعليك أن تفهم أن معظم المعلمين لا يستطيعون تفقد، أو لن يتفقدوا، البريد الإلكتروني على مدار اليوم؛ فمن المفترض أنهم يعلمون أبناءكم على كل حال، ولذلك اسأل المعلم هل يفضل التواصل عبر البريد الإلكتروني أم الهاتف، والتزم بذلك، واجعله يتيقن بأنك لا تتشدق بفكرة التقييم فحسب، بل أخبره بأنك جاهز لذلك جيدًا، ومستعد للإصغاء إليه.

انتظر يومًا قبل إرسال بريد إلكتروني إلى المعلم بشأن حالة طوارئ متصورة أو أزمة متوقعة.

على الرغم من ضرورة إطلاع المعلمين بكل الحالات الطارئة التي تحدث في المنزل في أسرع وقت ممكن، فإن عليك الانتظار يومًا قبل تقديم شكوى من الفروض المنزلية، والمهام، والإجراءات التأديبية، وما شابه ذلك، فقد تبدو لك أنها أزمات للوهلة الأولى، ولكن إذا تمهلت، فستدرك أنها ليست كذلك. ويجب عليك بالإضافة إلى إسناد مسئولية كبيرة إلى طفلك، وتتمثل في مناقشته هذه الأمور مع معلمه بنفسه، أن تنتظر أربعًا وعشرين ساعة قبل أن تتحدث مع المعلم، حيث إن هذه المدة تمنحك فترة فاصلة كافية لوضع إستراتيجية للعمل مع طفلك، ويمكنك استغلال هذا الوقت في التقاط الأنفاس والهدوء، وبمجرد أن تهدأ أنت وطفلك وتبعدا عن الجانب الانفعالي في هذا الأمر، يمكنكما أن تستغرقا بعض الوقت لتناول هذا الأمر، وطرح أسئلة مفتوحة عما كان يحدث قبل هذا الأمر، وفي أثنائه، وبعده.

دع المعلمين يعرفوا المشكلات الكبرى التي تجري في المنزل.

لا تنتظر إلى أن تشكل قضية الانفصال، أو معركة حضانة الطفل، أو الكوابيس المزمنة، أو اضطرابات الأكل أزمة كبيرة دون إطلاع المعلم على ما يجري في المنزل، فإذا أحطت معلم طفلك علمًا بتلك الأمور مبكرًا، فسيكون من الأكثر سهولةً استيعاب الطفل ومساعدته على التكيف والتعامل مع المدرسة؛ حيث تعتبر المدرسة بالنسبة إلى كثير من الطلاب بمنزلة الملجأ للتخلص من مشكلات المنزل، وكلما زاد عدد المعلمين الذين يمثلون لدى الطفل الملاذ الآمن، كان الوضع أفضل. وبناءً على ذلك حدد موعدًا للتحدث مع المعلم إذا كنت تشعر بأن التحدث وجهًا لوجه أمر مهم، أو إذا كان الوضع حساسًا جدًّا لدرجة لا تسمح بكتابته، وأيًّا ما كانت الطريقة التي اخترتها لفعل ذلك، فالهدف منها هو التواصل مع المعلم، حتى تتسنى له مساعدة طفلك.

أعرب عن اهتمامك بما يُدرس لطفلك.

أخبر المعلم بأنك مهتم بما يجري في المدرسة، وحاول أن تجد سبلًا لمعرفة ما تعلمه ابنك في المدرسة في أثناء وجوده معك في المنزل من خلال تحيُّن الفرصة لتطلب من ابنك أن يعلمك شيئًا مما تعلمه في المدرسة، وبالطبع عليك التظاهر بعدم معرفة أسباب تكون الحمم البركانية، أو كيفية عمل آلة البكرة؛ حتى تمنحه فرصة لتعليمك تلك الأمور، ثم اسأل عن تفاصيل ما يحدث في المدرسة، ولا تقبل بإجابة "لا أتذكر". فعندما اشتكى معظم الآباء من أن هذا هو الجواب الجاهز الذي يتلقونه على الدوام من طلابي، بدأت إرسال قوائم تتضمن الأفكار الأساسية التي ناقشناها في الفصل بشكل أسبوعي إلى المنزل، بدءًا من الدروس اليومية التي ندرسها في علم الاشتقاق، ودروس التراث الثقافي والتاريخ، وصولًا إلى الملخصات الموجزة عن المؤلفين والقصص التي نقرؤها. وبمجرد أن تعرف قليلًا عما يحدث في المدرسة، يمكنك حينها فتح الباب لإجراء محادثات عن تلك المادة وكيفية ارتباطها بالعالم الكبير.

تحين الفرص للإعراب عن امتنانك.

يتلقى المعلمون شكاوى يومية، بينما يندر سماع تعليقات عما حققوه من نجاحات، ولا أشير في هذا الصدد إلى اختلاق المدح أو المجاملات من العدم، ولكن عندما تسير الأمور بسلاسة، أو إذا كان طفلك يتحدث بحماسة عن شيء ما في المدرسة، فلتشكر معلمه على ذلك، بل الأفضل من ذلك أن

تكتب له رسالة شكر، وأؤكد لك أن هذه الرسالة ستعلق على حائط مكتب المعلم، أو سيضعها في حافظة أوراقه الخاصة التي يحتفظ بها في درج مكتبه. وقد كانت لديَّ حافظة كهذه في درج مكتبي، وكنت أحتفظ ببعض الرسائل في داخلها منذ أول يوم عمل لي في مجال التدريس، فقيمة عبارة الشكر لا تقدر بثمن، والتعبير عن الامتنان بمنزلة درس عظيم تقدمه إلى أطفالك، وبناءً على ذلك اطلب من ابنك توصيل رسالة الشكر إلى صندوق بريد المعلم أو إلى مكتبه، واجعله جزءًا من تلك اللفتة الطيبة، أما إذا كنت شخصًا لا يجيد التعبير عن مشاعره كتابةً، فلتستعن بشخص آخر. وقد كانت عبارة الامتنان المفضلة لديَّ، التي أستخدمها طوال الوقت في رسالاتي عندما لا أجد شيئًا آخر أقوله، هي كلمات "د. ألبرت شفايترز": "في بعض الأحيان يختفي نورنا، ثم يعيده إلينا من جديد شخص آخر، وعلينا أن نشعر بالامتنان العميق لهؤلاء الذين أشعلوا النور في داخلنا". وقد أشعل طلابي حماستي مرات عديدة لا يمكنني إحصاؤها، ولا يسعني أن أشكرهم على ذلك. وحتى أرسخ بشكل جيد داخل طلابي التعبير عن الامتنان، كنت أعلمهم أن يكتبوا بخط أيديهم (وليس عبر البريد الإلكتروني) رسائل شكر لشخص ما يقدرونه، وكنا غالبًا ما نتلقى رسائل شكر كرد على رسائل الشكر التي نرسلها، أما في هذا العصر الذي يهيمن فيه البريد الإلكتروني والرسائل النصية والتغريدات على حياتنا، فإن رسالة الشكر المناسبة تعتبر هدية حقيقية، ومن ثمَّ من أجل تحقيق التواصل فيما بيننا، ينبغي أن نشعر جميعًا بالتقدير، وأن يتعلم أبناؤنا كيفية الإعراب عن التقدير في سن مبكرة.

ابدأ بافتراض أن لديك اهتمامًا مشتركًا – ألا وهو الطالب.

تنضم الغالبية العظمى من المعلمين إلى مجال التعليم نتيجة اهتمامهم بالأطفال، وتحمسهم لتدريس المواد التي يدرسونها. وما أذهلني مرارًا وتكرارًا خلال مقابلاتي مع المعلمين كان الاهتمامَ والحبَ الصادقين اللذين يملآن قلوبهم نحو طلابهم، ولذلك ضع هذا نصب عينيك، عندما تظن أن المعلم يتصيد الأخطاء لابنك. ويقدم أحد معلمي اللغة الإنجليزية في إحدى المدارس الثانوية هذه النصيحة إلى الآباء والمعلمين لإنجاح اجتماع أولياء الأمور بالمعلمين، حيث يقول: "ابدأ بالأساس المشترك الذي يجمع بين ولي الأمر والمعلم؛ وهو أن كلًّا منهما يتعين عليه الاهتمام حقًّا بشأن الطالب المعني، وأن على كلا الطرفين على حد سواء السعي إلى ما هو أفضل لمصلحة الطالب". وهناك استثناءات

لهذا الافتراض بالطبع، ولكن إذا بدأت العام الدراسي وفقًا لعقليتك هذه، فسيزداد احتمال أن يحذو معلم طفلك حذوك إلى حد كبير.

امنح طفلك الحق في الفشل.

تأهب نفسيًّا للتحديات التي سيواجهها طفلك في العام المقبل، وبخاصة خلال المراحل الانتقالية والأحداث المهمة، وسوف تكون تصرفات الطفل انعكاسًا لتصرفاتك، ولذلك كن واثقًا به وبقدرتك على الامتناع عن إنقاذه في المواقف الصعبة التي ستعترض طريقه خلال المراحل الانتقالية والأحداث المهمة كذلك. وتطلع إلى النتائج الإيجابية التي ستترتب على ذلك مثل تحقيقه الاعتماد على الذات والكفاءة، وتذكر أن الفشل سيشكل جزءًا مهمًّا من مسيرته التعليمية؛ وهو جزء لا يقل أهمية عن دراسة المواد الدراسية، مثل الرياضيات، أو اللغة الإنجليزية، أو العلوم.

وتحقيقًا لهذه الغاية، امنحه الحق في أن يفشل، ولا توبخه على ذلك، وامنحه الوقت والمساحة اللذين يحتاج إليهما لمداواة شعوره بخيبة الأمل في نفسه، ثم تأتي الخطوة الأخيرة منك بتشجيعه على المثابرة كي يستجمع قواه، وينفض غبار الفشل عنه، ويتعلم من تجربته أن بمقدوره التعافي من الآثار السلبية لتجربة فشله، ولا تتغير هذه المبادئ التوجيهية على مدى السنين منذ اليوم الأول في مرحلة روضة الأطفال حتى اليوم الأخير في المدرسة الثانوية، فاليوم الأول من كل عام دراسي يحمل بين طياته وعدًا ببداية جديدة، وإمكانية لفهم حقيقة أنفسنا، وفرصة للتعلم من الأخطاء التي اقترفناها خلال مسيرتنا.

امنح طفلك الحق في التعبير عن رأيه.

من أهم الأمور الحيوية التي يجب أن يتعلمها الأطفال منذ اليوم الأول من مرحلة روضة الأطفال الدفاع عن أنفسهم، وقد تحدثت إحدى معلمات روضة الأطفال في هذا الأمر، قائلة: "التواصل مع المعلمين والأقران هو إحدى الوظائف الرئيسية في مرحلة روضة الأطفال". وقد كان حديثها مليئًا بالإحباط من هؤلاء الآباء الذين يبلغونها في اليوم الأول بأنه نظرًا إلى عدم قدرة طفلهم على التحدث والتعبير عن نفسه، فستضطر إلى "الاعتماد على حدسها" في معرفة تلك الأشياء التي يريدها. وعندما سألتها: "ما الشيء الذي تريدين أن يعرف أولياء الأمور أن طفلهم يستطيع القيام به، وهم

يظنون أنه يعجز عن القيام به؟"، فهزت رأسها ضاحكة، وأجابت: "هؤلاء الأطفال قادرون على القيام بأمور أكثر **كثيرًا** مما قد يظنه الآباء، بل إن بإمكانهم أن يعبروا عن أنفسهم".

إنها تتوقع منذ اليوم الأول من روضة الأطفال أن يتحدث إليها طلابها ويعبروا عن أنفسهم، وأخذت تطلب بأدب من الآباء عدم التحدث نيابة عن أطفالهم، وتوضح لهم سبب ذلك بأنها تريد أن تمنح طلابها شعورًا بأن هناك من يسمعهم ويفهمهم، ولكي يتسنى فعل ذلك، يجب عليهم أن يكونوا قادرين على التواصل معها، كما أنها كانت ترغب في أن يتحدث طلابها بعضهم مع بعض قبل أن يطلبوا منها التدخل، وفسرت ذلك بقولها: "عليهم أن يقضوا الوقت في محاولة الوصول إلى ما يريدونه والعبث بالأشياء، وتعلم كيفية التعبير عن أنفسهم، وارتكاب الأخطاء في أثناء التواصل مع الآخرين، وإلا فلن يصلوا إلى مرحلة الاعتماد على الذات، فالأطفال لا يولدون وهم يعرفون كيفية المطالبة بحقوقهم، بل يستغرق تحقيق هذا الأمر وقتًا طويلًا".

ونظرًا إلى أن التواصل الاجتماعي يزداد تعقيدًا مع التقدم في السن والنضج، يتوقع المعلمون أن تتحسن قدرة الطلاب على التواصل، بالإضافة إلى قدرتهم على التفكير المنطقي والتفكير النقدي، ويحترم المعلمون الطلاب القادرين على الاعتماد على أنفسهم والدفاع عنها، وبناءً على ذلك، عندما يكون ابنك مستاءً من شيء ما حدث في المدرسة، سواء كان هذا الاستياء سببه الحصول على درجة منخفضة، أم الشعور بأن المعلم قد تصرف حياله على نحو غير منصف، فيجب حينها تشجيعه دومًا على التحدث إلى المعلم مباشرة. وعند انتقال الأطفال إلى المدرسة الإعدادية، يجب أن يكون الطلاب مسئولين عن التعامل مع تفاصيل حياتهم الدراسية، وجدولهم الزمني، بما في ذلك نماذج الغياب المخطط له، ونماذج الإذن، والمواعيد النهائية. وبالتأكيد، عندما يلتحق الطلاب بالمدرسة الثانوية، يجب أن يكونوا مسئولين مسئولية كاملة عن جداولهم وتفاصيلهم والتزاماتهم الدراسية المطلوبة.

وإذا كنت قلقًا بشأن قدرة طفلك على إجراء هذه المحادثات الصعبة في المدرسة الإعدادية أو الثانوية، فساعده على الاستعداد لذلك من خلال أداء تمثيلية تؤدي فيها دور المعلم، وتدير الحوار معه، فإذا كان الخلاف يدور حول إحدى المهام الدراسية، فاطلب من ابنك أن يوضح لك سبب شعوره بأن تقييمه لم يكن عادلًا؛ فإذا اتضح لك سبب حصوله على هذه الدرجات المتدنية، فوضح له

العيوب التي تراها في عمله، وإذا كان إقناع طفلك بهذا الأمر غاية في الصعوبة، فتخيل رأي المعلم في عمل ابنك، وصغ ملاحظاتك وفقًا لذلك.

وإذا كان طفلك لا يزال يشعر بأن معلمه يسيء فهمه، ويعامله بشكل غير عادل، فشجِّعه على التحدث إلى معلمه والدفاع عن نفسه، فكثيرًا ما أخبرت طلابي بأن أكثر مهارة أحترمها هي القدرة على التحلي بالهدوء، والتفكير المنطقي بشأن أية مشكلة، ومن ثم المشاركة في حوار متوازن وعقلاني لحل هذه المشكلة، كما أخبرتهم بأنني سأكون دومًا أكثر استعدادًا لتغيير رأيي، أو تغيير درجاتهم – حال حدوث شيء واحد فقط – وهو أن يقدم الطالب سببًا منطقيًّا للتغيير، ولذلك اجعل الطالب يكتب ما يشعر به، إذا كان متوترًا بشأن الدخول في محادثة يرى أنه قد لا يتمكن من إجرائها على نحو جيد.

تذكر أن الحقيقة كثيرًا ما يكون لها وجهان.

إنني أثق بأطفالي، كما أنني أدرك أن الحقيقة مراوغة وغير موضوعية ومطاطة؛ لأنها تخضع للنظرة البشرية القاصرة، ولخلل في الإدراك، وهذا ينطبق أيضًا على الأطفال الصادقين الجديرين بالثقة، ومن ثم إذا توجهت إلى معلم طفلك أو أحد الآباء الآخرين زاعمًا أن طفلك خالٍ تمامًا من الخطأ، فستفقد مصداقيتك قبل بدء الدفاع عن طفلك؛ لذلك يتعين عليك التعامل مع الموقف بتفهم وعقل مفتوح على أمل أن يحذو الآخرون حذوك.

وبعد التحدث مع العديد من الآباء عن سلوك أطفالهم في المدرسة مقابل سلوكهم في المنزل، أصبح واضحًا لي أن الطفل الذي تعرفه في المنزل قد لا يكون مطابقًا للطفل الذي يعرفه معلموه وغيرهم من الطلاب في المدرسة، وهذا أمر طبيعي ومفهوم تمامًا، فهناك ملايين من العوامل التي تؤثر في شخصياتنا في مواقف مختلفة مثل الأصدقاء، والضغط الأكاديمي، والانسجام بين المعلم والطالب. وعندما يبلغك أحد المعلمين بأن هناك قصورًا ما في أداء طفلك، ضع في اعتبارك أن المعلم قد يكون على حق؛ حيث إن رفض ملاحظات المعلم بشكل تلقائي هو إحدى الآليات الدفاعية الشائعة، وقد وقعت أنا نفسي في شركها في إحدى المرات، وهذا الرفض يضر بالعلاقات، ويؤخر فرصة حصول الطالب على مساعدة أكاديمية أو نفسية أو طبية.

إذا كنت مهتمًّا بإجراءات المعلم، فلتتحدث إليه.

قاوم إغراء تجاوز المعلم والذهاب إلى مدير المدرسة على الأقل في البداية؛ لأنك حينما تفعل ذلك تضع مدير المدرسة في موقف لا يحسد عليه؛ حيث إن ذهاب أحد الوالدين مباشرة إلى مدير المدرسة يرغمه على الاستجابة لشكوى ولي الأمر، واتخاذ رد فعل بطريقة أو بأخرى، ومن المستبعد جدًّا أن يكون المعلم حاضرًا في هذا الموقف للرد على أي جدال أو خلاف قد ينشأ، ولذلك حدد موعدًا للتحدث إلى المعلم، عاجلًا وليس آجلًا؛ لأن مرور الوقت يؤدي إلى تفاقم مشاعر الاستياء، وغياب التفاصيل عن الذاكرة، وضياع فرصة إصلاح الأمور.

أفضل وقت لإجراء اجتماع أولياء الأمور والمعلمين هو الاجتماع المحدد تاريخه مسبقًا.

قد يبدو المعلم متاحًا ومتفرغًا في الصباح في أثناء وصول الطلاب إلى المدرسة، ولكنَّ الأمر ليس كذلك، فهو يؤدي جزءًا أساسيًّا من عمله؛ يتمثل في مساعدة طلابه على ترتيب أمورهم خلال اليوم الدراسي، وتنظيم أفكاره قبل بداية الحصة الأولى في الصباح، فاللحظات الأولى والأخيرة من اليوم غالبًا ما تكون أكثر اللحظات ضغطًا بالنسبة إلى المعلم، ولذلك فهو يحتاج إلى وقت كي يعد نفسه ذهنيًّا بالشكل الذي يمكنه من إجراء محادثة مستوفاة الجوانب عن الطالب، حتى إن عرض عليك المعلم الخروج إلى القاعة، أو إلى مكتبه للحديث معك على الفور، فلا تستجب لعرضه، فهو غير مهيأ لذلك، وعليك أن تعلم أيضًا أن الحفلات، ومحل البقالة، وعيادة الطبيب لا تعتبر أماكن مناسبة لبدء اجتماع الآباء والمعلمين؛ فكل هذه الأمثلة الثلاثة قد حدثت لي، وكانت جميعها مواقف محرجة إحراجًا شديدًا.

اقرأ دليل المدرسة والسياسة التأديبية.

يكتشف الكثير من الآباء تعرض الطفل لعقوبة الحجز، أو خطابات الفصل، أو إلغاء الامتيازات بعد وقوع تلك العقوبات، ومن ثم يكون من الصعب التحدث مع طفلك عن الإجراءات والعواقب إذا كنت غير مطلع على الكيفية التي تتعامل بها المدرسة مع تلك المسائل، فإذا كانت القواعد في المدرسة مختلفة عما هي عليه في المنزل، فعليك أن تكون على دراية بذلك أيضًا، وتذكر أخيرًا أنك إذا كنت ساخطًا وغاضبًا من أفعال المعلم أو طريقة عقابه، فلتتحدث إليه مباشرة عن مخاوفك، وامتنع عن

انتقاده أمام طفلك؛ فمن المربك جدًّا للطلاب (خاصة صغار السن منهم) فهم أبعاد الخلاف الذي قد ينشأ بين أولياء الأمور والمعلمين الذين يشكلون رموز السلطة بالنسبة إليهم.

ولا تتدخل في الإجراءات التأديبية للمدرسة ما لم يكن هناك سوء فهم فظيع، أو شيء غير آمن، أو غير معقول حقًّا، فقد لا تكون قواعد المدرسة هي القواعد نفسها التي تتبعها، وقد لا تفرض في المنزل الإجراء التأديبي ذاته، ولكن يجب أن يفهم طفلك أن الأشخاص في العالم الحقيقي عليهم الالتزام بالقواعد التي قد لا يتفقون عليها دائمًا، ومن ثم يتعين على طفلك تحمل مسئولية خرقه قواعد المدرسة، والعودة إلى الالتزام بتلك القواعد، ومواصلة تعليمه.

وتعتبر تربية الأطفال وتعليمهم من خلال الأزمات المدرسية التي يمرون بها تجربة نفسية مؤلمة؛ حيث أشعر بأنني لا أملك زمام الأمور، وأشعر بالإحباط من ردود فعل المعلمين؛ ما دفعني في بعض الأوقات إلى الرغبة في الانتقام من بعض الأطفال الآخرين في الملعب الرملي، الذين أهانوا ابني بإلقاء بعض الرمال على وجهه، ولكن عندما يراودني هذا الشعور أحاول تحجيم نفسي؛ لأنه من قواعد التربية السليمة ألا أتدخل فيما يواجه ابني من صعاب، سواء كان هذا في الفصل الدراسي أم في الملعب؛ كما أنني إن فعلت ذلك، فستصير حياة ابني أكثر صعوبة، وأكثر تعقيدًا من الناحية النفسية، وأكثر إحباطًا؛ لأن أولئك الأطفال سيصبحون أساتذة جامعيين، ورؤساء في العمل، وجيرانًا سيئين، ومن ثم إذا حصنته خلال مرحلة طفولته من مشاعر الإحباط والاستياء، فأنا بذلك أعده لحياة تعيسة؛ لأنني أريده أن يعرف كيف يكون مرنًا وواسع الحيلة في غيابي، عندما تحيق به مخاطر أكبر، وعندما تصير الأحداث المؤلمة أكثر إيلامًا. وبناءً على ذلك لا تنقذوا أطفالكم، بل دعوهم كي يعرفوا، وهم في مرحلة روضة الأطفال، كيف يذهبون إلى شخص ما يسيء فهمهم أو يسيء معاملتهم، ويدافعون عن أنفسهم، ويجدون من يصغي إليهم.

ادعم الشراكة بين المعلم والطالب حتى عندما تكون هناك صعوبة.

ويمكن أن تصبح العلاقات التي ينشئها الأطفال مع معلميهم من أهم العلاقات في حياتهم، فأنا لا أعرف أحدًا ليست لديه ذكريات جميلة لا يمكنه نسيانها مع أحد معلميه على الأقل، وعندما طلبت من بعض الأفراد ذكر أفضل ذكرياتهم مع المعلمين، بالإضافة إلى ذكر سبب أهمية هؤلاء المعلمين بالنسبة إليهم، انهالت الإجابات عليَّ.

وجدت بكل صدق أن أكثر المعلمين صرامة هم الأفضل بالنسبة إليهم، الذين كانوا يهتمون بهم اهتمامًا شخصيًّا، ويساعدونهم على النجاح كذلك.

كانت الآنسة "جون أندريه"، معلمتي في الصف السادس في اللغة الإنجليزية، غاية في الحماس عند تدريسها قواعد اللغة الإنجليزية؛ حيث كانت تبتعد عن السبورة لتحلل إحدى الجمل لغويًّا، فتصفق لنفسها فعليًّا من فرط الإثارة، فأصابني ما أصابها من حب العلم، وقد كانت هي أول من نعتتني بالكاتبة.

وقد أعطتني السيدة "بيترز"، معلمة اللغة الإنجليزية في مدرستي الثانوية، درجة ضعيفة في أحد الاختبارات الموجزة، فلم أجرؤ على دخول الفصل مرة أخرى دون استعداد للاختبار.

ومعلمي المفضل هو من يعتني بي، فالأمر بسيط حقًّا؛ فقد كان يمنحني من وقته ليعلمني، وهذا ما يجعلني أشعر بالالتزام الشديد تجاهه، بل على استعداد لتحدي الصعاب من أجله؛ لأنني أدركت مدى اهتمامه لأمري.

سيقابل الطفل الكثير من المعلمين على مدار مسيرته التعليمية، وسيكون بعضهم رائعًا، وبعضهم مقبولًا، وسيكون لدى الآخرين بعض أوجه القصور، ولذا سيكون لزامًا على ابنك تعلم التعامل معهم جميعًا، فإذا كان طفلك محظوظًا، فسيكون واحد أو اثنان من هؤلاء المعلمين هما من سيتذكرهما طفلك بحب عظيم، باعتبارهما نماذج تُحتذى، وقد أسهما في تغيير حياته، ولكن في مرحلة ما خلال مسيرته التعليمية، سيكون تحت سلطة معلمين لا يحبهم، ولا يعرف كيف يتحدث إليهم، أو معلمين كثيري المطالب، بل أحيانًا سيقابل معلمين لا يفهمهم تمامًا، أو توقعاتهم غير واضحة، ولكن أود أن أخبركم –أعزائي أولياء الأمور– بأن هذا أمر جيد؛ لأن هذا النمط من المعلمين سيعلم طفلك كيفية التعامل مع العديد من الأشخاص صعبي المراس المزعجين الذين يَتَّسِمون بالعند والإلحاح الذي سيصادفهم على مدار حياته؛ حيث إنه حتمًا سيصادف أرباب عمل، وموظفين، وأصدقاء، وصديقات، وأزواجًا، وجيرانًا يصعب التعامل معهم، وسيضطر إلى تعلم كيفية التكيف مع كل منهم. وباعتباري أمًّا، أعرف مدى الألم الذي يمكن أن تشعر به عندما تشهد شعور ابنك بالألم وعدم الارتياح عند مواجهته علاقة سيئة، فعلى سبيل المثال إذا ما شبهنا الحياة الدراسية بإحدى الألعاب الرياضية، فعندما يتألم ابني، أو عندما يشعر بالإحباط أو خيبة الأمل نتيجة محاولاته لعب هذه اللعبة وفقًا للقواعد الخاصة بالمعلم، فإن أول تصرف تلقائي لي هو البكاء والإمساك بطفلي والهروب من

الملعب، ولكن هذه اللعبة ستستمر بطفلي أو من دونه، ولذلك كلما تعلم التكيف بشكل أسرع، فسيكون على أتم الاستعداد عندما يحين وقت اللعب بغض النظر عن القواعد السارية.

---

*- متوافر لدى مكتبة جرير

١١: الفروض المنزلية: كيف تساعد طفلك دون تولي المسئولية نيابة عنه

تأتي الفروض المنزلية في أشكال كثيرة؛ فمنها ما يكون بغرض التدريب، ومنها ما يكون بغرض التحضير، ومنها المفيد ومنها غير المفيد، ومنها الممتع ومنها شديد الصعوبة، فأيًّا كان شكلها، وبغض النظر عن موقفك من غرض الفروض المنزلية أو فائدتها، فإن تلك الفروض تعتبر **مهمة ابنك** وليس مهمتك أنت، بل تتمثل **مهمتك** في دعم وتشجيع أبنائك عندما يكونون صغارًا، أما عندما يكبرون، فإن مهمتك هي جعل توقعاتك واضحة والابتعاد عن طريقهم.

أجل، أعلم أن القول أسهل من الفعل، فمن السهل عدم التدخل في الفرض المنزلي ومنح ابنك الاستقلالية عندما يكون هذا الفرض عبارة عن مراجعة بسيطة للحقائق الرياضية، أو عندما يكون أمامه وقت طويل لتسليم هذا الفرض، ومع ذلك عندما يصل أنينه وشكواه إلى مرحلة الصرخات العالية فيصرخ قائلًا: "لا **أريد** أن أؤدي هذا الفرض المنزلي" أو "إن الفرض المنزلي صعب للغاية**!**"، فستجد حينها أنه من الأسهل أن تتدخل، أو تخبره بالإجابات الصحيحة حتى ينتهي هذا العذاب، ويتسنى لبقية أفراد الأسرة مواصلة حياتهم، ولكن لا تستسلم لذلك، فتلك اللحظات المجهدة التي يبلغ فيها إحباط ابنك أقصاه تقدم إليك أكثر الفرص قيمة لتعزيز الاجتهاد والمثابرة والإصرار داخل طفلك، فأكثر المهام التي يعلق بها الأطفال هي التي تكون صعبة، ويكونون متأكدين أنهم لن يفهموا أي شيء منها مطلقًا، أو التي يعانون عواقب تسويفهم لها، أو تخطيطهم الرديء لها؛ أما الأمر الأكثر أهمية في هذا الصدد، فهو أن الفروض المنزلية الصعبة – من المنظور التعليمي – تكون أكثر قيمة من الفروض السهلة، لذلك عليك أن تثبت على موقفك وأن تكون قويًّا؛ فعندما يسهر طفلك إلى وقت متأخر عن موعد نومه؛ ليرسم ملصقًا ليعرضه في معرض العلوم، ولكنه يرسم بشكل فوضوي تمامًا، فهذا هو وقت الانسحاب والابتعاد عنه، وعدم التدخل في هذا الأمر.

وقد يبدو تدخلك غير ضار، ولكنَّ الأضرار تتراكم على مدار الوقت؛ ففي كل مرة تتولى فيها القيام بالأمر، وتنقذ طفلك من أن يقوم بنفسه باستنباط حلٍّ لمسألة رياضية صعبة أو إعداد مقالة

افتتاحية، فأنت بذلك تقوض شعوره بالثقة والاستقلال الذاتي؛ وذلك لأن إنهاء الطفل فروضه بنفسه هو الحافز والمكسب الكبير، وهو أكثر أهمية من الدرجات أو نتائج الاختبارات. ولذلك فكِّر في الأهداف طويلة المدى؛ حيث إن طفلك سينسى ذلك الفرض المنزلي المجهد الذي قام به الليلة، بل قد لا يتذكر هذا الملصق الذي صممه، أو المسألة الرياضية المحددة التي تعثر بها، أو المقالة الافتتاحية التي لم يستطع كتابتها، فهو لن يحتفظ إلا بالفوائد طويلة الأجل التي اكتسبها عندما كان يحل المسألة الرياضية بنفسه، أو يجري التجربة العلمية بنفسه حتى يصل إلى استنتاج من تلقاء نفسه، وعلى الرغم من أنه قد يشعر بخيبة أمل في جهوده، أو قدراته، أو يشعر بالإحراج في اليوم التالي عند مواجهة معلمه وفصله بإجاباته غير الصحيحة، فإن تلك هي الدروس التي يتعلمها، ويتضح من ذلك أن مهمتك لا تتمثل في إنقاذ ابنك من الشعور بالإحباط أو الإحراج، وإنما في التعاطف معه ودعمه ومساعدته على إيجاد القوة والمهارات التي سيحتاج إليها لأداء الفرض المنزلي في ليلة غد؛ لذلك اجعله يكتشف ما اكتشفته هذه الطالبة التي كانت تجد صعوبة في حل فرض الرياضيات، وتقول القصة كما وردت على لسانها:

كنت أحاول في إحدى الليالي حل المسألة الأخيرة في الفرض المنزلي الخاص بمادة الرياضيات الذي كان صعبًا للغاية، فجالت بخاطري بعض الأمور مفادها: "ماذا لو توقفت عن العمل على هذا البرهان الأخير؟ ماذا لو استسلمت وتركت تلك المسألة؟"، وقد كنت أعلم أنني أستطيع القيام بالعمل ولكنه سيستغرق مني وقتًا طويلًا، وليست لديَّ رغبة في ذلك؛ لأنني أعملت عقلي فيها فترةً طويلةً، ولم أصل إلى حل، فما كان مني حينها إلا أن حزمت كتبي وخلدت إلى النوم، فأيقظني الدافع لإنهاء المسألة بعد بضع ساعات لأجد نفسي مستيقظة في نحو الساعة الواحدة صباحًا، وبالفعل أنهيت هذا البرهان، وعلى الرغم من التعب الذي نتج عن ذلك، فإنني شعرت بارتياح؛ لأنني كنت أعرف أنني بذلت قصارى جهدي، وهذا شعور رائع لم أشعر به منذ أمد بعيد تجاه نفسي وتجاه المدرسة.

وبينما استفادت تلك الطالبة من سهرها وحدها لأداء فرضها المنزلي الخاص بمادة الرياضيات، فإن الوالدين والمعلمين ووسائل الإعلام قد شاركوا في نقاش حاد عما إذا كان الفرض المنزلي يخدم الأغراض التعليمية أم لا، وقد فُصِّلت "أزمة الفروض المنزلية" الملموسة في أمريكا في إحدى الوثائق بعنوان *Race to Nowhere*، واكتسبت زخمًا إعلاميًّا في وسائل الإعلام الشعبية. وقد ناقشت الرابطة الوطنية للتعليم هذا الأمر في أحد الأبحاث تحت عنوان "Research Spotlight

on Homework" ومفاده أن: "المبالغة في الفروض المنزلية هي الاستثناء وليست القاعدة، وأن غالبية طلاب الولايات المتحدة يقضون أقل من ساعة في اليوم في أداء الفروض المنزلية، بغض النظر عن مستوى الصف، وظل هذا الأمر ساريًا على مدار السنوات الخمسين الماضية"١، وتتمثل حقيقة "أزمة الفروض المنزلية" في أنه يتم فرض المزيد من الفروض المنزلية في هذه الأيام، ولكن لفئتين فقط: الطلاب الأصغر سنًّا (الذين لم يكونوا يكلفون في الماضي بأداء الفروض المنزلية)، والطلاب الذين يستعدون لدخول المرحلة الجامعية. وعلى النقيض من ذلك، ظلت أعباء الفروض المدرسية في الصفوف الوسطى والعليا من معظم المدارس – وبخاصة المدارس ذات التحصيل المنخفض – مستقرة منذ خمسينات القرن الماضي، وكان الطلاب في المدارس الداخلية ذات الأداء المنخفض لا يكلفون بأية فروض منزلية على الإطلاق. وتعتبر توصيات الرابطة الوطنية للآباء والمعلمين هي المعيار الذي تقيس به العديد من المدارس مستويات فروضها المنزلية، وتم الوصول إلى هذه التوصيات من خلال أفضل البحوث المتاحة عن فاعلية الفروض المنزلية والوقت الذي يجب أن تستغرقه؛ ففي الصف الأول يستغرق القيام بالفرض المنزلي من ١٠–٢٠ دقيقة في الليلة، ثم تزيد بمعدل ١٠ دقائق إضافية لكل صف بعد ذلك. وعلى أية حال، إذا تم تكليف طفلك بقدر غير معقول من الفروض المنزلية، وبخاصة قبل المدرسة الإعدادية، فقد حان الوقت إذن للتحدث إلى المعلمين والإداريين في محاولة لمواءمة الفروض المنزلية لطفلك بما يتماشى مع توصيات الرابطة الوطنية للآباء والمعلمين.

وكلما استغرق الطفل وقتًا طويلًا لإنهاء فروضه، أو كان يشكو من عدم قدرته على إنجاز أي منها، أقترح أن يراجع الآباء هذه القائمة المرجعية السريعة قبل التسرع بتقديم شكوى إلى معلمه.

- افحص حاستي البصر والسمع عند طفلك؛ حيث يمكن أن يكون ضعف الإبصار أو السمع هو سبب انخفاض مستوى الفهم لديه، أو حدوث تغيرات في مستوى أدائه المدرسي؛ وهو سبب يكون عدم الانتباه إليه ممكنًا ما لم تقم المدارس أو الأطباء بإجراء فحوص منتظمة على الطلبة.

- تأكد من حصول طفلك على قسط كافٍ من النوم؛ فوفقًا لما قررته المراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية منها، فإن الأطفال يحتاجون في مرحلة ما قبل المدرسة إلى ١١–١٣ ساعة من النوم، أما الأطفال من خمس إلى عشر سنوات، فيحتاجون إلى ١٠–١١ ساعة من النوم،

ويحتاج المراهقون إلى وقت يتراوح ما بين ٨.٥ و٩.٢٥ ساعة من النوم ليلًا؛ لأن حصولهم على قدر أقل من ذلك يؤثر بالسلب في التركيز والذاكرة والتعلم والانتباه، والأداء التنفيذي، والسلوك٢.

- قيِّم التحدي الذي يواجه طفلك؛ فإذا كنت تعتقد أن طفلك لا يستطيع التعامل مع الفرض المنزلي المطلوب منه، فلتتحدث إلى المعلم، وفي المقابل، إذا كان العمل سهلًا جدًّا، يكون ذلك على القدر نفسه من الإشكالية؛ حيث تبين البحوث أن الطلاب يفقدون تركيزهم واهتمامهم عندما تكون المهام غاية في البساطة، ومن ثم لا يتفاعلون معها؛ حيث إن "القوة" العجيبة لصب الطفل كل تركيزه لا تحدث إلا عندما يواجه صعوبة فيما يقوم به؛ لأن التحدي والصعوبات المرغوبة تحفز الوصول إلى التفوق، خاصةً إن واظب الطالب عليها.

وبعد أن تنظر نظرة موضوعية إلى الأمور المتعلقة ببصر طفلك وسمعه ونومه، وإلى مستوى صعوبة الفرض المطلوب منه، فلتنظر الآن إلى **كيفية** قيام طفلك بهذا الفرض المنزلي، فعندما أخبرني الآباء بأن الطالب يقضي ساعات وساعات في أداء فروضه المنزلية، قمت بمشاهدة هذا الطالب سرًّا في هدوء في أثناء وجوده في قاعة الدراسة، أو عندما أكلفه بمهمة مستقلة في الصف، فرأيت أن بعض الطلاب يتظاهرون بأنهم يعملون، ولكن عندما أوليهم انتباهًا كبيرًا، أراهم يهدرون الكثير من الوقت بالفعل، ويتنقلون من فرض إلى آخر، ويتوقفون عن العمل، ثم يعاودونه مرة أخرى، ويرسمون رسمًا عبثيًّا، وكل هذا يحدث دون وجود جهاز كمبيوتر، أو هاتف ذكي، أو أي نوع واضح من وسائل الإلهاء الأخرى. وعلى الصعيد الآخر، هناك طلاب آخرون ينكبون على أداء فروضهم، ويعملون عملًا متواصلًا، ويتحققون من قائمة مهامهم، ويمضون قدمًا، وهم ينجزون قدر العمل المطلوب – من الطلاب الآخرين الذين يثيرون فوضى حولهم – مرتين أو ثلاث مرات، وكثيرًا ما ينوه آباء الطلاب الذين يهدرون الوقت بأن عبء الفروض المنزلية الضخمة يدفع أطفالهم إلى محاولة إنهائها ليلًا، ولكننا نرى أن الكثير من فروضهم المنزلية يمكن إنهاؤها في أثناء وجودهم في قاعات الدراسة، وأن الطلاب الذين يستفيدون من هذه الفترات يأخذون معهم قدرًا أقل كثيرًا من الفروض المنزلية إلى المنزل من أولئك الطلاب الذين لا يفعلون ذلك، ومن ثم إذا بدا الفرض المنزلي مبالغًا فيه، فجرب هذا التمرين في المنزل بمشاهدة طفلك خلال أدائه الفروض المنزلية، وستعرف متى يعمل عملًا حقيقيًّا، ومتى يضيع الوقت، ويعبث بالأشياء الأخرى، ولكن إذا نظرت

نظرة موضوعية إلى إجمالي الوقت المتراكم من "العمل الحقيقي" الذي يقوم به طفلك، ووجدت بكل تأكيد أن مقدار الفروض المنزلية لا يزال مبالغًا فيه، فلتعرف أي المواد التي تعتبر أكثر إزعاجًا بالنسبة إليه، وتحدث إلى من يدرسون تلك المواد بشأن فروضهم الكثيرة.

وإذا ادعى المعلمون أن طفلك حالة استثنائية، وأن الفروض المنزلية تأخذ وقتًا معقولًا من الطلاب الآخرين في الصف، فجرِّب استخدام "المؤقت" علاجًا، وقد اخترت تسميته بعلاج تيمنًا بإحدى شخصيات القصص الخيالية المفضلة لديَّ، وتدعى الآنسة "بيجل ويجل" التي كانت تمتلك علاجًا لكل علة، ويعود الفضل في استخدام هذا الأسلوب إلى مدرس الرياضيات في المدرسة الإعدادية "أليسون جورمان"، الذي لاحظ أن بعض الطلاب يستغرقون وقتًا طويلًا في حل المسائل الحسابية في المنزل، في حين وجد أن أولئك الطلاب أنفسهم في أثناء وجودهم في قاعة الدراسة حيثما لا توجد أية مشتتات، وحيثما تُفرض قيود زمنية محددة يتمكنون من إنهاء فروضهم كلها مع وجود فائض في الوقت.

ويتم تطبيق أسلوب المؤقت كعلاج على النحو التالي: حدد أية مادة تستهلك معظم وقت الطالب خلال أدائه فروضه المنزلية، ثم اعرف مقدار الوقت الذي يستغرقه كل يوم. ولنتخيل بغرض التوضيح أنها مادة الجبر؛ فإذا كان الطالب يقضي ٩٠ دقيقة في مادة الجبر وحدها، فاقتطع نصف هذا الوقت، واضبط المؤقت لمدة ٤٥ دقيقة، وأوضح له أنه بمجرد انتهاء الخمس والأربعين دقيقة، فإن عليه الانتهاء من مذاكرة مادة الجبر، وسيكون لزامًا عليه الانتقال إلى مادة أخرى. وتأكد أن طفلك يمكنه رؤية المؤقت بحيث يعرف الوقت المتبقي له حتى ينتهي مما يقوم به، وذكره بعدم إمكانية قضاء نصف ساعة في حل مسألة واحدة، واطلب منه أن ينهي مسألةً كاملةً في الوقت المخصص؛ ما سيدفعه إلى موازنة وقته، وستجد أن الطالب سيلتزم بالوقت المخصص تسع مرات من أصل عشر.

وتحدث إلى المعلم في وقت مبكر لتخبره بأنك ستتبع هذا الأسلوب العلاجي، وغالبًا سيمنح المعلم الطالب مهلة بضعة أيام، فعلى أقل تقدير سيعرف المعلم سبب عدم قدرة الطفل على حل مسألة أو اثنتين، وسيكون ذلك بمنزلة معلومات قيمة له أيضًا تمكنه من معرفة أي الأساليب التي تناسب طفلك، ومن ثم يكون له دور في مساعدتك على اتباع الأسلوب العلاجي مع طفلك من جانبه.

أما الآن، فقد وصلنا إلى التفاصيل العملية المهمة، وهي: متى يجب أن تقدم المساعدة، وما أشكال تلك المساعدة، وما هو وقت التراجع وإفساح المجال، وكيف تساعد الطفل على التعلم من الجانب الإيجابي من فشله في فروضه المنزلية. ويتمثل سر النجاح في مواصلة التركيز على المرحلة النهائية بدلًا من العمل لحظةً لحظةً، ومن ثم ضع في اعتبارك تلك الأهداف طويلة المدى التي تتمثل في تحقيق عقلية النمو، والاعتماد على الذات، والكفاءة، والتفوق، والمثابرة.

وفيما يلي بعض الخطوات العملية التي يمكنك اتخاذها لمساعدة الأطفال من جميع الأعمار على تعلم كيفية التنظيم ووضع الإستراتيجيات، وتحمل مسئولية أداء فروضهم المنزلية بأنفسهم، أما بالنسبة إلى الأطفال الصغار، فسيحتاج الآباء إلى تعليمهم الخطوات التالية في البداية من أجل تشكيل عادات جيدة لديهم، ولكن مع مرور الوقت، يجب أن تنتظر من طفلك تولي القيام بتلك المهام بنفسه، ولكن في حال كان طفلك أكبر سنًّا، ولا يحتاج إلى تعزيز جهوده، وتولي مسئولية تعلمه، فإن منحه السيطرة على هذه الخطوات في البداية يمكن أن يكون بداية مثالية.

- اهتم بتغذية طفلك. لا تستطيع عقولنا أن تعمل ما لم نأكل أو نشرب؛ لذا عليك أن تعد لطفلك أو تشجعه على إعداد وجبة خفيفة صحية، وتناول الماء من أجل إمداد مخه بالطاقة التي يحتاج إليها؛ كي يبقى منتبهًا ومستيقظًا للعمل الذي ينتظره.

- تخلص من المشتتات. حتى المشتتات الصغيرة، مثل التبديل بين المهام، أو فقدان التركيز لحظةً يمكن أن تؤدي إلى وقوع أخطاء. ولقد أظهرت دراسة حديثة أن تشتت الانتباه لمدة ثلاث ثوانٍ يمكنه أيضًا أن يضاعف عدد الأخطاء التي يرتكبها الأشخاص خلال أداء مهامهم؛ لأن التشتت غالبًا ما يتسبب في فقدان تفاصيل تلك المهام من الذاكرة قصيرة المدى، ولذلك أوجد مكانًا هادئًا خاليًا من المشتتات في أثناء أداء الفروض المنزلية.

- كن مدركًا التوقعات. اعرف ما يتطلع إليه المعلمون من طفلك؛ فالعديد من المعلمين يراسلون الآباء في المنزل، أو ينشرون خططًا أسبوعية على الإنترنت لإبقاء الآباء على علم بالمهام المطلوبة من أبنائهم؛ لذلك استخدم تلك الأمور لتوضيح تلك التوقعات، والتخطيط مقدمًا لبقية الأسبوع. وكثيرًا ما يقدم معلمو المدارس الابتدائية "رسالة عائلية" توضح المفاهيم التي يتم تدريسها في المدرسة، أما الأطفال الأكبر سنًّا، إن لم تكن التوقعات الخاصة بهم واضحة،

فشجِّعهم على متابعة معلميهم في المدرسة والتواصل معهم.

- نظِّم جدول طفلك، وضع الإستراتيجيات المناسبة له. إنني أجعل طلابي يكتبون قائمة مرجعية على السبورة في مقدمة الصف، حتى يخضع جميعهم للمساءلة فيما يجب عليهم القيام به. وهذا يسمح أيضًا لزملائهم بتذكيرهم؛ حتى لا ينسوا الفروض المنزلية لمادة الرياضيات أو اللغة الفرنسية. ويمكنك أن تسألهم في المنزل: "ماذا عن اللغة الإنجليزية؟ أليس يوم الإثنين هو يوم القواعد؟" وبذلك تساعد طفلك على ترتيب أولوياته.

- اقترح أن يقوم طفلك بأصعب عمل أولًا. تبين الأبحاث أن ضبط النفس عبارة عن مخزون محدود في المخ البشري، ومن المرجح أن يكون الاحتياطي منه في أعلى مستوياته في بداية وقت أداء الفرض المنزلي.

- قيِّم المنتج النهائي. علِّم الأطفال التوقف في نهاية المهمة، وفي نهاية فترة الفرض المنزلي، وقيم إن كان قد تم الانتهاء من الفرض وفقًا للتعليمات أم لا. يطلب بعض المعلمين من الآباء التوقيع على الفروض المنزلية، ولكن عليك أن تحاول توجيه طفلك؛ كي يكون قادرًا على أن يعرف بنفسه ما إذا كان عمله يستوفي الشروط أم لا. وبمجرد أن يتمكن طفلك من القيام بذلك، أبلغ معلمه بأنك لن توقع على عمله بعد اليوم، وأنه هو المسئول عن التوقيع على فروضه الخاصة.

- أنجز ما يمكن إنجازه. إذا لم يتمكن طفلك بعد محاولات متكررة من إتمام جميع أعماله، فشجِّعه على تقسيم العمل، وفعل ما يقدر عليه. وهنا من المهم التحدث مع معلمي المدارس الابتدائية عما يتوقعونه من الطفل؛ حيث يريد بعض المعلمين أن يتحدث الآباء مع الطفل خلال أدائه مهامه، بينما يفضل آخرون أن تبقى الأقسام التي يتعذر على الطفل إنهاؤها فارغة بحيث يستطيع المعلم معرفة ما تمكن الطفل من القيام به وما لم يتمكن من إنجازه. أما أنا، فإنني أفضل على الصعيد الشخصي أن ينجز الطفل **شيئًا** حتى لو كان لا يستطيع إنهاء المهمة كلها. وفي أثناء تكليفي الطلاب بالقيام بإحدى التراجم اللاتينية، على سبيل المثال، أطلب من الطلاب البحث عن الكلمات وإدراج تعاريفها، أو وضع كلمات وصفية للأجزاء التي لم يفهموا معناها، أو لم يجدوا لها ترجمة إنجليزية دقيقة أو كاملة. وتكمن الفائدة في ذلك في أنه كلما كان لديَّ المزيد من الأدلة عن مواطن الخطأ لدى الطالب، صرت أكثر قدرة على إعادة توجيهه إلى

المسار الصحيح.

- استهدف التعلم، وليس الكمال. حاول الحفاظ على التركيز على ما هو مهم حقًّا بشأن الفروض المنزلية؛ فالفروض المنزلية لا تقتصر على إيجاد الإجابات الصحيحة فحسب، بل هي وسيلة لإعطاء الأطفال فرصة للممارسة وتوسيع المهارات التي تعلموها على مدار يومهم، والاستعداد للمهارات التي سوف يتعلمونها غدًا.

ادعم، وشجِّع، وأعد التوجيه.

عندما يكون الأطفال صغارًا، فإن عملك خلال وقت الفرض المنزلي هو أن تكون في مكان قريب منهم، وتنشغل بأنشطة أخرى في أثناء أداء الطفل فروضه المنزلية؛ أي أن تكون حاضرًا وليس محاصرًا، داعمًا وليس متطفلًا. وفي أغلب الأوقات أعد العشاء، بينما يؤدي ابني الأصغر فروضه المنزلية على طاولة المطبخ؛ حتى يتسنى لي أن أكون موجودة في حال احتياجه إلى دعم مني، أو تشجيع، أو إعادة توجيه، ولكنني أكون مشغولة، ولا أرغب في التدخل في كل مرة يتوانى فيها، أو يحاول لفت انتباهي من خلال تأوهه؛ لينقل إليَّ إحباطه، بل كذلك عندما صار في التاسعة أو العاشرة من عمره، كنت أتحقق من سير الأمور معه كل عشر دقائق أو نحو ذلك، من أجل التأكد فقط من أنه في مساره الصحيح، ولكنه الآن صار قادرًا على تحديد متى يكون متعثرًا حقًّا، ومتى يكون تعثره مجرد انهماك لحظي فحسب في محاولة لفهم بعض المفاهيم أو التعليمات، ومن ثم لا يطلب مني المساعدة إلا عندما تقتضي الحاجة.

ومن المهم حقًّا أن يعرف الأطفال أن لدينا أشياء أخرى علينا القيام بها في حياتنا بخلاف الجلوس إلى جانبهم، وانتظار تعثرهم، وطرحهم الأسئلة علينا. لقد تحدثت مع العديد من الآباء والأمهات الذين يعترفون بأن تلك هي الطريقة المتبعة في أثناء الفرض المنزلي كل ليلة في المنزل. وقد قالت لي إحدى الأمهات التي يبلغ عمرا طفليها ست سنوات وتسعًا: "إننا نجلس كأسرة في وقت الفروض المنزلية؛ حتى يتسنى لي أنا وزوجي الوجود لمساعدتهما عندما يتعثران في أي شيء". وقد ذكر أحد الآباء الآخرين شيئًا مماثلًا، عندما كنا جالسين معًا للتوصل إلى حل لمشكلة نوبات الغضب والقلق التي كانت تصيب أطفاله ليلًا في أثناء القيام بالفروض المنزلية، فكان يقضي ساعات كل ليلة هو وزوجته يكافحان مع ابنتيهما اللتين تبلغان من العمر ثماني سنوات وعشرًا في أداء فروضهما

المنزلية. وفي كلتا الحالتين، كان الوالدان يظلان بجوار طفليهما **عندما** يتعثران – وهما بذلك ينميان في داخلهما الاعتمادية – حيث يتوقعان تعثر طفليهما عاجلًا أم آجلًا، واحتياجهما إلى مساعدتهما.

وتنصح بعض كتب تربية الأطفال بضرورة قيام الأطفال بفروضهم المنزلية أولًا، ثم تكون لهم حرية اللعب بعد ذلك على سبيل المكافأة، في حين توصي بعض الكتب الأخرى بأن يحصل الأطفال على "المكافأة" أولًا؛ حتى لا يتسرعوا خلال أداء الفرض المنزلي من أجل الحصول على المكافأة بأقصى سرعة ممكنة. دعوني أقترح أسلوبًا جديدًا: اطلب من طفلك تحديد المكان والموعد الذي يود إنهاء فروضه المنزلية فيهما؛ فإذا كان وقت الفرض المنزلي أشبه بمعركة ليلية، فلتطرح عليه سؤالًا قد يتوق إلى الإجابة عنه، وهو: "كيف تريد أن تكمل واجبك؟"، فكل طفل يختلف عن الآخر؛ فبعضهم يحتاجون إلى قضاء الوقت بعد المدرسة في الركض واللعب للتنفيس عن بعض الطاقة المكبوتة في داخلهم، والانطلاق، والبعض الآخر يرغب في بدء العمل مباشرة والتخلص من هم الفروض المنزلية. تحكي الكاتبة وخبيرة التربية "فيكي هويفل" قصة في عروضها التقديمية وفي **مدونتها** *Duct Tape Parenting* تدور حول المعارك الليلية التي اعتادت هي وزوجها خوضها مع ابنتهما التي كانت حينذاك في الصف الثاني، فعندما كانت "فيكي" وزوجها يطلبان من ابنتهما أداء الفروض المنزلية، كانت ترفض الامتثال لذلك بشكل صريح، وأخيرًا فهمت "فيكي" الأمر، وقالت حسب وصفها: "اتضح لي الأمر".

وفي صباح اليوم التالي في أثناء تناول وجبة الإفطار، سألتها سؤالًا عجيبًا وهو: "حسنًا، ما الظروف المثالية إذن التي تحتاجين إليها للاعتناء بفروضك المنزلية؟"، فلم تتردد في الإجابة، بل كانت تنتظر منا أن نستمع إليها.

فأجابت على الفور: "أن أستيقظ في الساعة ٤:٣٠ صباحًا، وأنتهي منها؛ لأنني لا أستطيع القيام بها في الليل؛ لأنني لا أكون مستعدة ذهنيًّا لذلك".

فقلت لها: "حسنًا، يمكنك القيام بفروضك المنزلية وقتما تشائين بداية من الأسبوع المقبل، ولن نعترض أنا وأبوك طريقك، وإليك ما طلبتهِ، ولكن فلتعلمي أن علينا مغادرة المنزل في الساعة ٧:١٥ صباحًا، ولن نبقى لأي سبب، فهل يمكنك القيام بهذا؟".

فكرت لمدة عشر ثوانٍ تقريبًا، ثم قالت: "موافقة".

كانت "فيكي" وزوجها يتوقعان فشل ابنتهما في ذلك، لكنها لم تفشل. ولم يقتصر الأمر على أن تضبط ابنتهما منبهها، وأن تستيقظ في صباح اليوم التالي للقيام بفرضها المنزلي، بل صارت تحب الاستيقاظ مبكرًا، وكما قالت "فيكي"، واصلت القيام بفرضها المنزلي في الرابعة والنصف صباحًا طوال فترة الكلية.

وبمجرد أن يحدد طفلك وقتًا ومكانًا من اختياره، وفر له هذا الوقت والمكان، وأوضح له أنك موجود إلى جواره، ولكنك تقوم بمهامك الخاصة في أثناء قيامه هو بمهامه المطلوبة منه، أما إذا كنت تساعده على أداء فروضه المنزلية حتى هذه المرحلة، فإن هذا التحول سيشكل تحديًا حقيقيًّا، ولكن في النهاية ستنتهي نوبات الغضب التي كانت تنتاب طفلك نتيجة تمسكك بموقفك حتى النهاية، كما ستنتهي نوبات الغضب التي ترافق القيام بالفروض المنزلية أيضًا، وسيكون طفلك أكثر استقلالية وثقة نتيجة ما بذلتماه معه من جهود.

وفي حين أن الدراسات التي تدور حول تأثير الفروض المنزلية على الأطفال تبين أن الفروض المنزلية قبل المدرسة الإعدادية لها قيمة أكاديمية قليلة، فلا توجد هناك أية فوائد أكاديمية يمكن الحصول عليها من أداء الفروض المنزلية ليلًا. وهناك العديد من مهارات الوظائف التنفيذية المهمة للغاية التي يحفزها ويطورها القيام بأداء الفروض المنزلية، وهي تتمثل في المبادرة، وإرجاء الإشباع، ومواصلة العمل حتى الانتهاء منه، والمثابرة على الرغم من الإحباط، ومواجهة التحديات.

ومع أن الأبحاث تبين أنه لا يوجد سوى صلة بسيطة أو ربما تكون معدومة بين الفروض المنزلية في المدرسة الابتدائية والإنجاز، فإنني أرى أن هناك فائدة واحدة للفروض المنزلية وهي: أنها تقدم إلى المعلمين تقييمات توضح أداء الطلاب ومدى تطور تفوقهم الدراسي، ولكن عندما يتدخل الآباء والأمهات و"يقدمون المساعدة"، فإن المعلمين يحصلون على معلومات غير دقيقة بشأن هذا التفوق. وقد أخبرني مدرس رياضيات في المدرسة الإعدادية بقصة طالب من الصف السابع كان والداه يساعدانه كثيرًا بشكل منتظم في أداء فروضه المنزلية، وعلى الرغم من أن إجاباته في دفتر الفروض المنزلية كانت دومًا صحيحة، فإنه كان نادرًا ما يتمكن هذا الطالب من شرح تلك الأفكار على السبورة أمام المعلم أو زملائه في الفصل؛ فقد كانت هذه الفروض تتضمن مفاهيم وأساليب رياضية متقدمة. وأعرب هذا المعلم عن أسفه من عدم قدرته على التأكد مطلقًا من مستوى هذا

الطالب ومدى تفوقه، فكان يقول ساخرًا إن مستواه قد يقع بين "المستوى الرائع والمتميز والمشكوك فيه في الوقت نفسه، ذلك المستوى الذي يتضح في أدائه فروضه المنزلية، وبين مستواه المتدني والمتفاوت الذي يظهر في أدائه في الصف".

وعندما يتطور مستوى الأطفال ويبدأون تحمل مسئولية فروضهم المنزلية بمفردهم، ويلتزمون بالقيام بها حتى عندما يجدونها صعبة، يمكنهم بدء جني المكاسب الحقيقية لمثابرتهم التي تتمثل في الفخر والثقة في أنفسهم. وتروي "كاي ويلز ويما" القصة التالية عن ابنتها "سنوبس" في كتابها *Cleaning House: A Mom's 12–Month Experiment to Rid Her Home of Youth Entitlement*، حيث تقول:

ذات مرة، عندما طلبت مني "سنوبس" مساعدتها خلال بحث خاص بمادة اللغة الإنجليزية في الصف الخامس، لم أستطع منع نفسي من زيادة مشاركتي إياها القيام بهذا الفرض تدريجيًّا، فحاولت إرشادها إلى التوصل إلى صياغة وصفية، ولكن الأمر قد استغرق وقتًا طويلًا، ولم يكن لديَّ الوقت الكافي لمواجهة تلعثمها والوقت الطويل الذي تقضيه في البحث عن الكلمات، كما أن أشقاءها كانوا يتسابقون في الصراخ للفت انتباهي، لذلك بدلًا من الوقوف خلفها وجعلها تكتب الكلمة على الكمبيوتر (ببطء حسبما تستغرق من وقت) وحثها على المثابرة، حتى تختار الكلمة وجعلها تصحح الأخطاء بنفسها، كنت أدفعها جانبًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وأتولى الأمر بنفسي أمام الكمبيوتر، فأقوم بتصحيح كل خطأ نحوي، وأكمل التفاصيل الناقصة، وإضافة قدر من الإبداع لجذب القارئ إلى قصتها، فكان البحث الذي قدمته وهو عبارة عن تقرير يتناول المجموعة القصصية *Redwall* أشبه بتحفة فنية رقيقة تناقض تمامًا نبرتها الشرسة التي كانت تتحدث بها معي منذ قليل.

وعندما عادت من المدرسة إلى المنزل تحمل معها ورقة التقرير الذي ساعدتها على إعداده، ولم تكن مزدانة فقط بالرقم الذي حصلت عليه وهو "٩٧" (وحوله الكثير من العلامات التشجيعية مثل النجوم) وإنما كانت تحمل أيضًا رسالة من المعلمة عن مدى فخرها بهذا الجهد الرائع الذي بذلته، لكن "سنوبس" لم تكن تشعر بالفخر، بل كانت تشعر بالإحراج؛ لأن هذا العمل الذي تمت الإشادة به لم يكن من صنع يديها، وهي تعرف ذلك.

وقد خسرت "سنوبس" ما هو أكثر من المدح الصادق المستحق الذي يتلقاه الفرد نتيجة قيامه بإنجاز مهمة ما؛ حيث خسرت فائدة مواجهة كل تلك الصعوبات المفيدة والتعامل معها، حيث تعزز مهاراتها بالفعل، التي كان من المفترض أن تتعلمها في أثناء قيامها بالفرض المدرسي بمفردها. ولتضع في اعتبارك هذا المثال التقليدي عن التدخل الأبوي المبالغ فيه، ألا وهو: مشروع يُقدَّم في معرض العلوم؛ لأنه إذا كان هناك مجال واحد يكون الفشل فيه من الأمور المحمودة والمنتجة، فإنه يكون في مجال البحث العلمي، حتى لو فشل هذا المشروع العلمي فشلًا ذريعًا، ولو كانت الفرضية خاطئة، فإن هذا يعد شيئًا جيدًا؛ لأن النتائج السلبية في مجال العلوم لا تعتبر فشلًا، بل تعد بيانات يمكن الاستفادة منها.

وعندما تدعم طفلك خلال قيامه بأداء فروضه المنزلية ليلًا، ضع ضرورة تعامله مع الصعوبات المفيدة على رأس قائمتك الخاصة بأولويات التربية؛ ففي الأوقات التي تشعر فيها بالإحباط من شكواه وأنينه وانتحابه جراء شعوره بالتعثر التام، وإبداء رغبته في ترك عمله على أمل أن تتدخل وتنقذه، قاوم رغبتك في أن تقوم بذلك. ويشير الطبيب النفسي، والمؤلف، والمستشار المدرسي "مايكل تومبسون" إلى أن الصعوبات التي يواجهها الأطفال يمكنهم التغلب عليها عندما ندعم جهودهم للتعامل معها وتجاوزها، حيث يقول: "الأطفال يحتاجون منا إلى أن نعترف بالصعوبات التي يواجهونها في أثناء أداء فروضهم، وأن نوليها اهتمامًا، وهذا لا يعني أن نتدخل على الفور، أو أن نهم بالصراخ أو الذعر، أو أن نتوصل إلى استنتاج سابق لأوانه". ومن ثم حينما تدرك معاناة طفلك وتتعاطف معه، ستظل داعمًا لاستقلاليته، ومساندًا إياه من خلال إعادة توجيه تركيزه وجهوده، أما إذا كان متعثرًا حقًّا، فقدم إليه طريقة جديدة للتفكير في المشكلة، ولكن دون تدخل لحل المشكلة نيابة عنه.

وبطبيعة الحال، هناك خط دقيق يفصل بين النضال الذي يعزز التعلم والنضال الذي يدمر التعلم والتحفيز الذاتي، فلا يستطيع الطلاب الذين يدرسون اللغة اللاتينية في السنة الأولى ترجمة **ملحمة الإنياذة**، ومطالبتهم بالقيام بذلك لن يتمخض عنها أي نوع من أنواع التعلم، ولكن ستتسبب في الإحباط والغضب، ومثلما نستطيع التمييز بين الصرخات التي تشير إلى أن طفلنا يتأذى حقًّا في مقابل الصرخات التي تشير إلى شعوره بالإحباط اللحظي أو محاولة دعوتنا إلى الانتباه، فنحن بحاجة إلى معرفة كيفية التفريق بين النداءات التي تهدف إلى دعوتنا إلى مساعدتهم في الفروض

المنزلية الصعبة التي يواجهون فيها تحديات حقيقية لا يمكنهم التغلب عليها، وبين نداءاتهم عندما يواجهون مجرد تحديات عابرة محمودة. وهذه ليست مهمة سهلة، بل هي أمر دائم التغيير لا يسير على وتيرة واحدة، فالأطفال الصغار لديهم مهارات واحتياجات متنوعة ومتغيرة باستمرار، وبعض الأطفال أكثر استقلالية من غيرهم، ومن ثم مع ظهور مواهبهم المعرفية والعاطفية الفريدة، وأوجه عجزهم، سيتضاءل دورك أو يكبر وفقًا لاحتياجاتهم؛ فلن يتشابه الدور الذي تؤديه لمساعدتهم في الفروض المنزلية في الصف الخامس، والدور الذي تؤديه في الصف الأول، ولكن ضع كل تركيزك على المستقبل، فـأنت موجود لمساعدة طفلك لكي يصبح مستقلًّا، وأن يعتمد على مهاراته المتنامية.

وأخيرًا، عندما تنتهي جلسة الفرض المنزلي، تذكر دروس "كارول دويك" وعقلية النمو. وابدأ في الثناء على مجهود طفلك الذي بذله في أداء مهامه، خاصةً عندما واجه تلك الصعوبات المحبطة التي تغلب عليها، وقام بأشياء لم يكن يتوقع أن بمقدوره القيام بها، واحرص على أن يلمس تقديرك لمثابرته على مواجهة ما يقابله من تحديات بالقدر نفسه – إن لم يكن أكثر – الذي تقدر به إجاباته الصحيحة عن كل مسألة، وكلما سنحت لك الفرصة، كرر تأكيدك المبدأ القائل إننا كلما عملنا بجد أكبر، يتسع نطاق عقلنا بشكل أكبر، ونصير أكثر ذكاءً.

أوضح توقعاتك وأفسح المجال للتعلم

بمجرد أن يكون طفلك في المدرسة الإعدادية أو الثانوية، وبمجرد أن تدخل تلك المهارات الوظيفية التنفيذية في حيز التنفيذ، يكون الوقت قد حان إذن لإبعاد نفسك عن مساعدة طفلك في أداء الفروض المنزلية. وبعد أن أظهرت الأبحاث أنه في بداية المرحلة الإعدادية تصبح الفروض المنزلية ذات منفعة أكاديمية، اكتسبت الفروض المنزلية أهمية أكبر؛ لذا عندما يتم التخطيط والإعداد لها بعناية، لن تشكل عبئًا؛ حيث إن الفروض المنزلية الجيدة والمفيدة تعزز المعرفة التي يستقبلها الطالب، وتدفعه إلى تطبيق تلك المعرفة في إطار سياقات جديدة. وهذا الجانب الأخير من التعلم، الذي يقوم فيه الطلاب بإيجاد إجابات بدلًا من مجرد استدعائها من ذاكرتهم يسمى **التعلم التوليدي**. وتقدم الفروض المنزلية التي تعزز التعلم التوليدي للطلاب فرصًا لاستغلال المهارات، وممارسة قدر من التجربة والخطأ، وإيجاد إجاباتهم الخاصة. وعلى الرغم من ضرورة التعلم التوليدي لبلوغ التفوق، فإنه **صعب** أيضًا، ولا يتأتى بسهولة، وعندما تبدأ تعزيز هذا النوع القيم والرائع من التعلم، عليك أن تعلم أنك ستبذل جهدًا شاقًّا في سبيل ذلك؛ حيث إنه لا يبدو مثل الفروض المنزلية في المرحلة

الابتدائية التي توضع فيها الإجابات المناسبة دون عناء في مربعات مطبوعة مسبقًا في دفتر التدريبات الخاصة بمادة الرياضيات، فعندما يتم تطبيق التعليم التوليدي بشكل صحيح، ينتج عنه تجاوز الحدود الضيقة للتعليم التقليدي، والتخلص من قيود المواد الدراسية، وزيادة قدرات الطلاب إلى أقصى حد.

وقد أتيحت لي مؤخرًا فرصة مشاهدة عرض فوضوي للتعلم التوليدي عندما كنت أعمل مُحكمة في التدريبات التحضيرية لمسابقة "فيرست ليجو" التي أقيمت في إحدى المدارس الإعدادية، وهي عبارة عن برامج روبوتات تعليمية تبتكر فيها فرق الأطفال حلولًا لبعض المشكلات التي تواجه عالمنا، وعندما حان الوقت لأن يقدم الطلاب عروضهم التقديمية، كنت أتململ في مقعدي، وأعقد لساني؛ حيث كان الطلبة يحاولون ويفشلون ثم يحاولون مرة أخرى للوصول إلى حلول للمشكلات التي حددوها. فلم يكن أمامي سوى وضع رأسي بين يدي في محاولة مني لإخفاء مشاعر الإحباط التي سيطرت عليَّ نتيجة فشل نماذجهم الأولية في العمل على النحو المخطط لها، وقد حاولوا الوصول إلى حلول وقتية ومرتجلة في الثانية الأخيرة، فدب القلق في نفسي بشأن أدائهم في المنافسة الحقيقية في اليوم التالي؛ حيث إن هذه النماذج كان من الواضح أنها غير جاهزة للاستخدام في العالم الحقيقي، فما بالك بعرضها أمام لجنة من الحكَّام، ولكن في اليوم التالي، تلقيت رسالة إلكترونية من المشرف الرئيسي للفريق ليشكرني على مساعدتي، وصرح لي بأن الأطفال قد حصلوا على جائزة مقابل عملهم، وقد تم تكريمهم على وجه التحديد على الطريقة التي انتهجوها في مواجهة التحدي الذي واجههم، وعلى الطريقة التي جسدوا بها القيم الأساسية لمسابقة فيرست ليجو، ويجدر التنويه في هذا الصدد بأن القيم الأساسية تقول: "ما نكتشفه أكثر أهمية مما قد نفوز به"، ومن ثم قد أسفر كل هذا الفشل؛ ذلك الفشل الذي أصابني تقريبًا بقرحة، عن خبرة تعليمية كبرى للطلاب.

ومن أجل الاستفادة من المهام الأكثر تعقيدًا للتعلم التوليدي التي يقوم بها الأطفال في المدارس الإعدادية والثانوية، قد يظل بعض الطلاب في حاجة إلى التوجيه عند دخول مهارات الوظيفة التنفيذية حيز التنفيذ، مثل التخطيط طويل الأجل وإدارة الوقت. ومع ذلك، يجب على هؤلاء الطلاب الناضجين الوفاء بخططهم الموضوعة في دفاترهم، أو التي أدرجوها في تقويمهم، وبدء تحمل مسئولية عملهم، والوفاء بالمواعيد النهائية. ويجب أن تكون الفروض المنزلية في حدود مقدرة الطلاب عند الالتحاق بالمدرسة الثانوية. ومن ثم ما لم يكونوا محتاجين إلى الإرشاد خلال أداء

مهامهم أو إلى تلقي تقييمك على فكرة ما، فينبغي ألا يتدخل الآباء في الفروض المنزلية على الإطلاق.

حاول أن تتذكر أيام طفولتك؛ تلك الأيام التي كنت تستعد فيها لليوم الدراسي، وتؤدي فروضك المنزلية بجد، وتشعر خلالها بالثقة **التامة** والاستعداد. هل تتذكر تلك الصباحات التي كنت تسير فيها إلى المدرسة، أو تركب الحافلة، عندما لم تكن تطيق الانتظار حتى بداية اليوم التالي؛ لأنك مستعد تمامًا لأن يستدعيك أي مدرس من المدرسين، وكنت حريصًا على عرض ما أنجزته في الليلة السابقة؟ ضع هذا الشعور نصب عينيك عندما تشعر بالرغبة في القيام بالفروض المنزلية نيابة عن طفلك، وبناءً على ذلك لا تحرمه من مشاعر الكفاءة تلك، بل دعه يجرب كلًّا من الفشل والنجاح على حد سواء، ويتولى زمام أموره، ويفخر بعمله وقدراته، ويمكنك تشجيعه خلال مسيرة تقدمه، ولكن لا يمكنك الجلوس بجواره على طاولة غرفة الطعام، والإمساك بيده إلى الأبد ومساعدته، إنها رحلته هو، ومسعاه الشخصي لتخطي العقبات التي تواجهه، وجني المكاسب التي يجنيها بنفسه.

١٢: الدرجات: القيمة الفعلية للأداء المنخفض

تلقيت رسالة إلكترونية في العام الماضي من "ماجي"، وهي أم انتابتها مشاعر القلق واليأس، كتبت لي لتطلب مني النصيحة بشأن ابنها "جون" الذي كان على وشك أن يُطرد من المدرسة المميزة التي تضم الطلاب الموهوبين بسبب درجاته المتدنية، ونظرًا إلى أن المدارس الأخرى في الحي الذي تسكن فيه عائلتها كانت مروعة (غاية في السوء؛ فقد تم فصل مدير المدرسة والعديد من المعلمين من فورهم)، فكان اليأس يملأ قلبها بشأن استمرار وجوده في مدرسته الحالية. وقد تم عقد اجتماع صباح اليوم التالي مع معلمي "جون" لاتخاذ قرار بشأن مستقبله.

أعترف بأنني أفرطت في الاعتناء بأبنائي، فكنت أقدم الطعام إلى أطفالي الذين يبدون تمردهم، ويصعب إرضاؤهم، أو إحضار الغداء لابني إذا نسيه، كانت أرفف غرفته تكتظ بالعديد من الميداليات مقابل حصوله على درجات ممتازة في اختبار فلوريدا للتقويم الشامل، وفي المسابقات الرياضية، ولم يكن يذاكر قط ولا يبذل أي جهد من أجل تحقيق درجات عالية، أو الفوز بجائزة الطالب المتفوق الذي يحصل على أعلى الدرجات. وقد اضطره الانضمام إلى مدرسة الموهوبين إلى الدراسة الشاقة التي لم يكن معتادًا إياها من قبل؛ لذا فشل في المواد التي كان متميزًا فيها، في الرياضيات وفنون اللغة، وأعتقد أنني قد فعلت كل ما بوسعي فيما عدا تعقبه إلى فصله الدراسي، ومعرفة ما يحدث داخله. فتذمرت، وكافحت، وتضرعت بالدعاء أن تسير الأمور على ما يرام. الآن وقد حصل "جون" على هذه الدرجات الضعيفة، وقد تكون العواقب المترتبة على ذلك هي فصله من المدرسة، لكنه يزعم أنه يريد البقاء في مدرسته الحالية، على الرغم من أنه لم يعبر قط فيما مضى عن رغبته في الذهاب إلى المدرسة –أية مدرسة– لذلك أعتقد أن هذا الأمر قد يكون مؤشرًا جيدًا.

اقترحت الخطة التالية على ماجي:

أولًا، عليها إجراء محادثة جادة مع "جون" من أجل معرفة إن كان يحرص حقًّا على البقاء في مدرسته الحالية أم لا، وطلبت منها أن تصدقه القول، وأن تشرح له مدى سوء الوضع، وأن توضح له حال المدارس الأخرى المتاحة أمامه في منطقتهم السكنية. وأخيرًا، يتعين عليها أن تخبره بأن

لديها خطةً، ولكنها لن تتحقق إلا إذا كان على استعداد حقًّا للقيام بما يلزم للحفاظ على مكانه في مدرسة الموهوبين والمتفوقين.

وفي حال موافقة "جون" على هذه الخطة، وأبدى استعداده وجاهزيته للقيام بما يلزم للبقاء في مدرسته الحالية، يكون الوقت قد حان إذن للكشف عن طموحات "ماجي" الجديدة التي ترتجيها من "جون"، وهي كما يلي:

- كل الأمور المدرسية ستكون مسئولية "جون"؛ من الفروض المنزلية، والتنظيم، والتخطيط، وكل تلك الأشياء.
- لن تشكو "ماجي" منه باستمرار أو تنبهه إلى ضرورة قيامه بواجباته، أو تتملقه، أو تتدخل فيما يبذله من جهود لتحقيق النجاح.

وافق "جون" على هذه التطلعات الجديدة، واتفقا على ذلك. وفي اليوم التالي، التقت "ماجي" بمعلمي "جون"، وأوضحت لهم حافزه الجديد للحفاظ على مكانه في المدرسة، وطلبت منهم منحه فصلًا دراسيًّا تجريبيًّا لمدة ثلاثة أشهر أخرى لإثبات نفسه ومدى التزامه، فاستشعر معلمو "جون" مدى إحباطها، وحققوا لها أمنيتها، ووعدتهم باستمرار التواصل معهم، وبدأت تنتظر الأخبار على مدى الشهور الثلاثة.

وحسبما رأيت على مدار تجربتي، فإن الآباء والأمهات، حتى المتحمسين منهم لتعزيز استقلالية أطفالهم، يتوترون ويبدأون الشك في أنفسهم مرة أخرى عندما تشكل الدرجات الضعيفة خطرًا فعليًّا، وكذلك الآباء الأكثر عزمًا ودعمًا للاعتماد على الذات يميلون إلى العودة إلى الاعتماد على السيطرة والسلوكيات التوجيهية عندما تشوه الدرجات الضعيفة تقرير درجات ابنهم، رغم أن تقديرات، مثل مقبول أو كذلك ضعيف –أجل ضعيف– يمكن أن تشجع الطفل على أن يتولى زمام الأمور ويتحمل المسئولية، ويجد حافزه. وكثيرًا ما تبدو لحظات الفشل هذه كأنها طرق متشعبة في غابة صفراء لا تؤدي إلى شيء، ولكنها تعتبر فرصًا للأطفال لتحديد الأمور المهمة بالنسبة إليهم، وما إذا كانوا يريدون الاستثمار في تعلمهم أم لا.

وسوف أشير إلى تلك المعضلة الكبرى التي تبرز من بين أسطر هذا الفصل مباشرة، وهي الدرجات، فليس ثمة سبيل آخر للتغلب على هذا الواقع المؤسف سوى مواجهته بشكل مباشر؛ فالدرجات عبارة عن مكاسب عرضية للتعلم الأكاديمي، وبما أن المكاسب العرضية تقوض التحفيز والتعليم على المدى الطويل، فإن الدرجات تقوض التحفيز والتعليم على المدى الطويل كذلك، وها هي الحقيقة المريرة التي أود إزالتها من الطريق، وأن أستبدل بها شيئًا أكثر جاذبية وسلاسة، ولكن نظرًا إلى أن نظامنا التعليمي يقوم حاليًّا على مجموع الدرجات في مقابل الأداء، فليس أمامي أي خيار سوى التحدث عن كيفية إعادة تدريب عقولنا وأطفالنا لغض الطرف عن تلك الحقيقة السيئة ورؤية المكاسب التي تحجبها عنا تلك الدرجات.

شاركت طلابي على مر السنين شعورهم بالإحباط بسبب الدرجات التي يحصلون عليها وتأثيرها في تعلمهم وتحفزهم على إجراء المحادثات معي، بل في كثير من الأحيان كنت ألحظ تأثيرها في المقالات وتدريبات تسجيل اليوميات، وقد قامت إحدى الطالبات بتلخيص ما يشعرون به من إحباط بشكل جماعي على نحو رائع في مقال كتبته في المدرسة الثانوية عن تجربتها في المدرسة الابتدائية والإعدادية، حيث تقول:

قبل الصف الثالث، كنت أكتب بحرية وبصراحة عما يجعلني سعيدة؛ حيث لم تكن الدرجات والنسب المئوية حينذاك ذات أهمية، ولكن بعد ذلك بدأت الأرقام الدخيلة في الظهور على أوراقي؛ تلك الأرقام التي تمثل استحسان الآخرين أدائي، أو ازدراءهم إياه. في البداية كانت هذه الأرقام عبارة عن أشكال صغيرة لا تبعث في نفسي الراحة والاطمئنان، بل تعوق قدرتي على الكتابة، ولكنني لم أكن أكترث لها، ولكن سرعان ما بدأت الاعتماد على تلك الأرقام والنظر إليها بعين الاعتبار؛ حيث أصبحت متلهفة للحصول على أعلى التقديرات، وكنت أتوق إليها أكثر عندما أحظى بقدر من الثناء، فبدأت الانجراف بعيدًا عما كنت أكتبه كطفلة صغيرة، وقبل أن أدرك ذلك، كنت أكتب من أجل الحصول على تلك الأشكال الصغيرة السوداء الكئيبة والعلامات الحمراء.

الطلاب ليسوا الوحيدين الذين يقرون بالتأثير الضار للدرجات، بل يزداد عدد المعلمين الذين يكتبون ويتحدثون عن الأثر الضار للدرجات على تعلم طلابهم وعلى العلاقة الهشة بين الطالب والمعلم. ويعيد مدرس اللغة الإنجليزية في المدرسة الثانوية "كي. سي. بوتس" جزءًا من الخطاب التالي على مسامع طلابه في بداية كل عام دراسي، قائلًا:

سأقول لكم مرارًا وتكرارًا إن الدرجات هي أسوأ شيء حدث في مجال التعليم على الإطلاق، وإلى أن تجدوا سبيلًا لتقبلها والتعامل معها، فإنها ستظل تزعجكم وتثبط من هممكم، بل إن شعوركم بالقلق والتوتر حيالها سيجعلكم تشعرون في بعض الأحيان شعورًا غير مريح نحو ذاتكم. وبالطبع، أنتم أفضل في بعض الأمور عن غيرها، ولكن إحدى أهم المهام التربوية هي مساعدتكم على تحديد نقاط قوتكم وضعفكم، فحاولوا تجنب لعبة المقارنة التي تحكمون فيها على مستوى أدائكم بمقارنته مع الآخرين؛ لأن القيام بذلك أمر لا مفر منه، ولكنه يأتي بنتائج عكسية؛ في حين أن المسألة لا تكمن فيما يمكن للآخرين القيام به، ولكن فيما يمكنك **أنت** القيام به.

ويطمح العديد منكم إلى الحصول على درجات مرتفعة؛ لأنكم ترون تلك الدرجات هي بطاقة العبور إلى الكلية التي تختارونها، وبالفعل الدرجات لها أهمية، ولكن هل هي مؤشر على ما يمكنك القيام به؟ فالدافع الأفضل هو: تعلم كيفية القيام بشيء على أكمل وجه، فالحصول على تقدير امتياز يشير إلى أن الطالب "عرف كيف يساير القواعد المدرسية"، ولكن لا يوضح، كما هو معهود مدى إتقانه الحقيقي للمادة.

حتى الآباء يعترفون بأن الدرجات تعود بالضرر على علاقاتهم مع أطفالهم؛ حيث تقول إحدى الأمهات: "لم أتصور أنني سأكون من هذا النوع من الأمهات، ولكنني أصبحت إحداهن، فصارت درجات أطفالي توترني، وأصبحت أفكر في درجاتهم طوال الوقت، أفكر فيها كل يوم. أعلم أنه أمر خاطئ وينم عن الغباء، وأعلم أن أطفالي يغضبون مني عندما أفعل ذلك، لكنني لم أعد أطيق هذا الأمر، وأشعر بأنها محور حديثي معهم".

تعتبر الدرجات، أو أية محاولات أخرى لتصنيف الطلاب وفقًا لإنجازهم، بمنزلة حقيقة قاسية للحياة الأكاديمية منذ الأيام الأولى للتعليم في أمريكا، وتعود الأمثلة الأولى لتقارير الأداء إلى عام ١٨١٧، وتركز بشكل رئيسي على مدى انتباه الطلاب وتنظيمهم واستعدادهم لصفوفهم الدراسية، ولم تكن تحتوي على أي ذكر للإنجاز الأكاديمي، وتم تقييم هذا الأمر استنادًا إلى امتحانات نهاية الفصل الدراسي، أو كما سمَّاها رئيس "هارفارد" في عام ١٨٥٧، "اختبار المنح الدراسية"١، وأُجريت في صورة اختبارات كتابية، وإجراء مناقشات فردية مع المعلم، أو أمام لجنة من المحكمين، وهي أشبه بمناقشة الرسائل الأكاديمية في العصر الحديث، حتى في الأيام الأولى من نظام الدرجات، كان المعلمون والإداريون يشكون في جدواها في قياس التعلم والتفوق، وأعرب

رئيس جامعة ييل "تيموثي دوايت الخامس" عن قلقه إزاء عيوب نظام الامتحانات ووضع الدرجات في عام ١٨٩٨، حيث يقول:

هناك، على أقل تقدير، اثنان أو ثلاثة نواقص وعيوب واضحة جدًّا في هذا النظام، وقد لمحت إلى أحدها بالفعل؛ وهو سمة التجرد من المشاعر الشخصية، إذا جاز التعبير، وهو أمر ليس بمنأى عن تلك العيوب الواضحة؛ وهو ما يعني الغياب الضروري للتواصل الشخصي بين عقل المحكم وعقل الطالب٢.

وبالنظر إلى الاستياء الذي طال أمده فيما يتعلق بالنظام المتبع، وهو وضع الدرجات، فإنه من الغريب أن تكتسب نتائج الاختبارات والدرجات هذا القدر من القوة والأهمية في مجال التعليم؛ حيث إننا لا نكف عن الحديث عنها في كل مرة يدخل فيها طفلنا من باب المنزل في نهاية اليوم، ونسأله دومًا: ("ما الذي فعلته في اختبار اللغة الفرنسية؟")، كما أننا نحصل على رسائل تذكيرية بها على بريدنا الإلكتروني في شكل تقارير مرحلية وتقارير منتصف الفصل الدراسي، وتقارير الأداء، فضلًا عن أن المنصات التعليمية الحديثة تمنح الآباء القدرة على تفقد درجات أبنائهم طوال الوقت وهم في منازلهم. ولا بد أن نتناول هذا الأمر بالنقاش في اجتماع الآباء والمعلمين، حتى عندما لا يسعنا فعل شيء نحن أو أطفالنا لتحسين تلك الدرجات، نضطر إلى تقديمها إلى الكليات، آملين أن تكون جيدة بما يكفي للالتحاق بها.

ويعتمد المعلمون وأولياء الأمور والطلاب على تلك الدرجات، ولكنهم يكرهونها في الوقت ذاته، وهناك الكثير من الأدلة التي تبين أن نظام الدرجات هي أسوأ طريقة لتعزيز التعلم من خلال الدوافع الذاتية. وقد طلب الباحثون من مجموعة من طلاب الصف الخامس قراءة قطعة من كتاب مدرسي، كانت هذه القطعة هي أحد النماذج التقليدية التي تقدم في الاختبارات الموحدة، وهو أمر ليس مثيرًا للاهتمام، ولكنه يتطلب أن تنتبه إليه جيدًا، فأخبروا ثلث الأطفال بأن يقرأوا هذه القطعة فحسب، وليس أي شيء آخر، أما الثلث الثاني فقد أُخبِروا بأنهم سيُختبَرون في مدى فهمهم هذه القطعة، وسيحصلون على درجات في هذا الاختبار، أما الثلث الأخير منهم فأخبروهم بأنهم سيُختبرون، ولكن دون الحصول على درجة، وتم اختبار المجموعات الثلاث، فكان أداء المجموعتين اللتين لم يُنتظر منهما الحصول على درجة في الاختبار أفضل من الأطفال الذين كانوا يعرفون أنهم سيتم تقييمهم بمنحهم درجات مقابل أدائهم، وعلاوة على ذلك كانوا أكثر اهتمامًا وشغفًا بالقراءة. وفي

دراسة أخرى أجريت في اليابان، قدم أحد الباحثين إلى طلاب المدارس الإعدادية اختبارات أسبوعية لمادة الرياضيات، وأخبر نصف الأطفال بأنهم لن يُقيَّموا بمنحهم درجات، وبأنها مجرد اختبارات لرصد وتيرة تحصيلهم التعليمي ومدى تقدمهم، وأبلغت مجموعة أخرى من الأطفال بأن الاختبارات سوف تؤثر في درجاتهم النهائية، فجاءت النتيجة مشابهة مرة أخرى؛ حيث تعلم الأطفال الذين لم يكونوا قلقين بشأن التأثير في درجاتهم النهائية بشكل أكبر، وكانت لديهم مستويات أعلى من الاهتمام وحب الاستطلاع. وقد استمرت هذه الاختلافات على مر الزمن أيضًا، فعندما عاد الباحثون في وقت لاحق لاختبار الأطفال أنفسهم مرة أخرى، حفظ أولئك الأطفال، الذين لم يكن لديهم توقع للحصول على درجات، مواد أكثر من الطلاب الذين خاضوا الاختبار وهم يضعون أمر حصولهم على الدرجات نصب أعينهم.

وتعتبر الدرجات إحدى حقائق الحياة المزعجة والمرهقة، وعلى الرغم من كل النقاش الدائر حول إيجاد بدائل أكثر فاعلية، فإنها لن تختفي قريبًا، ولكنَّ هناك طرقًا لتعزيز الدوافع الذاتية والتعلم على المدى الطويل مع العمل بنظام التقدير بناءً على الدرجات.

ضع الدرجات في إطارها الصحيح.

الدرجات ليست مقياسًا لقيمة أطفالنا، ولا تعتبر أيضًا مقياسًا دقيقًا لقدراتهم، ويعي المعلمون ذلك، ومع ذلك فإننا نقع في فخ قياس قدرات طلابنا بناءً على درجاتهم، وعلى الرغم من أن الدرجات **يمكن** أن تكون مقياسًا للقدرة، فإنها قد تكون في كثير من الأحيان مقياسًا للمهارات المتوافرة لدى الطلاب الناجحين، مثل: مهارات الوظائف التنفيذية القوية، والامتثال، ومراعاة مشاعر الآخرين، والقدرة على اتباع التوجيهات، والانضباط الذاتي. وعندما أستمع إلى الطلاب خلال مناقشاتهم مزايا نظام الدرجات، يتضح لي أن الأطفال يفهمون هذا الواقع جيدًا. وإذا عثرت على معلم صادق وصريح في الوقت المناسب، فسيقر بأنه يعرف ذلك أيضًا، فعلى الرغم من الأهمية البالغة للدرجات في ثقافتنا، فإنها أقل أهمية من التعلم، ومع ذلك سيظل التعلم هو السبيل إلى فهم عالمنا والكون الذي نعيش فيه للتواصل مع الآخرين، والابتكار من أجل مستقبل مجتمعنا، أما الدرجات فهي السبيل إلى بعض المؤسسات الأكاديمية، ودخول سوق العمل، وأفضل أن يقدر طفلاي وطلابي قيمة الالتحاق بالمؤسسات الأكاديمية بدلًا من التسارع إلى دخول سوق العمل.

وإذا لم يكن هذا حافزًا كافيًا، ففكِّر في ذلك: قد يرغب طفلك فقط في قضاء المزيد من الوقت معك إذا ابتعدت عن موضوع الدرجات. وفي إحدى الندوات التدريبية في المدارس الثانوية المحلية، سأل أحد الوالدين أحد الطلاب الحاضرين: "ما النصيحة التي ستقدمها إلينا، نحن معشر الآباء، عن كيفية مساعدة أطفالنا على قضاء السنة الدراسية الأولى بشكل رائع؟" فكان الجواب كالآتي:

أود أن أقول، أعطِ أطفالك بعض المساحة، ولا تتحدث دائمًا عن المدرسة والدرجات والمواد. وكن حاضرًا، وتحدث معهم، كما تفعل خلال تناول العشاء، أو خلال ركوب السيارة، ولكن تحدث عن الأشياء التي يرغبون في الحديث عنها. إنني أتناول العشاء مع عائلتي كل ليلة، ودائمًا ما أرغب في أن أكون مع والديَّ، وأن أتحدث معهما، ولكن ليس عن المدرسة أو الدرجات، بل عن حياتي فحسب، وما يجري بها، فعندما يقتصر حديثهما على الدرجات فحسب، أنزعج من وجودي معهما، وأشعر بأن هذا هو كل ما يشغل بالهما.

بينما يتقدم ابناي في العمر، كنت أتنافس مع أصدقائهما، ومع التكنولوجيا، ومع جميع الملهيات الأخرى في حياتهما من أجل الاستحواذ على انتباههما واهتمامهما وإجراء حوار معهما، ووجدت أن هذه النصيحة فعالة للغاية، وهي: إذا كان كل ما عليَّ القيام به هو عدم التطرق إلى موضوع الدرجات من أجل ضمان قضاء المزيد من الوقت معهم، والحصول على قدر أكبر من انتباههم، فأنا موافقة على ذلك.

ركز على الأهداف أكثر من الدرجات.

هناك طريقة واحدة للحفاظ على أهمية الدرجات في سياقها الصحيح، ومساعدة الأطفال على السيطرة على تعليمهم، وهي تحويل تركيز عائلتك عن الدرجات وصبه على الأهداف، ولأنك أنت من يحدد الأهداف وليس المعلم، فإنها يمكن أن تكون مقياسًا أكثر جدوى لتحقيق النجاح. فعندما يحدد الأطفال أهدافهم الخاصة بالتعلم، فإنهم يشعرون بامتلاك زمام الأمور، كما يشعرون بالكفاءة كذلك، أما حصولهم على درجات مرتفعة، فيمكن أن يوفر لهم قدرًا من المتعة، خاصةً عندما يكون الطفل قد عمل بجد، ولكن تحقيق هدف معين قد حدده هو بنفسه يتجاوز هذه المتعة التي يشعر بها عندما يحصل على الدرجات النهائية.

ويمكن أن تكون الأهداف وسيلة رائعة لتحفيز المشاركة في المدرسة، والحفاظ عليها، ولكن لكي تكون فعالة، يجب أن تكون الأهداف تخص طفلك وحده؛ فمهما بدت لك أهداف طفلك صغيرة أو تافهة، فهي أهدافه، ويجب عليك احترام ذلك. حتى الأهداف غير الأكاديمية التي تبدو تافهة تعتبر أهدافًا مهمة؛ لأن عملية تحديد الأهداف لا تدور حول الهدف نفسه، بل حول العزم المطلوب لتحديد طموحاته ومتابعتها إلى أن تؤتي ثمارها. وخلاصة القول إن استغراق بعض الوقت للحديث عن الأشياء التي يريد أطفالنا تحقيقها مع مرور الوقت يظهر لهم أننا نحترم احتياجاتهم وتطلعاتهم.

وعندما تعمل أسرتك على تحديد أهدافها، حدد أهدافك أنت أيضًا، واعمل على تحقيقها، ومن ثم فأي وقت تجد نفسك فيه تحاول السيطرة على الأمور، أو تحاول تقديم قدر كبير من النصيحة إلى أبنائك، فلتذهب على الفور إلى غرفة أخرى لتناول كوب من الماء، أو اذهب إلى المرحاض، وخذ نفسًا عميقًا، وذكر نفسك بالهدف المنشود في هذا الصدد الذي يتمثل في أن الاعتماد على الذات في تحديد الأهداف الموجهة ذاتيًّا يؤدي إلى التحفيز الذاتي؛ الأمر الذي يؤدي إلى تعلم أفضل، والنجاح في الحياة، ثم خذ نفسًا عميقًا آخر.

ولكن بين تلك الأنفاس العميقة التي تتخذها، لا تنسَ الثناء على الجهد، والاجتهاد، والمثابرة، فلتقل له على سبيل المثال: "أنا فخور بك للغاية لتنظيم نفسك خلال هذا الأسبوع وإنهاء فروضك بشكل منظم، أعلم أن هذا عمل مزعج، ولكن عليك الالتزام به"، وكانت العبارات التي تتكرر في منزلنا كثيرًا هي: "إنني معجب إعجابًا شديدًا بمدى جهدك المبذول في الحفاظ على غرفتك نظيفة"، و"من المؤكد أنه أمر محبب إلى النفس أن ترسم لوحاتك على مكتب نظيف".

اسعَ إلى معرفة التغذية الراجعة أكثر من سعيك إلى معرفة الدرجات.

مع أن نظام النتائج والدرجات يعطي الأولوية للدرجات على التعلم، فهناك جانب واحد من بيان الدرجات الحديث هو الذي يؤتي ثماره بشكل جيد، وبخاصة عندما يتم إعداده على نحو ملائم. فوفقًا لما تقوله الأبحاث، فإن التعليقات السردية والتغذية الراجعة على أداء الطلاب تكون "أفضل من الدرجات من حيث تشجيع التحفيز الذاتي لدى الأطفال للتعلم وتعزيز إنجازهم"[٣]. ويبلي معلمو المدارس الابتدائية بلاءً حسنًا في تقديم ملاحظاتهم على بيان الدرجات، ولكن بمجرد أن تحل الدرجات محل التقييمات السردية باعتبارها "الطريقة الرئيسية للتقييم"، يشعر الطلاب وأولياء

الأمور بالضياع. وعندما يبدي المعلم ملاحظاته على أداء الطالب، فيقول له: "لقد قمت بعمل عظيم من تنظيم أفكارك في هذا البحث، وصياغة أطروحتك، ولكن متن فقراتك لا يعالج السؤال الذي طرحته الأطروحة"، تعليقًا على المسودة الأولية التي قدمها الطالب، فإنه بذلك يمنح الطالب معلومات عن العناصر الإيجابية في عمله، ويعالج جوانب الفشل فيه، ويقدم معلومات مفيدة يمكن استخدامها لتحسين الأداء. وبهذه الطريقة تنجح الملاحظات القائمة على المعلومات، مثل الثناء على الجهد، كما أنها تعزز بالقدر نفسه الدوافع الذاتية، والحماسة للمهمة، والأداء الجيد في الاختبارات اللاحقة.

ونظرًا إلى أن الدرجات لا تعطي الآباء أو الطلاب أية معلومات عن المهارات المحددة (أو ما تسمى وفقًا للمصطلحات المستخدمة في مجال التعليم "الكفاءات") التي يتقنها طالب معين، فإن العديد من المدارس تنتقل إلى طريقة تقييم تسمى "التصنيف القائم على المعايير"، وتقلع تمامًا عن التصنيف القائم على النقاط. ويقوم التصنيف القائم على المعايير بتقييم الطلاب بناء على المهارات أو الكفاءات التي قررت المدرسة أن يتعلمها الطالب في سنة معينة. وعلى سبيل المثال، إذا كانت المدرسة تستخدم قائمة شاملة من المهارات المدرجة في مبادرة المعايير الحكومية للأساس المشترك، وكان المستوى العادي لطالب في الصف الثاني في مادة الرياضيات يتطلب منه أن يعرف كيفية تكوين مجموعات من العشرات؛ ليكون ناتجها مائة، سوف يكون المعلم حينها قادرًا على إبلاغ الآباء بما إذا كان طفلهم يتقن تلك المهارة عينها أم لا، في حين أن تقدير جيد جدًّا لا يوضح شيئًا عن إتقان الطفل مهارات معينة، فإن النظام القائم على المعايير يعتبر مفيدًا للآباء والأمهات والإداريين لهذا السبب فحسب؛ لأنه يزودنا بمعلومات محددة ومفيدة نحتاج إلى معرفتها من أجل معرفة مدى اكتساب الطلاب المهارات المناسبة لصفهم الدراسي.

وإذا كانت مدرسة طفلك تستخدم الدرجات فقط مقياسًا للتعلم، فلتطلب الحصول على المزيد من المعلومات عن مستوى طفلك في اجتماعات الآباء والمعلمين، وأبلغ تلك المعلومات إلى طفلك. وتأكد أنك تشاطره النقد الموجه إليه مثلما تشاطره الثناء عليه؛ لأن النقد هو الذي يقدم أكثر المعلومات اللازمة لتطور طفلك أهمية. فلتخبر المعلم بأن أسرتك تفضل الحصول على التغذية الراجعة البناءة عن الدرجات، وذلك لأن التغذية الراجعة البناءة هي الأكثر فائدة، وهي أساس المعلومات التي يتم ذكرها مستقبلًا في اجتماعات الالتحاق بالكلية. وإذا كان هذا التوجه الحالي نحو

أنظمة التصنيف القائمة على الدرجات يكتسب زخمًا، فإن المزيد من المدارس ستتحول إلى هذا الاتجاه في السنوات التالية، أما بالنسبة إليَّ، فأنا أحبذ الحصول على قدر أكبر من المعلومات عندما يتعلق الأمر بتطور الأطفال، وأوجه الضعف والقوة لديهم.

دع الأطفال يوجهوا دفتهم.

وهناك فرصة أخرى لمنح الأطفال الاعتماد على الذات والسيطرة على تعلمهم، وهي اختيار مقررهم التعليمي. وبمجرد أن يكون لدى طفلك حرية اختيار الحصص الدراسية، وعادةً ما يكون ذلك في المدرسة الإعدادية، أو في مرحلة مبكرة من المدرسة الثانوية، فإن اختيار المقرر التعليمي إذن يجب أن يكون مهمته هو وليس مهمتك، ومن ثم فإنه عندما يجلس ويختار المواد التي سيدرسها من بين قائمة المواد الدراسية في المدرسة الثانوية، ويعطي الأولوية للغة والموسيقى والرياضيات، فإنه بذلك يبدأ تشكيل توقعاته وأهدافه لنفسه بناء على أفكاره الخاصة؛ فحرية الاختيار هي أحد أهم جوانب اكتساب الاعتماد على الذات، ومن ثم إذا كان لدى الأطفال حرية الرأي في اختيار المواد الدراسية التي سيدرسونها، وفي موعدها، وفي المعلمين الذين سيدرسونها لهم، فإنهم سيتحملون مسئولية تعلمهم بشكل أكبر كثيرًا.

أجل، أفطن إلى رغبتك في التحاق ابنك بكلية كبرى، وقد أكد مستشارو التوجيه في مجال التعليم **ضرورة** أن يأخذ الطفل قدرًا معينًا من الحصص التي تهدف إلى إثارة إعجاب موظفي قبول الجامعات. وعلى أية حال، أي طفل تفضل: طفل متحمس؛ لأنه يتولى زمام الأمر في تعلمه، ما يدفعه إلى العمل بجد للوصول إلى أهدافه، أم طفل منعزل يشعر بأنه لا علاقة له بمساره التعليمي؟ فالطفل الأول سيكون أداؤه أفضل في المدرسة؛ لأنه يشعر بقدر كبير من السعادة في تجربته التعليمية، ويكون أكثر احتمالًا لتحقيق الأهداف التي وضعها لنفسه. ويمكنك أن تسيطر سيطرة كاملة على كل خطوة من خطوات طفلك، أو بمقدورك أن يكون لديك طفل مستقل، لديه دوافعه الذاتية التي تحركه، ولكن لا يمكن أن يكون لديك الاثنان معًا.

خلال متابعة طفلك في أثناء عمله على تحقيق أهدافه، احرص على أن يعرف أن تعريفك النجاح يتضمن المثابرة في مواجهة الفشل، فأنا أفضل تعليم الطفل الذي يقوم بالمجازفات في تعليمه، حتى إن فشلت تلك المجازفات في أن تؤتي ثمارها في النهاية. أما الطلاب الذين يخافون خوفًا شديدًا من

الفشل، فتكون نتائج عملهم مملة، وغير مجدية، ومتواضعة، لذلك أحاول دفع هؤلاء الطلاب إلى المخاطرة، وألا يكونوا تقليديين في تفكيرهم، وأن يقدموا على أداء مهامهم، وكأنهم لن يحصلوا على درجات في مقابلها.

لا تعلق بيانات الدرجات على الثلاجة.

وخلال إبعاد تفكير أسرتك عن الدرجات وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف وتعلم المزيد، حاول ألا تولي التقرير الخاص ببيانات الدرجات أهمية قصوى، وألا تتعامل معه كأنه آخر المطاف أو الفيصل الوحيد الذي يعبر عن الإنجاز. قد تميل إلى لصق تقرير بيانات الدرجات الرائع على الثلاجة، ولكن القيام بذلك ينقل رسالة إلى أبنائك، مفادها أنك تحبهم بسبب درجاتهم فحسب، وليس لأنفسهم؛ ما يدفعهم إلى التساؤل عما تنوي القيام به إزاء تقارير بيانات الدرجات والأوراق والاختبارات "السيئة" ما دمت لم تضعها على الثلاجة أيضًا؟ فالرسالة واضحة لطفلك عندما تستفيض في حديثك عن الدرجات العالية، وتظهر سعادتك بها بقولك: " أنا فخور جدًّا بك! أنت غاية في الذكاء!"، وعندما تتجهم في وجهه عند حصوله على تقدير جيد فقط. وهناك طريقة أفضل للتعامل مع الدرجات وتقارير الأداء، وهي التحدث إلى الأطفال عما سار بشكل جيد في مواد معينة؛ ما أدى إلى حصولهم على درجة عالية. واسأل عن الأساليب التي آتت ثمارها مع طفلك في أثناء استعداده لاختبار اللغة الفرنسية، وعن الأساليب التي لم تؤتِ ثمارها كذلك، فإذا كان يحصل على درجة منخفضة في اختبار ما، فحاول أن تعرف ما الذي يمكن أن يفعله بشكل مختلف في المرة المقبلة، وما الإستراتيجيات التي لاقت نجاحًا، أو التي لم يكن لها من النجاح نصيب. فلا تعدو الدرجات عن كونها مقياسًا للتقدم، ولكنها ليست وجهةً مقصودةً، لذلك أعطها القدر الذي تستحقه من الأهمية والانتباه، وليس أكثر من ذلك.

كن حذرًا من البوابات الإلكترونية الخاصة بالآباء.

وبما أن المدارس تعتمد برنامج باور سكول، أو آي بيرنت، وغيرهما من الأنظمة الإلكترونية لمتابعة أداء الطالب؛ ليستخدمها المعلمون والإداريون، فيجب عليهم أيضًا إتاحة السبل للطلاب وأولياء الأمور لمعرفة الدرجات وسجلات الحضور. إذا كانت مدرسة طفلك تقدم هذا الخيار، ففكر بعناية فيما سيترتب عليه دخولك إلى مثل هذه المواقع داخل أسرتك قبل أن تبادر بتسجيل الدخول

عليها. وعلى الرغم من أنني قد استخدمت هذه البرامج في اثنتين من المدارس المختلفة، وأنني من أشد المعجبين بفائدتها للمعلمين، فإنني لست معجبة بالبوابات الإلكترونية الخاصة بالآباء، فالعديد من المعلمين الذين تحدثت معهم يشعرون بأن تسجيل الدخول في مثل هذه المواقع الإلكترونية قد حل محل إجراء المحادثات المباشرة، ويزيد كلًّا من تبعية الطلاب والتدخل المفرط للوالدين في شئونهم. وقد تحدث إليَّ أحد المعلمين قائلًا:

يُطلب من المعلمين اليوم بشكل متزايد إبقاء الطلاب وأولياء أمورهم على علم بكل ما يجري. هناك العديد من المهام التي تؤدي إلى تقليل احتياج الطفل إلى أن يصبح معتمدًا على ذاته، مثل إخبار الآباء بالمهام طويلة الأمد التي يتم تسليمها إلى أولادهم، وإخبارهم بقائمة المهام عن طريق الهاتف أو البريد الإلكتروني، ونشر الدرجات كل بضعة أيام، كل هذه المهام تؤدي إلى التبعية، والاعتماد على جهة خارجية تخبرك بما يجب عليك فعله.

وعندما وصلت الرسالة التي تحتوي على هوية المستخدم، وكلمة المرور الخاصة بحساب ابني الأكبر في برنامج باور سكول، فإننا كنا نعرف بالفعل ما الذي سنفعله حيالها؛ حيث سلمنا المغلف إلى ابننا، دون فتحه، في مقابل وعده الصارم بأنه سوف يتحدث إلينا عما يجري معه في الأمور الدراسية، وأننا لن نكون آخر من يعرف أية مشكلات قد يتعرض لها في المدرسة. وعندما قررنا الحفاظ على إجراء محادثة فعلية مع ابننا باعتبارها طريقتنا المعتادة لمعرفة شئونه الدراسية، فوجئ العديد من أصدقائي وصدموا من طريقتنا، وكأننا نخطئ في دورنا المتعارف عليه كآباء.

إنني أختلف معهم في الرأي؛ فتفقد درجات الأطفال هو نوع من المراقبة، التي تعتبر أحد أشكال السيطرة التي كثيرًا ما نبهت إليها في الأبحاث التي أجريتها باعتبارها عدوًّا لتحقيق الاعتماد على الذات، والتحفيز الذاتي. وكنت قد رفضت الدخول إلى البوابات الإلكترونية التي تنشر الدرجات لهذا السبب وحده؛ لأن التحقق من درجات طفلك، خاصة دون الاتفاق مع الطفل على ذلك بشكل مسبق، بالنسبة إليَّ، ينم عن عدم الثقة؛ الأمر الذي يشعرني بالانزعاج البالغ.

فإذا لم تكن مستعدًّا للإقلاع عن الدخول إلى حساب طفلك في برنامج باور سكول، فهناك طرق أخرى للتعامل مع الوصول إلى المعلومات بمشاركة طفلك. بعض الآباء يقررون تسجيل الدخول إلى البرنامج فقط تحت معايير صارمة وإشراك أطفالهم في مناقشة تدور حول كيفية عمل هذه

المعايير، وعلى سبيل المثال، يمكن أن تقول لطفلك: "أخطط لتسجيل الدخول إلى برنامج باور سكول اليوم، هل هناك أي شيء تود التحدث معي عنه؟" أو "أود معرفة درجاتك منك أنت، ولكنني سوف أتحقق من هذا الأمر في الأسبوع المقبل في منتصف الفصل الدراسي، فلماذا لا تلقي نظرة على حسابك الخاص في برنامج باور سكول بنفسك وتخبرني بما وجدته؟"، وبهذه الطريقة، يكون في استطاعة ابنك التحكم في المعلومات، وتعلم كيفية التعامل مع التحدي المتمثل في بدء المحادثات الصعبة (أو المهمة).

وإذا كنت قد قررت الامتناع عن الدخول إلى البوابة الإلكترونية الخاصة بالآباء، فربما ترغب في إرسال رسالة إلى معلمي أطفالك توضح لهم قرارك بأن يتولى طفلك مسئولية توصيل المعلومات، وعندما كنت أعلم أن هناك طالبًا ما هو المسئول عن التحدث مع والديه عن درجاته وإخبارهما بها، كنت أحرص على التواصل مع الوالدين من حين إلى آخر للتحقق مما إذا كان هناك أي أمر خاطئ، أو إذا كانت درجاته تتراجع، أما إذا كان المعلم لا يعرف أن الوالدين لا يتفقدان البوابات الإلكترونية الخاصة بالآباء، فهو من جانبه لن يتحمل مسئولية تشجيع الطالب ليكون على مستوى المسئولية.

ادعم الفشل باعتباره فرصة للنجاح.

عندما يعترف لي الطلاب بخوفهم الشديد من الفشل، أشعر بالتعاطف معهم.

بالطبع هم يخافون من الفشل، ومعظم الطلاب كذلك؛ حيث قيل لهم إن الفشل مآله تحطيم أحلامهم في الالتحاق بالكلية التي يرغبون فيها، والعمل الذي يودونه، ومن ثم فهو يقضي على سعادتهم. وأنا على علم تام بالمخاطر التي نواجهها في أثناء الالتحاق بالجامعات في هذه الأيام، ولكن ما زلت أرى أن التعلم من أجل التعلم، وإتاحة الفرصة لخلق الحافز الحقيقي لدى الطفل في وقت مبكر من مراحله التعليمية يفوق كثيرًا تأثير بعض الدرجات المنخفضة، وفي الواقع تعتبر تلك الدرجات المنخفضة دروسًا ضرورية ومفيدة. وعلى أية حال فإن مدى تفاعل الطفل وتكيفه مع الفشل يمكن أن يمثل الفارق بين اليأس المدمر وقوة الدافع لتحسين المستوى؛ فكل من الأبحاث والمقابلات والحكايات التي قرأتها عن الأشخاص الناجحين وتجارب الفشل التي مروا بها تكشف أن الأشخاص –الذين لا يعتبرون أنفسهم فاشلين لمجرد أنهم فشلوا، والذين يواجهون فشلهم بشكل مباشر، ويبحثون عن العبر فيما اقترفوه من أخطاء– هم من ينتصرون في النهاية، أما أولئك الذين يرون أنفسهم فاشلين لمجرد

مرورهم بتجارب فاشلة، ويقومون بإنكار هذا الفشل، أو يسعون إلى إلقاء اللوم في فشلهم على الآخرين، فيكون مآلهم هو تكرار أخطائهم مرارًا وتكرارًا، وعدم اكتساب أي فائدة من تجاربهم، ويصف "كين بين"، مؤلف كتاب *What the Best College Students Do*، الأشخاص الذين يرون أنفسهم فاشلين عندما يمرون بتجارب فاشلة بأنهم أشخاص يعايشون تجربة "تقدير الذات العرضي".

فإذا كان لديك شعور بتقدير الذات العرضي، وموقفك تجاه نفسك يعتمد على "نجاحك" أو "فشلك" في مجال معين مقارنة بالآخرين، فيمكنك إذن الكف عن المحاولة؛ حيث إنك تقرر لا شعوريًّا أن أفضل طريقة لتجنب الخسارة هي البقاء خارج اللعبة٤.

وعلِّم أطفالك مواجهة الفشل وقبوله باعتباره تغذية راجعة ذات قيمة، ودعهم يروا أنك تقوم بالمخاطر وتفشل، وتحدث عن تلك الإخفاقات باعتبارها فرصًا لتطوير نفسك. ويصيغ "تيم هارفورد"، مؤلف كتاب *Adapt: Why Success Always Starts with Failure*، هذا النهج ببساطة قائلًا: "يستخدم علماء الأحياء كلمة تصف الطريقة التي تنبثق بها الحلول من الفشل ألا وهي: التطور". وعندما ننظر إلى الفشل في ضوء ذلك، فإن رد الفعل الصحيح للتعامل معه ليس إنكار وجوده، أو إلقاء اللوم على الآخرين، بل التطور استجابة له.

وبعد ثلاثة أشهر، أرسلت لي "ماجي" رسالة إلكترونية تشكرني فيها على نصيحتي، وتطلعني على ما أحرزه "جون" من تقدم، ووفقًا لاتفاقهما، امتنعت "ماجي" عن التذمر من "جون" والتدخل في شئونه، وجعلته هو من يتولى زمام أموره الدراسية، ونجحت في الضغط على مدرسة "جون" لمنحه فترة اختبار مدتها فصل دراسي واحد، فكانت النتيجة أن انسحبت "ماجي" من المشهد؛ ما دفع "جون" إلى المبادرة بالتصرف، ثم كتبت تقول:

أعتقد أن "جون" كان في حاجة حقًّا إلى اجتياز ذلك العام السيئ ليتعلم كيف يذاكر، وكيف يقوم بالأشياء بنفسه، بدلًا من اعتياده أن يقوم بها من أجله شخص ما، ولم أعد أضطر كذلك إلى حثه على العمل – ذلك العمل الذي كنت فيما مضى على استعداد تام للقيام به – لأنه يقوم به الآن من تلقاء نفسه، وحتى الآن لا يزال يبذل أقصى طاقته لإثبات صحة إجاباته وإظهار العمل الذي بذل جهدًا في القيام به، حتى تمكن أخيرًا هذا العام من القيام بعمله على نحو صحيح.

سررت لأن تجربة "فشله" كانت في مرحلة مبكرة وليست متأخرة؛ لأن علينا جميعًا مواجهة الفشل في مرحلة ما من حياتنا، وأعتقد أنه يدرك الآن إمكانياته.كل شيء على ما يرام حتى الآن!

وفي نهاية العام الدراسي، تم ترشيح "جون" لجائزة "الطالب المتطور"، واستمر في إبهار معلميه بحماسته وإصراره، فلم يكن نضال "جون" في جوهره يدور حول الدرجات، ولكن من المؤكد أن تلك الدرجات الضعيفة هي التي عجلت بتحوله من طالب ضعيف إلى طالب متميز؛ لأن تلك الدرجات الضعيفة لم تكن سوى نتاج عجز "جون" عن تولي مسئولية تعلمه، أما الآن بعد أن وافقت "ماجي" على التراجع وإفساح المجال له، فلم تعد تذكره بقائمة الأعمال التي يجب عليه القيام بها، وتعمل كمنبه، وطاهية، وسائقة، ومعلمة خاصة له، بل صارت تؤدي دور الأم فحسب.

ويتأثر "جون" – مثل معظم الأطفال – بسلوك والديه، ومن ثم فإن توجهك نحو تحقيق الاعتماد على الذات، والدرجات سينعكس على توجه طفلك، إن الأمر بتلك البساطة، إذا كان ابنك يقضي أيامه مستغرقًا في المنافسات الأكاديمية مع أقرانه، وهو يدرك تمامًا أهمية الدرجات لتحقيق التفوق والالتحاق بالكلية المناسبة، إذن لماذا لا أكون أنا الشخص الوحيد في حياته الذي لا يشعره بالضغط الأكاديمي وبعدم الأمان؟ إنني أفضل أن أكون الشخص الذي يرغب ابني في التحدث إليه على العشاء عن الأشياء المضحكة التي حدثت مع صديقه بعد صف الرياضيات، أو عن الفيلم الذي يود مشاهدته في نهاية الأسبوع المقبل، أو عن آماله وأحلامه، فليس أمامنا سوى وقت محدود لنقضيه مع أطفالنا، فلنستمتع به قبل أن ينتهي. وقد توصلت إلى وجهة نظري المفضلة المتعلقة بقيمة الفشل في مرحلة المدرسة الثانوية من المعلم "جوناثان شيا" الذي درس في المدرسة الثانوية فترة طويلة، ووجد أن نمط المحاولة والفشل، والمحاولة مرة أخرى يتكرر من تلقاء نفسه مرارًا وتكرارًا، حيث يقول:

يتعافى الطلاب من تعثرهم، مثلما هي حال البشر طوال الوقت، ويساعدهم الفشل على اكتشاف أمور عن أنفسهم، فيتعلمون أولًا تصحيح الأمور حتى تكون على ما يرام، ثم يتعلمون ثانيًا كيفية التغلب على أية مشكلة، ومن ثم فإن هذا العمل والانتباه أكثر أهمية من العبقرية أو الكمال، ومن ثم فإن الطلاب يحتاجون إلى الفشل؛ لأن هذا هو الوقت المناسب لكي يتعلموا كيفية تحقيق النجاح.

خاتمة: ما الذي تعلمته من التراجع وإفساح المجال لطفلك؟

أحب الحكايات المثيرة، بالطبع أحبها، فأنا، على الرغم من كل شيء، معلمة للغة الإنجليزية، قضيت حياتي في انتقاء القصص التي تساعد طلابي على ربط تجاربهم الفردية بالتجربة الإنسانية الأوسع نطاقًا؛ فعندما نطالع، على سبيل المثال، قصة رحيل "بيب" من المنزل وعودته مرةً أخرى للتكفير عن أخطائه في رواية **الآمال الكبرى**_* لـ"ديكنز"، نجد أنه يكشف لنا عن أحد المسارات المحتملة للعودة إلى أيام الطفولة، وتصحيح أخطائنا الماضية، ويقدم إلينا لمحة عن الانتهاء المحتمل لآلام البطل، ويوضح أن "بيب" شخص غير خالٍ من العيوب مثلنا، لذلك فمن الباعث على الاطمئنان أن نعرف أنه قد شق طريقه وسط الضباب والأخطار والحسرات التي نصاب بها خلال مرحلة النضج.

كل هذه النقائص تكون متقبلة عند معالجتها في سياق خيالي؛ فكتبنا التاريخية مليئة بهذه القصص، بعضها صحيح، وبعضها مختلق، وكلها تهدف إلى تعزيز هويتنا التي تقوم على الاعتماد على الذات في حل المشكلات، والقيام بعمل الاختراعات وفقًا لاحتياجاتنا، وتحقيق النجاح والنتائج العظيمة في النهاية. إن قصة إديسون، على سبيل المثال، التي كثرت الإشارة فيها إلى محاولته عشرة آلاف مرة، كلها باءت بالفشل، من أجل تصنيع المصباح، قد أصبحت إحدى أشهر قصص الفشل الذي تحول إلى النجاح في التاريخ الأمريكي. وقد تم تفسير قصة "إديسون" تارةً على نحو صحيح، وتارة أخرى على نحو خاطئ، وأُعيدت صياغتها بطرق شتى في مختلف مواقع الإنترنت بشأن الدروس المستفادة من المحاولات الفاشلة لتصنيع المصباح، التي وصلت إلى عشرة آلاف، ونجاح محاولة وحيدة. ابحث على محرك البحث جوجل عن "إخفاقات المشاهير"، وستعثر على محتوى تقرؤه على مدار يوم بأكمله، بدءًا من المشاهير (ستيف جوبز، وجي. كي. رولينج، وألبرت أينشتاين) ووصولًا إلى المغمورين (آلان هينكس، وإس. إيه. أندري، أكيو موريتا).

نعيد طباعة قصص الفشل تلك ونكررها؛ لأننا نعلم أن نهايتها هي النجاح، فقد تحتوي على تقلبات في مجريات الأحداث ونهايات مفاجئة، ولكن قبل أن نبدأ القراءة أيضًا، فإننا نتنبأ بالنتيجة؛ لأننا نعرف أنه على الرغم من كل الصعاب، سينجح الاختراع، وسيتم الفوز في مباراة البطولة، وسوف

يعود رواد الفضاء إلى الأرض، ومن ثم فإننا لا نقرأ هذه القصص من أجل نهاياتها المفاجئة، ولكن لتذكيرنا بأن أخطاءنا قد تكون جديرة بالاهتمام في النهاية؛ لأننا نكون بحاجة إلى معرفة أن معاناتنا، وهواننا، وآلامنا سوف تعود علينا بالنفع في النهاية.

وإذا كان عدم قدرتنا على التنبؤ بمصير رحلتنا ومحاولاتنا أمرًا محبطًا، فإن القلق الذي يشعر به الآباء والأمهات بينما تتكشف قصص أطفالهم أمام أعينهم هو بالتأكيد أمر لا يطاق. ولأننا لا نستطيع أن نعرف كيف ستنتهي قصصهم، فإن إخفاقاتهم تعتبر قصة أكثر حدة، وأشد إلحاحًا وخطرًا؛ حيث يمكن أن تنافي نهايات القصص الجذابة، بل ربما تفوق النهايات المأساوية في الدراما الشكسبيرية.

وعندما يرتكب طفلاي الأخطاء التي تهدد نهاياتهما السعيدة، أشعر بأن الأرض تهتز تحت قدميَّ، وفي تلك اللحظات لا أريد شيئًا أكثر من أن أكون قادرةً على التنبؤ بنهاية قصتهما، وطمأنة نفسي بأن كل شيء سيسير على ما يرام، ولكن للأسف، هذه ليست الطريقة التي تنجح بها تربية الأبناء، لا يمكننا معرفة الأمور التي تعوقهم عن الوصول إلى النجاح، ولا يمكننا تخطي الفصول غير المريحة في قصة أطفالنا من أجل الوثب إلى النهاية السعيدة، بل الأسوأ من ذلك، هو عجزنا عن معرفة ما إذا كانت هناك نهاية سعيدة أم لا.

وعلى أية حال، ما يمكننا القيام به هو التحلي بالصبر، والثقة في أطفالنا، فعندما أشاهد طفليَّ يعيشان فصول حياتهما المختلفة، ويضعان إستراتيجيات لتحقيق الأهداف التي قد لا أكون موجودة لأشهدها، لا يكون أمامي خيار إلا التركيز على تفاصيل رحلتهما، فهما يكتبان قصصهما الخاصة بصوتيهما الخاصين، وبحبكة من اختراعهما، ولذلك فإن أطفالنا هم من سيسردون قصتهم وليس نحن، ولا يمكننا تعديل قصصهم حتى تكون رائعة. وقد كتب الكاتب "ريتشارد روسو" يقول: "الكتب العظيمة ليست هي الكتب التي لا تشوبها شائبة"١، وهذا رأي سديد، ونستخلص من هذا أنه من أجل أن يصبح الأطفال أشخاصًا رائعين، يتعين علينا التصالح مع عيوبهم؛ لأنها تشكل جزءًا أساسيًّا من قصتهم في الحياة.

---

* متوافرة لدى مكتبة جرير

شكر وتقدير

قد تكون الكتابة مجهودًا فرديًّا، ولكن نشر الكتاب مجهود جماعي، فلا توجد أية كلمة شكر قد تفي بحق كل شخص ساعد على تحويل فكرة عمل مدونة طرأت على عقلي في وقت متأخر من الليل، إلى هذا الكتاب الموجود بين أيديكم الآن.

في صباح اليوم التالي، وبين صفي اللغة الإنجليزية واللغة اللاتينية، تحولت فكرة نشر المدونة إلى نشر مقال بدلًا منها، عندما اقترحت كي. جي ديلانتونيا تقديمه إلى النشر في مكان ما، وحينما أعطتني هيلين أولين مؤلفة كتاب *Pound Foolish* خلال تناول الغداء عنوان البريد الإلكتروني لـ جيني جريتز في مجلة **أتلانتك**، أرسلت إليها، وفي نهاية اليوم قبلت جيني المقال، ووافقت على تحريره ونشره تحت عنوان "لماذا يتعين على الآباء أن يعطوا أبناءهم الفرصة للفشل؟". هؤلاء النساء الثلاث قد غيرن مسار حياتي، ومهما توجهت إليهن بالشكر، فلن يوفيهن حقهن.

يصعب العثور على محرر جيد، لكن الحظ قد حالفني للعمل مع كثيرين منهم، من أمثال: كي.جي ديلانتونيا في **نيويورك تايمز**، وجيني جريتز، وإليانور بارخورن بريتون، وهيذر هورن، وجيمس هامبلين، وآشلي فيترز، وجوليا ريان، وإيما جرين في مجلة **أتلانتك**، وبيتي سميث في محطة فيرمونت بابليك راديو الإذاعية، وكاسي جونز مورجان في شركة ويليام مورو.

أما المحررة التي أضناها العمل طوال مراحل هذا الكتاب عينه، فإنها تستحق أكثر من فقرة كاملة من الشكر، لكنها لن تجعلني أسهب في شكرها؛ لأن ذلك بالنسبة إليها بمنزلة عبارات متكررة لا طائل منها، ومن ثم فإنني أتوجه إليك – جالي وينستون – بخالص الشكر، فأنتِ امرأة حكيمة ورائعة.

عندما أصبحت كاتبة محترفة، كنت أخشى من لقاء هؤلاء الكاتبات المتحفظات المراوغات الماكرات اللاتي سمعت عنهن كثيرًا، ولكن يبدو أن الوقت قد حان للتخلص من تلك الصورة النمطية التي كنت أرسمها عنهن؛ حيث كانت تلك النساء الرائعات يتسمن بالطيبة والسخاء، ولم يبخلن عليَّ بوقتهن وملاحظاتهن ومشورتهن ودعمهن، ولذا أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى: كارول بليمير، ومارلين برايس ميتشل، وميشيل بوربا، وكاتي هيرلي، وأندريا ناير، وبيتسي ليرنر

وصديقاتها الكاتبات في مدونة إف تي إف، وجاكوبا أوريست، وجينيفر هارتستين، وكريستين جروس لوه، وجينيفر سينيور، وأشلي ميريمان، وإيزابيل كالمان، وليزا بلكين، وليزا هيفرنان، ولونا شوابيزار، وناعومي شولمان، وكيمبرلي ويليامز، وجين إسشين بيرج ساجر، وكاثرين نيومان، وجاليت برين، وأفيفا روبين، ولورا فاندركام، وآشا دورنفست، وبلير كوينج، وأيمي جوتمان، وأليسيا ياربو زيمرمان، وجولي كول، ونانسي رابابورت، وجينيفر سينيور، وكاثرين نيومان، وبريسيلا جيلمان، وآني ميرفي بول، وكيندال هويت، وهولي كوربي، وأفيتال نورمان ناثمان، وسارة بوتنويزر، وميجان روبينر زين، وميليسا أتكينز واردي، وناعومي شولمان، وسوي شيف، وإليزابيث جرين، وكاي ويلز ويما، وروث ماكيني، وكريستين لين، وليزا دامور، وسوزان كاين، وجوان ويكوف، وجوان جاكوبس، وغيرهن كثيرات. وأعدكم أن أشعر بالرعب والحرج عند رؤية الأشياء التي تم حذفها من مسودة هذا الكتاب، وأدرك أوجه القصور لديَّ.

ولا يسعني أن أغفل عن دور الرجال، ولذا أتوجه بجزيل الشكر إلى روبرت بونديشيو، محرري الأول في الموضوعات التعليمية، فلم يجدر بي أن أستعين بمعلم آخر يفوقه قدرة وحكمة، كما أوجه شكري أيضًا إلى كل من: إيه. جيه جاكوبس، وجيم كولينز، وتوم ريان، وجون تيرني، ومايك وينريب، وبول توف، وجاي ماثيوز، وجريج توبو، وسموكر شولمان، وجيف فالونس، ومايكل بيتريلي، وكي. سي. بوتس، ودون كانون، وزاك جالفين، ودان ويلينجهام، وجون بوجر، وألكسندر روسو، ولاري فيرلازو، وجوردان شابيرو، وماثيو ليفي، ونيكيل جويال، ورون ليبر، وسكوت باري كوفمان.

وأشكر جميع الآباء والمعلمين والطلاب الذين شاركوني قصصهم، فلم أكن لأكتب هذا الكتاب دون جهودكم.

وإلى كاتبات مدونة رايتر دينر: كي. جي. ديل أنتونيا، وسارة ستيوارت تايلور، وسارة بينيو، وجيني بينت، وسارينا بوين، أشكركن على إصغائكن لمخاوفي، ودعمي في تحقيق آمالي.

وأتوجه بالشكر إلى عائلة زوجي التي انضممت إليها، وتطبعت بطباعها، فقد كنتم خير عائلة يمكن للمرء مصاهرتها؛ لأنكم أشخاص محبوبون وداعمون.

كما أوجه شكري إلى طلابي في برنامج ديوك تالنت أيدنتيفيكاشن، وهو برنامج جامعة ديوك لتحديد المواهب، ومدرسة رولاند هول سانت مارك، ومدرسة هايلاند الثانوية، ومدرسة هانوفر الثانوية، وأكاديمية كروس رودز، وفالي فيستا، لقد جعلتموني كاتبة، ومعلمة، وأمًّا، وإنسانة أفضل.

كما أتوجه ببالغ الشكر إلى طاقم العمل في أكاديمية كروس رودز، الذي دعمني خلال تحولي المفاجئ وبشكل غير متوقع من كوني معلمة إلى معلمة كاتبة.

وأوجه الشكر إلى فيكتوريا بيباس لمساعدتي بمنحي وقتها طوال الصيف، وقيامها ببعض الأعمال الإدارية المملة؛ لأن العمل على هذا الكتاب قد تطلب طرح كل شيء آخر جانبًا.

وأوجه الشكر إلى وكيلي لوري أبكيمير على مواصلة رده على رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بي، وقراءة استفساراتي، ومشاطرة أملي في أن تسنح لنا الفرصة يومًا ما للتعاون معًا بطريقة أو بأخرى.

وأتوجه بكل الشكر والتقدير إلى أمي وأبي اللذين منحاني الاستقلالية، وشجعاني على أن أصبح شخصًا مؤهلًا، وغمراني بحبهما بغض النظر عن درجاتي، أو مجموع نقاطي، أو نتائجي العالية، أو راتبي.

وأخيرًا، أتوجه بجزيل الشكر إلى زوجي تيم لاهي؛ لأنني الطرف المحظوظ في هذه العلاقة.

ملاحظات

مقدمة

1. *"A Rising Share of Young Adults Live in Their, Parents Home,"* August 14,2013, http://www.pewsocialtrends.org/2013/08/01/a–rising–share–of–young–adults–1ive–in–their– parents–home/.

2. Jud.ith Warner, *Perfect Madness: Motherhood in the Age of Anxiety* (New York: Penguin Books, 2006), 138.

3. Wendy Grolnick and Kathy Seal, *Pressured Parents and Stressed–Out Kids* (Amherst, NY: Prometheus Books, 2008), 74.

الفصل ١

1. Steven Mintz, *Huck's Raft: A History of American Childhood* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004), 15.

٢. المصدر نفسه, ١٤.

3. Paula S. Fass and Mary Ann Mason, ed., *Childhood in America* (New York: New York University Press, 2000), 45.

٤. المصدر نفسه, ٤٧

٥. المصدر نفسه, ٤٨

6. Mintz, *Huck''s Raft, 52.*

٧. المصدر نفسه, ٥٩

8. Viviana Zelizer, *Pricing the Priceless Child,* (New York: Basic Books, 1985), 56.

9. Ann Hulbert, *Raising America: Experts, Parents, and a Century of Advice About Children* (New York: Vintage Books, 2003), 70.

10. Mintz, *Huck's Raft, 219.*

١١. المصدر نفسه,٣١٦

١٢. المصدر نفسه,٣١٣

13. "The Top 10 Concerns of New Parents," accessed January 1, 2014, http://www.parenting.com/article/the–top–10–concerns–of–new parents?page=0,0.

الفصل ٢

1. Edward Deci, *Why We Do What We Do: Understanding Self–Motivation* (New York: Penguin), 31.

٢. المصدر نفسه, ٣١

٣. المصدر نفسه، ٣٣

4. K. Murayama and C. Kuhbandner, "Money Enhances Memory Consolidation–Bur Only for Boring Material" *Cognition* 119, no. 1 (April 2011): 120–24.

5. Anne Sobel, "How Failure in the Classroom Is More Instructive than Success," *Chronicle of Higher Education,* accessed May 5, 2014, http://chronicle.com/article/How–Failure–in–the–Classroom /*1146377/.*

6. Carol Dweck, *Mindset: The New Psychology of Success* (New York: Balla~tine,1978),6–7.

7. Carol Dweck, *Self–Theories: Their Role in Motivation, Personality,* and Development (New York: Psychology Press, 2000), 1.

8. Peter C. Brown, Henry L. Roediger Ill, and Mark A. McDaniel, *Make It Stick: The Science of Successful Learning* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2014), 69.

٩. المصدر نفسه

الفصل ٣

1. Wendy S. Grolnick, *The Psychology of Parental Control: How Well–Meant Parenting Backfires* (New York: Psychology Press, 2003), 16.

الفصل ٤

2. Christine Gross–Loh, *Parenting Without Borders* (New York: Avery, 2013), 106.

3. William Damon, *Greater Expectations* (New York: Free Press, 1995),72.

4. Carol Dweck, *Mindset: The New Psychology of Success* (New York: Ballantine Books, 2006), 73.

الفصل ٥

1. L. L. Harlow, M. D. Newcomb, and P. M. Bender, "Depression, Self–derogation, Substance Abuse, and Suicide Ideation: Lack of Purpose in Life as a Meditational Factor," *Journal of Clinical Psychology 42,* no. 1 (January 1986): 5–21.

الفصل ٦

1. Hara Estroff Marano, *A Nation of Wimps: The High Cost of Invasive Parenting* (New York: Broadway Books, 2008), 257.

2. Patrick T. Davies, Robin L. Myers, and E. Mark Cummings “Responses of Children and Adolescents to Marital Conflict Scenarios as a Function of the Emotionality of Conflict Endings,” *Merrill–Palmer Quarterly* 42, no. 1 (1996).

3. Loni Coombs, *“You”re Perfect ... “ and Other Lies Parents Tell* (Los Angeles: Bird Street Books, 2012), 157–58.

الفصل ٧

1. Louis M. Profeta, “Your Kid and My Kid Are Not Playing in the Pros,” April 7, 2014, http://www.dgiwire.com/your–kid–and–my–kid–are–not–playing–in–the–pros/.

2. Richard Weissbourd, *The Parents We Mean to Be* (Boston: Mariner Books, 2009), 146.

3. Steve Henson, “What Makes a Nightmare Sports Parent,” February 15, 2012, *http://www.thepostgame.com/blog/more–fomily–fun/201202/what–makes–nightmare–sports–parent*.

4. Wendy Grolnick and Kathy Seal, *Pressured Parents, Stressed–Out Kids* (Amherst, NY: Prometheus Books, 2008),26.

٥. المصدر نفسه، ٢٧

6. Daniel Pink, *Drive: The Surprising Truth About What Motivates Us* (New York: Riverhead Books, 2009), 174.

7. Grolnick, *Pressured Parents, 99.*

8. Michael Thompson, *The Pressured Child: Freeing Our Kids from Performance Overdrive and Helping Them Find Success in School and Life* (New York: Ballantine Books, 2004), 106.

الفصل ٩

1. L. M. Padilla–Walker and L. J. Nelson, “Black Hawk Down?: Establishing Helicopter Parenting as a Distinct Construct from Other Forms of Parental Control during Emerging Adulthood: *Journal of Adolescence35* (2012): 1177–90.

2. David Bainbridge, *Teenagers: A Natural History* (Vancouver: Greystone Books, 2009), 132.

3. Debora L. Spar, *Wonder Women: Sex, Power, and the Quest for Perfection* (New York: Farrar, Straus & Giroux, 2013), 164.

الفصل ١٠

1. Joyce L. Epstein, School, Family, and Community Partnerships: Preparing Educators and Improving Schools (Philadelphia: Westview Press, 2011), 39–40.

٢. المصدر نفسه، ١٤٧

الفصل ١١

1. “Research Spotlight on Homework: NEA Reviews of the Research on Best Practices in Education,” National Education Association, accessed April 12, 2013, http://www.nea.org/tools/16938.htm.

2. “How Much Sleep Do I Need?,” Centers for Disease Control and Prevention, accessed July 1, 2013, http://www.cdc.gov/sleep/about_sleep/how_much_sleep.htm.

الفصل ١٢

1. Mary Lovett Smallwood, *An Historical Study of Ex aminations and Grading Systems in Early American Universities* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1935), 39

٢. المصدر نفسه

3. Deborah J. Stipek and Kathy *Seal, Motivated Minds: Raising Children to Love Learning* (New York: Holt, 2001), 179.

4. Ken Bain, *What the Best College Students Do* (Cambridge, MA: Harvard University Press,2012), 119–20.

خاتمة

1. Mary McDonagh Murphy, ed., *Scout, Atticus , Boo: A Celebration of Fifty Years of To kii: a Mockingbird* (New York: Harper, 2010), 170.

المراجع

Adkins, Elaine K. How to Deal with Parents Who Are Angry, Troubled, Afraid, or Just Plain Crazy. Thousand Oaks: Corwin Press, 1998.

Alsop, Ronald. The Trophy Kids Grow Up: How the Millennial Generation Is Shaking Up the Workplace. San Francisco: Jossey–Bass, 2008.

Anderegg, David. Worried All the Time: Overparenting in an Age of Anxiety and How to Stop It. New York: Free Press, 2003.

Apple, Rima D. Perfect Motherhood Science and Childrearing in America. New Brunswick: Rutgers University Press, 2006.

Ariely, Dan. The (Honest) "Truth About Dishonesty: How We Lie to Everyone–Especially Ourselves. New York: Harper Perennial, 2012.

Arnott, Alastair. Positive Failure. Cambridge: Cambridge Academic, 2013.

Bain, Ken. What the Best College Teachers Do. Cambridge: Harvard University Press, 2004.

Bainbridge, David. Teenagers: A Natural History. Vancouver: Greystone Books, 2009.

Barnes, Christie. The Paranoid Parents Guide: Worry Less, Parent Better, and Raise a Resilient Child. Deerfield Beach: Health Communications, 2010.

Bender, Yvonne. The Tactful–Teacher Effective Communication with Parents, Colleagues, and Administrators. White River Junction: Nomad Press, 2005.

Berman, Robin E. Permission to Parent: How to Raise Your Child with Love and Limits. New York: Harper Wave, 2014.

Bohlin, Karen E., Deborah Lynn Farmer, and Kevin Ryan. Building Character in Schools Resource Guide. San Francisco: Jossey–Bass, 2001.

Borba, Michele. The Big Book of Parenting Solutions: 101 Answers to Your Everyday Challenges and Wildest Worries. San Francisco, CA: Jossey–Bass, 2009.

Borba, Michele. 12 Simple Secrets Real Moms Know: Getting Back to Basics and Raising Happy Kids. San Francisco: Jossey–Bass, 2006.

Brafman, Rom. Succeeding When You”re Supposed to Fail: The 6 Enduring Principles of High Achievement. New York: Three Rivers Press, 2011.

Brewer, Elizabeth. Talking to Tweens: Getting It Right before It Gets Rocky with Your 8–to 12–year–old. North American ed. Cambridge: Da Capo, 2005.

Brighton, Kenneth L. Coming of Age: The Education and Development of Young Adolescents: A Resource for Educators and Parents. Westerville: National Middle School Association, 2007.

Bronson, Po, and Ashley Merryman. NurtureShock: New Thinking about Children. New

York: Twelve, 2009.

Bronson, Po, and Ashley Merryman. Top Dog: The Science of Winning and Losing. New York: Twelve, 2013.

Brooks, Robert B., and Sam Goldstein. Nurturing Resilience in Our Children: Answers to the Most Important Parenting Questions. Chicago: Contemporary Books, 2003.

Brown, Dave F., and Trudy Knowles. What Every Middle School Teacher Should Know. 2nd ed. Porrsmouth: Heinemann, 2007.

Brown, Peter c., Henry L. Roediger III, and Mark A. McDaniel. Make It Stick: The Science of Successful Learning. Cambridge: Harvard University Press, 2014.

Cairns, Warwick. How to Live Dangerously: The Hazards of Helmets, the Benefits of Bacteria, and the Risks of Living Too Safe. New York: St. Martin”s Griffin, 2009.

Campbell, Joseph. The Hero with a Thousand Faces. 2d ed. Princeton: Princeton University Press, 1972.

Clark, Ron. The Essential 55: An Award–winning Educator"s Rules for Discovering the Successful Student in Every Child. New York: Hyperion, 2003.

Clark, Ron. The Excellent 11: Qualities Teachers and Parents Use to Motivate, Inspire and Educate Children. New York: Hyperion, 2004.

Coburn, Karen Levin, and Madge Lawrence Treeger. Letting Go: A Parents" Guide to Understanding the College Years. 4th ed. New York: Quill, 2003.

Cohen, Harlan. The Naked Roommate: For Parents Only. Naperville: Source Books, 2012.

Coles, Robert. The Moral Intelligence of Children. New York: Random House, 1997.

Coombs, Loni. "You"re Perfect_" and Other Lies Parents Tell: The Ugly Truth about Spoiling Your Kids. Los Angeles: Bird Street Books, 2012.

Cooper–Kahn, Joyce, and Laurie Dietzel. Late, Lost, and Unprepared: A Parents" Guide to Helping Children with Executive Functioning. Berhesda: Woodbine, 2008.

Csikszentmihalyi, Mihaly. Flow: The Psychology of Optimal Experience. New York: Harper & Row, 1990.

Cushman, Kathleen, and Laura Rogers. Fires in the Middle School Bathroom: Advice for Teachers from Middle Schoolers. New York: New Press, 2008.

Cutler, William W. Parents and Schools: The 150–year Struggle for Control in American Education. Chicago: University of Chicago Press, 2000.

Damon, William. Greater Expectations: Overcoming the Culture of Indulgence in America"s Homes and Schools. New York: Free Press, 1995.

Deci, Edward L. Why We Do What We Do: Understanding Self–Motivation. New York: Penguin Books, 1995. .

Dewey, John. Experience & Education. New York: Touchstone, 1938.

Duckworth, Eleanor Ruth. "The Having of Wonderful Ideas" & Other Essays on Teaching

& Learning. New York: Teachers College Press, 1987.

Duhigg, Charles. The Power of Habit: Why We Do What We Do in Life and Business. New York: Random House, 2012.

Dunnewold, Ann, and Sandi Kahn Shelton. Even June Cleaver Would Forget the Juice Box: Cut Yourself Some Slack (and Still Raise Great Kids) in the Age of Extreme Parenting. Deerfield Beach: Health Communications, 2007.

Dweck, Carol S. Mindset: The New Psychology of Success. New York: Random House, 2006.

Dweck, Carol S. Self–theories: Their Role in Motivation, Personality, and Development. Philadelphia: Psychology Press, 1999.

Eagleman, David. Incognito: The Secret Lives of the Brain. New York: Pantheon Books, 2011.

Elkind, David. The Hurried Child: Growing Up Too Fast Too Soon. Reading, MA: Addison–Wesley Pub., 1981

Epstein,]oyce Levy. School, Family, and Community Partnerships Preparing Educators and Improving Schools. 2nd ed. Boulder: Westview Press, 2011.

Epstein, Robert. The Case against Adolescence: Rediscovering the Adult in Every Teen. Sanger: Quill Driver Books, 2007.

Esquith, Rafe. Real Talk for Real Teachers: Advice for Teachers from Rookies to Veterans: “No Retreat, No Surrender”New York: Penguin Group, 2013.

Faber, Adele, and Elaine Mazlish. How to Talk So Kids Will Listen & Listen So Kids Will Talk. New York: Scribner, 1980.

Fass, Paula S. Childhood in America. New York: New York University Press, 2000.

Fay, Jim, and David Funk. Teaching with Love & Logic: Taking Control of the Classroom. Golden: Love and Logic Press, 1995.

Feldman, David B., and Lee Daniel Kravetz. Supersurvivors: The Surprising Link between Suffering and Success. New York: Harper Collins, 2014.

Fried, Roberr L. The Passionate Learner: How Teachers and Parents Can Help Children Reclaim the Joy of Discovery. Boston: Beacon Press, 2001.

Fried, Roberr L. The Passionate Teacher: A Practical Guide. Boston: Beacon Press, 1995.

Friedman, Hilary Levey. Playing to Win: Raising Kids in a Competitive Culture. Berkeley: University of California Press, 2013.

Galinsky, Ellen. Mind in the Making: The Seven Essential Lift Skills Every Child Needs. New York: HarperStudio, 2010.

Gardner, Howard, Mihaly Csikszentmihalyi, and Wi!liam Damon. Good Work: When Excellence and Ethics Meet. New York: Basic Books, 2001. .

Gawande, Atul. The Checklist Manifesto: How to Get Things Right. New York: Metropolitan Books, 2010.

Gill. Tim. No Fear: Growing Up in a Risk Averse Society. London: Calouste Gulbenkian Foundation, 2007.

Ginsburg, Kenneth R., with Martha Moraghan]ablow. Building Resilience in Children and Teens: Giving Kids Roots and Wings. 2nd ed. Elk Grove Village: American Academy of Pediatrics, 2011.

Ginsburg, Kenneth R., and Susan FitzGerald. Letting Go with Love and Confidence: Raising Responsible, Resilient, Selfsufficient Teens in the 21st Century. New York: Avery, 2011.

Glenn, H. Stephen, and lane Nelsen. Raising Self–reliant Children in a Selfindulgent World: Seven Building Blocks for Developing Capable Young People. Rocklin: Prima Publishing & Communications, 1988.

Goldberg, Donna. The Organized Student: Teaching Children the Skills for Success in

School and Beyond. New York: Fireside, 2005.

Goleman, Daniel. Focus: The Hidden Driver of Excellence. New York: HarperCollins, 2013.

Gray, Peter. Free to Learn: Why Unleashing the Instinct to Play Will Make Our Children Happier, More Selfreliant, and Better Students for Life. New York: Basic Books, 2013.

Grolnick, Wendy S. The Psychology of Parental Control: How Well–meant Parenting Backfires. Mahwah, N.J.: L. Erlbaum Associates, 2003.

Grolnick, Wendy S., and Kathy Seal. Pressured Parents, Stressed–out Kids: Dealing with Competition While Raising a Successful Child. Amherst: Prornetheus Books, 2008.

Gross–Loh, Christine. Parenting without Borders: Surprising Lessons Parents around the World Can Teach Us. New York: Avery, 2013.

Harford, Tim. Adapt: Why Success Always Starts with Failure. New York: Picador, 2011.

Hartley–Brewer, Elizabeth. Talking to Tweens: Getting It Right before It Gets Rocky with Your 8– to 12–Year–Old. Cambridge: Da Capo Press, 2005

Hays, Sharon. The Cultural Contradictions of Motherhood. New Haven: Yale University Press, 1996.

Hazard, Kris. The Hazard of the Game: The Dangers of Over–Parenting in Sport and Life. North Word Communication, 2012.

Heath, Ralph. Celebrating Failure: The Power of Taking Risks, Making Mistakes, and Thinking Big. Pomton Plains: Career Press, 2009.

Hodgkinson, Tom. The Idle Parent: Why Laid–back Parents Raise Happier and Healthier Kids. New York: Tarcher Penguin, 2009.

Hoefle, Vicki. Duct TapeParenting: A Less Is More Approach to Raising Respectful, Responsible, and Resilient Kids. Brookline: Bibliomotion, 2012.

Holt, John. How Children Fail. New York: Da Capo Press, 1982.

Homayoun, Ana. That Crumpled Paper Was Due Last Week: Helping Disorganized and Distracted Boys Succeed in School and Life. New York: Penguin Group, 2010.

Honoré, Carl, Under Pressure: Rescuing Our Children from the Culture of Hyper–parenting. New York: HarperOne; 2008.

Hulbert, Ann. Raising America: Experts, Parents, and a Century of Advice about Children. New York: Vintage, 2003.

Icard, Michelle. Middle School Makeover: Improving the Way You and Your Child Experience the Middle School Years. Brookline: Bibliomotion, 2014.

Kahn, Joyce, and Laurie C. Dietzel. Late, Lost and Unprepared: A Parents" Guide to Helping Children with Executive Functioning. Bethesda: Woodbine House, 2008.

Kaufman, Scott Barry. Ungifted: Intelligence Redefined: The Truth about Talent, Practice, Creativity, and the Many Paths to Greatness. New York: Basic Books, 2013.

Kilpatrick, Haley, and Whitney Joiner. The Drama Years: Real Girls Talk about Surviving Middle School: Bullies, Brands, Body Image, and More. New York: Free Press, 2012.

Klee, Mary Beth, Core Virtues: A Literature–based Program in Character Education, K–6. Redwood City: Link Institute, 2000.

Koenig, Blair. STFU Parents: The Jaw–dropping, Selfindulgent, and Occasionally Rage–inducing World of Parent Overshare. New York: Perigree, 2013.

Kohn, Alfie. Punished by Rewards: The Trouble with Gold Stars, Incentive Plans, A's, Praise, and Other Bribes. Boston: Houghton Mifflin, 1993.

Kohn, Alfie. What Does It Mean to Be Well Educated? Boston: Beacon Press, 2004.

Lareau, Annette. Unequal Childhoods: Class, Race, and Family Life. 2nd ed. Berkeley:

University of California Press, 2011.

Lawrence–Lightfoot, Sarah. The Essential Conversation: What Parents and Teachers Can Learn from Each Other. New York: Ballantine, 2003.

Lee, Ellie, Jennie Bristow, Charlotte Faircloth, and Jan MacVarish. Parenting Culture Studies. Hampshire: Palgrave Macmillan, 2014.

Levine, Alanna. Raising a Selfreliant Child: A Back–to–basics Parenting Plan from Birth to Age 6. Berkeley: Ten Speed Press, 2013.

Levine, Madeline. Teach Your Children Well: Parenting for Authentic Success. New York: Harper, 2012.

Levine, Madeline. The Price of Privilege: How Parental Pressure and Material Advantage Are Creating a Generation of Disconnected and Unhappy Kids. New York: HarperCollins, 2006.

Levine, Mel. A Mind at a Time:America"s Top Learning Expert Shows How Every Child Can Succeed. New York: Simon and Schuster Paperbacks, 2002.

MacDonald, Berry Bard. Mrs. Piggle–Wiggle. Philadelphia: J. B. Lippincott Company, 1947.

Magary, Drew. Someone Could Get Hurt: A Memoir of Twenty–first Century Parenthood. New York: Gotham Books, 2013.

Marano, Hara Estroff. A Nation of Wimps: The High Cost of Invasive Parenting. New York: Broadway Books, 2008.

Mathews, Jay. Work Hard. Be Nice: How Two Inspired Teachers Created the Most Promising Schools in America. Chapel Hill, NC: Algonquin Books of Chapel Hill, 2009.

McArdle, Megan. The Up Side of Down: Why Failing Well Is the Key to Success. New York: Viking, 2014.

McEwan, Elaine K. How to Deal with Parents Who Are Angry, Troubled, Afraid, or Just Plain, Crazy. Thousand Oaks: Corwin Press, 2005.

Medina, John. Brain Rules: 12 Principles for Surviving and Thriving at Work, Home, and School. Seattle, WA: Pear Press, 2008.

Minrz, Steven, Huck"s Raft: A History of American Childhood. Cambridge: Harvard University Press, 2004.

Mogel, Wendy. The Blessing of a B Minus: Using Jewish Teachings to Raise Resilient Teenagers. New York: Scribner, 2010.

Mogel, Wendy. The Blessing of a Skinned Knee: Using Jewish Teachings to Raise Self–reliant Children. New York: Scribner, 2001.

Nelson, Margaret K. Parenting out of Control: Anxious Parents in Uncertain Times. New York: New York University Press, 2010.

Nichols, ML. The Parent Backpack for Kindergarten through Grade 5. Berkeley: 10 Speed Press, 2013.

Payne, Kim John. and Lisa M. Ross. Simplicity Parenting: Using the Extraordinary Power of Less to Raise Calmer, Happier. and More Secure Kids. New York: Ballantine Books. 2009.

Payne, Ruby K. Working with Parents: Building Relationships for Student Success. Highlands: Aha! Process, 2006.

Peskowitz, Miriam. The Truth behind the Mommy Wars: Who Decides What Makes a Good Mother? Emeryville: Seal Press, 2005.

Phelan, Thomas W. Surviving Your Adolescents: How to Manage and Let Go of Your 13–18 Year Olds. 3rd ed. Glen Ellyn: ParentMagic I EBL, 2012.

Pincus, Donna. Growing up Brave: Expert Strategies for Helping Your Child Overcome Fear. Stress, and Anxiety. New York: Little, Brown and, 2012.

Pink, Daniel H. Drive: The Surprising Truth about What Motivates Us. New York: Riverhead Books, 2009.

Quart, Alissa. Hothouse Kids: The Dilemma of the Gifted Child. New York: Penguin Press, 2006.

Reichert, Michael, and Richard A. Hawley. Reaching Boys. Teaching Boys: Strategies That Work and Why. San Francisco: Jossey–Bass, 2010.

Rosenfeld, Alvin A., and Nicole Wise. The Over–scheduled Child: Avoiding the Hyperparenting Trap. New York: St. Martin"s Griffin. 2001.

Sarkett, John A. Extraordinary Comebacks: 201 Inspiring Stories of Courage. Triumph. and Success.Naperville: Source Books, 2007.

Savage, Marjorie. You're on Your Own (but I"m Here if You Need Me): Mentoring Your Child during the College Years.New York: Fireside Book, 2003.

Schipani, Denise. Mean Moms Rule: Why Doing the Hard Stuff Now Creates Good Kids Later. Naperville: Source Books. 2012.

Schwartz, Natalie. The Teacher Chronicles: Confronting the Demands of Students. Parents. Administrators and Society. Millwood: Laurelton Media. 2008.

Senior, Jennifer. All Joy and No Fun: The Paradox of Modern Parenthood. New York: Ecco,2014.

Shumaker, Heather. It's OK NOT to Share. London: Penguin Books. 2012

Siegel, Daniel J. Brainstorm: The Power and Purpose of the Teenage Brain. New York: Penguin, 2013.

Silverman, Scott, ed. How to Survive Your Freshman Year. 5th ed. Atlanta: Hundreds of

Heads Books, 2013.

Skenazy, Lenore. Free Range Kids: How to Raise Safe, Self–reliant Children (without Going Nuts with Worry). San Francisco: Jossey–Bass, 2010. .

Smallwood, Mary Lovett. An Historical Study of Examinations and Grading Systems in

Early American Universities. Cambridge: Harvard University Press, 1935.

Spar, Debora L. Wonder Women: Sex, Power, and the Quest for Perfection. New York: Sarah Crichton Books, 2013.

Stearns, Peter N. Anxious Parents: A History of Modern Childrearing in America. New York: New York University Press, 2003.

Steinberg, Laurence. Age of Opportunity: Lessons from the New Science of Adolescence. New York: Houghton Mifflin Harcourt, 2014.

Steinberg, Laurence D., and Ann Levine. You and Your Adolescent: A Parents Guide for Ages 10 to 25. New York: Harper & Row, 1990.

Stipek, Deborah J., and Kathy Seal. Motivated Minds: Raising Children to Love Learning. New York: H. Holt and, 2001.

Taylor, Jim. Positive Pushing: How to Raise a Successful and Happy Child. New York: Hyperion, 2002.

Thompson, Michael. Homesick and Happy: How Time Away from Parents Can Help a Child Grow. New York: Ballantine Books Trade Paperbacks, 2012.

Thompson, Michael, and Teresa Barker. The Pressured Child: Helping Your Child Find Success in School and Life. New York: Ballantine Books, 2004.

Thompson, Michael, Lawrence J. Cohen, and Catherine O Grace. Mom; They're Teasing Me: Helping Your Child Solve Social Problems. New York: Ballantine Books, 2002.

Thompson, Michael G., and Alison Fox Mazzola. Understanding Independent School Parents: The Teachers Guide to Successful Family–School Relationships. Wise Teacher Press, 2012.

Tingley, Suzanne Capek. How to Handle Difficult Parents: A Teachers Survival Guide. Fort Collins, CO: Cottonwood Press, 2006.

Tobias, Cynthia Ulrich, I Hate School: How to Help Your Child Love Learning, Grand

Rapids: Zondervan, 2004,

Tough, Paul. How Children Succeed: Grit, Curiosity, and the Hidden Power of Character. Boston: Mariner Books, 2012.

Tulgan, Bruce. Not Everyone Gets a Trophy: How to Manage Generation Y. San Francisco, CA: Jossey–Bass, 2009.

Twenge, Jean M, Generation Me: Why Today's Young Americans Are More Confident, Assertive, Entitled_and More Miserable than Ever Before. New York: Free Press, 2006.

Twenge, Jean M., and W, Keith Campbell. The Narcissism Epidemic: Living in the Age of Entitlement. New York: Free Press, 2009,

Ungar, Michael. Too Safe For Their Own Good: How Risk and Responsibility Help Teens Thrive. Crows Nest: Alien & Unwin, 2008.

Ungar, Michael. The We Generation: Raising Socially Responsible Kids. Cambridge, MA: Da Capo,2009,

Vuko, Evelyn Porreca, Teacher Says: 30 Foolproof Ways to Help Kids Thrive in School, New York: Perigee Books, 2004,

Wagner, Tony, and Robert A, Compton. Creating Innovators: The Making of Young People Who Will Change the World. New York: Scribner, 2012.

Walsh, David Allen, and Nat Bennett. Why Do They Act That Way?A Survival Guide to the Adolescent Brain for You and Your Teen. New York: Free Press, 2004.

Walsh, David Allen. No: Why Kids_of All Ages_ Need to Hear It and Ways Parents Can Say It. New York: Free Press, 2007.

Warner, Judith. Perfect Madness: Motherhood in the Age of Anxiety. New York: Riverhead Books, 2006.

Weissbourd, Rick. The Parents We Mean to Be: How Well–intentioned Adults Undermine Children's Moral and Emotional Development. Boston: Houghton Mifllin Harcourt,

2009.

Wilde, Jerry. An Educator’s Guide to Difficult Parents. New York: Kroshka Books, 2000.

Willingham, Daniel T. Why Don”t Students like Scbool?: A Cognitive Scientist Answers Questions about How the Mind Works and What It Means for the Classroom. San Francisco: Jossey–Bass, 2009.

Wiseman, Rosalind, and Elizabeth Rapoport. Queen Bee Moms & Kingpin Dads: Dealing with the Parents, Teachers, Coaches, and Counselors Who Can Make_or Break_Your Child”s Future. New York: Crown Publishers, 2006.

Wood, Chip. Yardsticks: Children in the Classroom, Ages 4–14: A Resource for Parents and Teachers.Expanded ed. Greenfield: Northeast Foundation for Children, 1997.

Wyma, Kay Wills. Cleaning House: A Mom’s 12–month Experiment to Rid Her Home of Youth Entitlement. Colorado Springs: WaterBrook Press, 2012.

Zelizer, Viviana A. Rotman. Pricing the Priceless Child: The Changing Social Value of Children. New York: Basic Books, 1985

نبذة عن الكاتبة

جيسيكا لاهي، معلمة ومحاضرة وكاتبة. تكتب عمودًا نصف شهري للنصائح بعنوان "اجتماع الآباء والمعلمين"، في صحيفة **نيويورك تايمز**، كما أنها كاتب حر في مجلة ذي **أتلانتك،** وتعمل معلقةً في محطة فيرمونت بابليك الإذاعية، وهي حاليًّا تدرِّس اللغة الإنجليزية وفن الكتابة، ولكنها تحتفظ بمكانة خاصة في قلبها للغة اللاتينية، حصلت جيسيكا على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة نورث كارولينا في تشابل هيل، مع تركيزها على القوانين الخاصة بالأحداث والتعليم، وهي تعيش الآن مع زوجها وابنيهما في نيوهامبشير.

الغلاف الخلفي

الأسرة والعلاقات



"لقد مكنني هذا الكتاب من التراجع وأعطاني الدفعة التي كنت أحتاج إليها لإلحاق ابني الأكبر بالمدرسة الإعدادية بما فيها من مخاطر دون قلق، أو انزعاج، أو خوف".

ـ أدريان ويتشارد-إيدس، واشنطن بوست

"من الصعب أن نصف ما يقال عن الكتاب بالمبالغة ... فهو الكتاب الذي نحتاج جميعًا إلى أن نقرأه لو كنا نريد غرس الثقة والبهجة في الجيل المقبل".

ـ سوزان كين، مؤلفة كتاب *Quiet*

يتميز أسلوب التربية الحديث بمستوى غير مسبوق من فرط الحماية؛ فقد صار الآباء الآن يهرعون إلى المدرسة لتسليم فروض أبنائهم المدرسية التي نسوها في المنزل، ويجادلون المعلمين بشأن الدرجات السيئة التي تصيب أبناءهم بالإحباط، ويتحكمون في صداقات أبنائهم، ويتدخلون كذلك في قرارات مدربي أطفالهم في الملعب. وكما توضح المعلمة، والصحفية، والأم جيسيكا لاهي، فإنه على الرغم من اعتبار أولئك الآباء أنفسهم في غاية التجاوب مع رفاهية أبنائهم وسلامتهم، فإنهم لا يعطونهم الفرصة لتجربة الفشل، أو لتعلم حل مشكلاتهم بأنفسهم.

وقد لاحظت جيسيكا، في كل مكان تزوره، خوفًا واضحًا وشديدًا من الفشل لدى طلابها وابنيها على حد سواء، ويقوّض هذا الخوف اعتماد الأطفال على أنفسهم، وكفاءتهم، وتحفزهم، وعلاقاتهم بالبالغين في حياتهم. ورغبة من لاهي في تقديم مسار واضح وإيجاد حلول لهذا الأمر، وضعت برنامج عمل استهدفت فيه تقديم نصائح بشأن التعامل مع الفروض المنزلية، والتقارير المدرسية، والأنشطة الاجتماعية، والألعاب الرياضية. والأهم من ذلك أن وضعت خطة لمساعدة الآباء على تعلم الرجوع خطوة إلى الوراء وتقبل فشل أبنائهم كما يتقبلون نجاحهم.



جيسيكا لاهي

هي معلمة، ومحاضرة، وكاتبة، وقد كانت معلمة للغة الإنجليزية، واللاتينية، وفن الكتابة للمرحلتين الإعدادية والثانوية لأكثر من عشر سنوات، كما كانت تكتب عمود نصائح نصف شهري بعنوان "اجتماع الآباء والمعلمين" في صحيفة *نيويورك تايمز*، وهي واحدة من الكتّاب المساهمين في مجلة *ذي أتلانتيك*، ومعلقة في محطة فيرمونت بابليك الإذاعية. وحصلت جيسيكا على درجة الدكتوراه في علم القانون من جامعة نورث كارولاينا في تشابل هيل مع تركيزها على القوانين الخاصة بالأحداث والتعليم.

ISBN 628-1072-10-007-0



